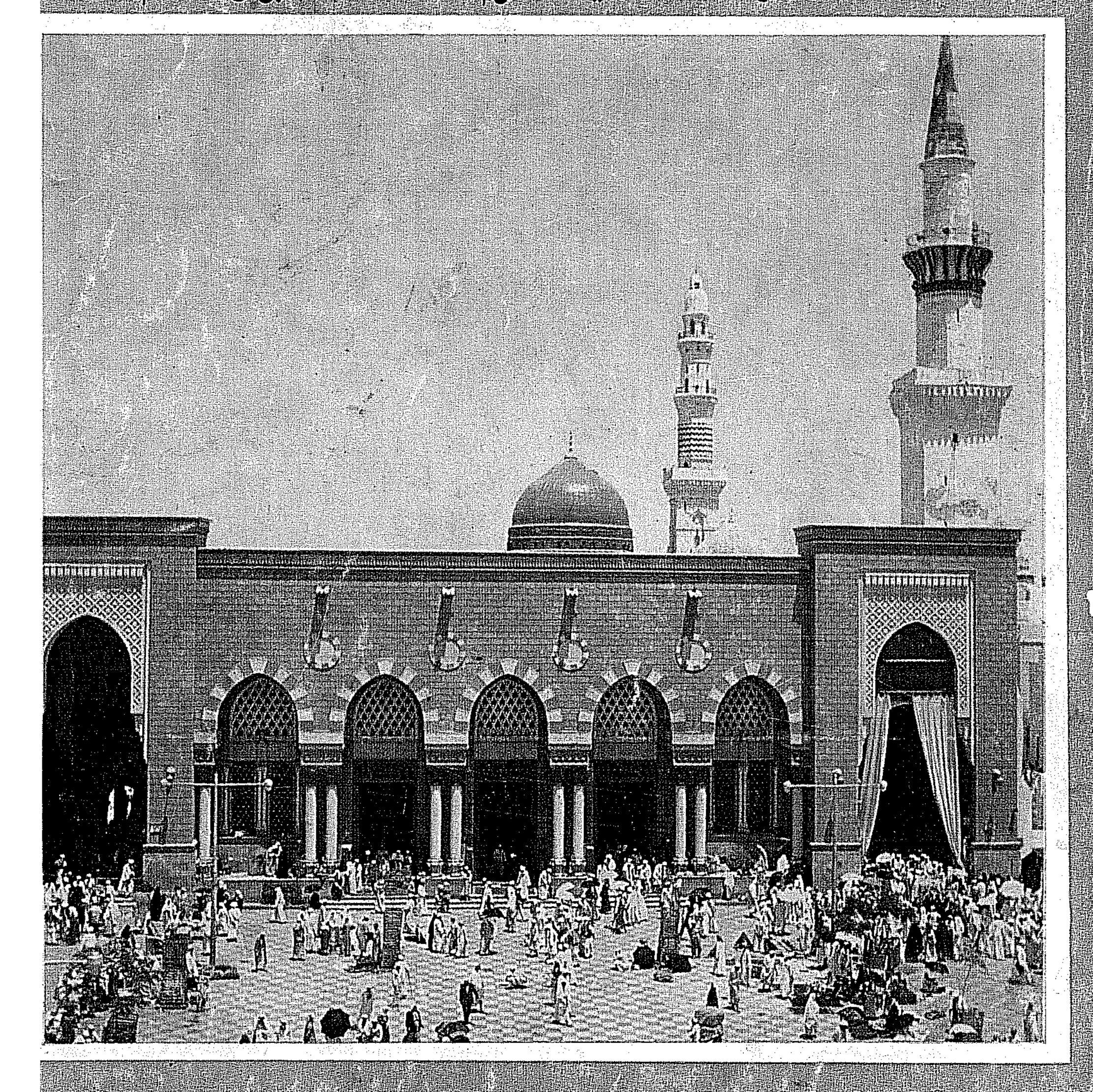
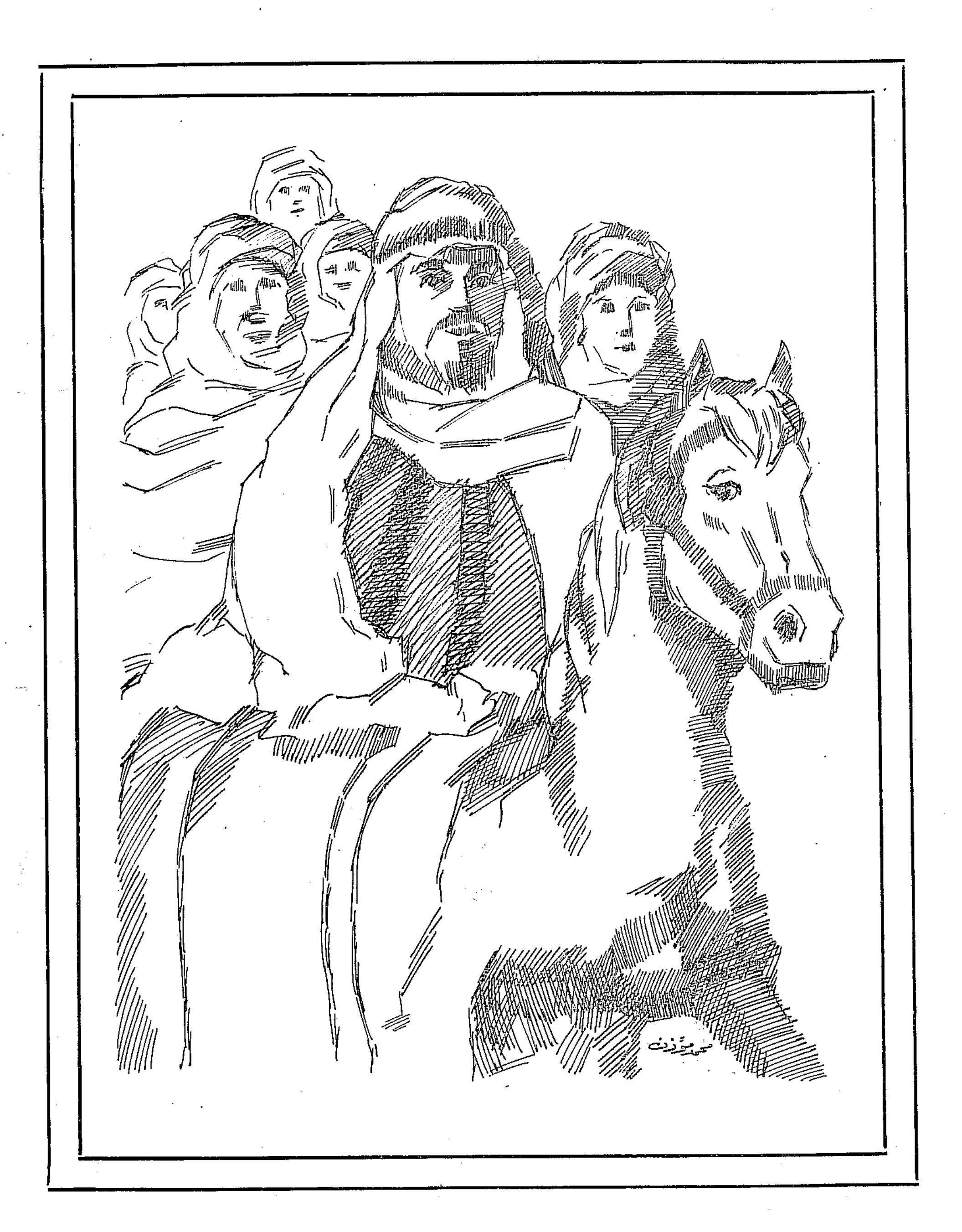
الوعي الإسلامي

عدد
الهجرة
الممتاز

إسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث عشر ـ السنة الثانية ـ محرم ١٣٨٦ هـ ـ ٢١ ابريل ١٩٦٦م





قصة العدد :

اسلام جبلة

ص : ٨٦

اقرأ في هذا العدد

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

العدد الثالث عشر . السنة الثانية
غرة المحرم سنة ١٣٨٦ هـ
٢١ ابريل ١٩٦٦ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما
ينشر فيها من آراء

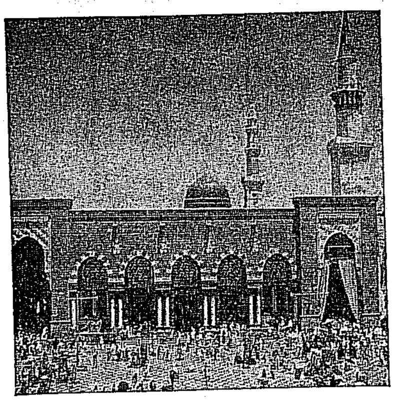
المشرف العام
عبد الرحمن المحجم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
على عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلى

صورة الغلاف



المسجد النبوي بالمدينة المنورة

الثمن

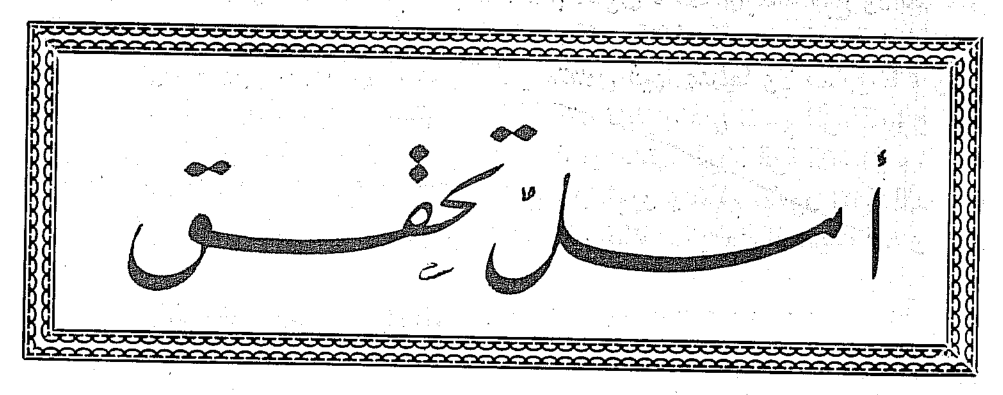
البلد	المبلغ	العملة
الكويت	٥٠	فلسا
السعودية	١	ريال
العـراق	٧٥	فلسا
الاردن	٥٠	فلسا
ليبيـا	١٠	قروش
المغـرب	١	درهم
الخليج العربى	١	روبية
اليمن وعدن	٧٥	فلسا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشا
مصر والسودان	٤٠	مليما
تونس والجزائر	١٠٠	مليم

الاشتراك السنوى

فى الكويت ١ دينار للهيآت فقط
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترليني)
أما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات : مجلة الوعى الاسلامي ـ وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٢٠٨٨

مع مطلع العام الهجري



للاستاذ عبد الرحمن عبد الله المجحم
المشـرف العـام
ووكيل الوزارة

منذ أن بدأت أقرأ كتاب الله الذى أنزله على خاتم رسله وأنبيائه ، وجدتني أحمل حملا قويا على مطالعة أخبار المصطفى الذى أحال الجهل علما ، والضعف قوة ،والتفكك وحدة ، والانانية تضامنا وتراحما ، وجعل مـن الرعاة الضاربين فى متاهات الصحراء قادة للدنيا ، وبناة اجيال ، غيروا وجه التاريخ ، وقسروه قسرا على أن يتحدث عنهم حديث المعجب المفتون ، ساسوا البشرية فى حزم ورفق ، وقوة وتواضع وكياسة وفقه بالامور ، ولم تستعص عليهم مشكلة مهما كان نوعها فى السلم أو فى الحرب ، فى الاجتماع او فى السياسة ، فى العلاقات الدولية أو التشريع المحلي ، ولم تقف أمامهم عقبة أيا كان مظهرها أو مصدرها .

فقد أوجدوا لكل داء دواء ، ولم يقولوا عن امر ما : هذا عسير المنال ، أو بعيد لا يطاول ، أو صعب لا يرتقى .

وقف الزمان أمام افعالهم مبهورا ، وانصاع لامرهم كل باغم وناطق ، وسار ركبهم عبر الاجيال المتلاحقة يحمل المشعل الوحيد الذى يضىء الطريق . فما رأت الدنيا عدلا كعدلهم ولا رفقا فى سلم او حرب كرفقهم ، ولا برا كبرهم ، ولا رحمة بالضعيف والعاني كرحمتهم ،وكل هذا لا يحتاج الى برهان ليثبت ، ولا الى دليل ليدرك .

فكرت حينذاك ، وكلما مضى بي الزمان ، تعمقت الفكـرة ، ورسخت آثارها ، فساءلت تاريخنا ، كيف بدأ هذا الظل الوارف يتقلص ؟ ومتى أخذ هذا الضوء اللامع يخفت ؟ لماذا تخلت الامة الرائدة عن مركز القيادة ؟ وأين الخلفاء العمالقة الذين هزت اشاراتهم المشارق والمغارب ؟ ووجدت الجواب فى حروب داخلية استعرت حينا أدارها الحقد والكيد ، ولم يطل بي التنقيب حين التقيت بالحروب الصليبية السافرة وجها

لوجه ، وما كتل لها وأعد ، وما جيش وجمع ، وشاهدتها تنهار أمام صلابة صلاح الدين ، وايمان المسلمين .

ولاحقت العدو اللاهث أمام ضربات الحق القوى ، فما وجدته قبع ولا استكان وانما رأيته يجمع فلوله ، ليظهر بأسلحة أخرى أشد فتكا وأقوى فعالية ، وأضمن نتيجة لما يراد ، وجدته يدخل فى معركة لا يستعمل فيها مدفعا ولا صاروخا ، وانما يلقى فتنة العقائد والمذاهب ، مستترا بالثقافة التي تنطوى على السم الزعاف ، والبلاء المبين ، وبرزت قرون الشيطان من كوى ومنافذ أوصدتها طويلا قوة الاسلام ، ظهرت تتحدث عن الفضائل الانسانية ، وتنادى بالويل والثبور وعظائم الأمور لكل المقدسات وتنعتها بالرجعية والانتكاسية والتقهقرية ، وما الى ذلك مما يطول الحديث عنه والكلام فيه .

هنا وقفت مليا أرقب الجواء المحيط بناء،فوجدت بلدنا بلدا فتيا قويا لم تدنسه يد غاصب ، ولم تطأ أرضه قدم فاتح مطلقا ، بلد حباه الله سكانا يكونون الدولة فى أكمل مظهر وأجمل سمت وأفضل مخبر ، وهم كالعائلة الواحدة المتماسكة المتحابة المتكاتفة المتعاونة على كل خير ، وقد أفاء الله عليهم فضله فى الجاه والمال والولد .

وتساءلت مرة اخرى ! لماذا لا نخوض المعركة ولدينا أقوى ذخيرة من ماضينا وحاضرنا ؟ لماذا لا يفكر المسئولون فى عمل جاد لخدمة الاسلام والحفاظ عليه ؟ . ما الذى يعوق اصدار مجلة تحمل اسم هذه الوزارة معلنة عن رسالتها الطاهرةالسامية ؟

وسعدت كثيرا حين أمكن التغلب على كل العقبات التي أثيرت ، واستعنا بالله مستمدين القوة منه سبحانه : ولتكن اذن تجربة !!.. وظهرت ((مجلة الوعي الاسلامي)) تحمل الزاد الكريم للناس جميعا ، وتنشر الضياء والنور فى حكمة حكيمة ، وقوةحانية وكلمة هادئة رفيقة .. وسارت بفضل الله تشق طريقها الى القراء فى أنحاء الوطن الاسلامي ، وصادفت النجاح الذى فاق ما كان يتصوره أشد المخلصين تفاؤلا ... وشجعنا القبول الذى حظيت به والمكانة الكريمة التي احتلتها ، وجاءت الكتب تترى الينا من كل فج عميق تشد على ايدينا تطلب المزيد ، وترجمة مقتبسات منها الى اللغات الاخرى (١)

بث ذلك السعادة فى نفوسنا ، وأشعرنا أن الصيد فى جوف الفرا ، وأن الحقيقة التي لاتمارى هي أن الاسلام فاتح كريم للعقول والافهام على خير ما تريد وما يراد لها .

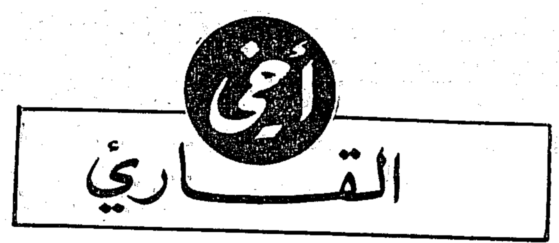
وها نحن أولاء نعد العدة لزيادة العدد المطبوع للعام الثاني من عمر المجلة المديد بعون الله تعالى ، معتمدين على الله وعلى جهود المخلصين من أبناء وطننا الحبيب ،وعلى الكاتبين من مختلف ديار الاسلام ، والمحققين من علماء المسلمين .

وحين تودع المجلة عاما وتستقبل آخر ، لا يسعني الا أن أهنىء القائمين على أمور المجلة بهذا النصر المبين ، واسأل الله أن يديم للحق التأييد ، وأن يحفظ لدولة الكويت ترابط أبنائها وروحها الاسلامية القوية ، وسبقها فى كل ميادين الخير والفلاح .

---

(١) فى رسالة واردة الينا من مدير المركز الاسلامى بنيويورك الدكتور محمد عبد الرءوف أن بعض المجلات الامريكية تقتبس من مجلة الوعي الاسلامي الكويتية .

بسم الله الرحمن الرحيم



كل عام وأنتم بخير

وبعد . فهذه مجلتك تخطو الى عامها الثاني من حياتها الممتدة الموفقة ان شاء الله معتزة بما حباها الله من توفيق ، وما منحتها من ثقة .. مستمدة من هذا وذاك نورا وزادا .

نورا يلقي مزيدا من الضوء على طريقها كي تأمن العثار في خطوها ، وتكون أكثر تحديدا وتصويبا لاهدافها .

وزادا يقوي من عزمها ، ويشد من ازرهـــا ، ويساعدها على تذليل المصاعب والعقبات التي تعترضها .. ومـــا أكثر المصاعب التي تقف في وجه كل دعوة جادة ، ورسالة هادفة ، في وقت استمرأ كثير من الناس فيه التمرد على الدين ، والتحلل من القيم ، والعزوف عن كل نداء يحد من نزوات النفوس ، وجموح الشرور ، وتســـلط الاهواء .

وما كانت دعوة الاسلام في يوم من الايام الا اصلاحا عميق الجذور يتعهد النفوس بالايمان ، والاخلاق بالاحسان ، والاعمال بالاتقان ، والاهداف بالطهارة ، والمجتمعات بالحب والائتلاف .

وكم يتطلب كل هذا من انتصار الانسان على هواه ، وكم يكلف هذا الانتصار من جهود وتضحيات ومن هنا ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) .

لا اريد يا أخي أن احدثك عن شيء من هذا فانت تحسه وتعرفه ، وتعرف بجوار ذلك أن السير في الطريق المنحدر أمر سهل لا يقتضى عزما .. ولا يكلف جهدا .. وما على الذين يختارونه ممن تصدوا لحمل أمانة الكلمـــة المكتوبة الا مجاراة النفوس في نزواتها ، واشباع غرائزها وشهواتها .. ولا يكلف ذلك الا صورة خليعة أو قصـــة جنسية ماجنة .. ومن وراء ذلك الرواج والمال .. اما ان يتقوا الله في دينهم وفي امتهم فشيء ليس في الحساب .

هذا شيء واقعي تعرفه ونعرفه ، وقد يصيبك أو يصيبني بسببه كثير من الاسى والاسف .

ولكن التجربة التي خاضتها مجلتك ((الوعي الاسلامي)) وخضتها معها ، وعشت كل لحظة مرت بها خلال هذه السنة الاولى من حياتها ، تبدد ـ ولله الحمد ـ بعض هذا الاسى ، وتزرع بدله كثيرا من الامل والثقة فى هذه الامة ، وفى معدنها الاصيل .

ان هذه الامة ـ وان علا على سطحها كثير من الزيف ، الذي قد يغرى المزيفين بالمزيد من تزييفهم ـ لا يزال جوهرها الاصيل كامنا فيها ، يثور حينما تستثيره ، ويلمع كلما حركته .

حقيقة وضع كثير من المستغربين المساحيق الغربية على وجهها ، حتى كادت تبدو على غير طبيعتها ، ولكن السأم بدأ يداخلها من طول ما عانت من تزييف وجهها ، ورواج العملة الزائفة فيها ، وظهورها على غير طبيعتها ، فأصبحت من أجل هذا تحن الى أصلها ، وتتلمس الوسائل التي تعيدها الى حقيقتها ، وتردها الى دينها ، وتوقظ الروح الكامنة فى أعماقها .

واذا كان الغرب الذي استوردنا مساحيقه ، وأغرمنا بمظاهره ، قد انتابه السام مما فيه ، وبدأ يبحث عما يبدد به سآمته ، ويوفر له طمأنينته ، فليس بغريب على هذه الامة ذات المعدن الاصيل أن تسارع بالعودة الى روحها ، وتتلمس الهادى على الطريق .

ثم كان حرص المجلة منذ صدورها على أن تستقبلك بثوبها القشيب ، وتطير اليك بجناحين : جناح يخاطب روحك ، ويلهب عاطفتك ، ويستنفر نخوتك . ويستثير فيك الحمية لبعث أمجاد أمتك ، والعيش فى ظلال مثلك وقيمك . وجناح يخاطب عقلك ومنطقك ، ويعرفك بتراثك ، ويكشف لك عن كنوز شريعتك ، وما فيها من أصالة ، وما تكفله لك من نهضة .. وحشدت لذلك كله اخوان صدق فى دينهم وغيرتهم ، من ذوى الاقلام وكبار الكتاب والمفكرين ، من أصحاب الاختصاصات المتنوعة فى جميع الاقطار العربية .. تجاوبوا معنا فى دعوتنا ، وقدموا لك ـ مشكورين ـ نتاج فكرهم ، وعصارة تجاربهم .. وكل ذلك فى حسن تنسيق ، وروعة اخراج ، وجمال طباعة .

ومن هذا وذاك كان سر التقدير الذى لاقته ((الوعي الاسلامي)) فى جميع الاقطار ، ومن كل البيآت ، حتى الذين لم يكونوا يقرأون مجلات دينية كانوا أسبق الناس فى الحرص على قراءتها .

زارني مرة مسئول فى دار المجلة .. فقدمت اليه آخر عدد صدر منها ، ورأيته شبه عزوف عنها .. ونظرت اليه ونظر الي .. وقال : صدقني لا أقرأ المجلات الدينية. فقلت له لا بأس. خذ هذا واطلع عليه . فتناوله وعكف على تصفحه ومراجعة بعض ما جاء فيه .. ثم طلب الاعداد الماضية كلها فاعتذرت .. فقال : سأشكو الى وزير الاوقاف انك تصد الناس عن الاسلام وثقافته !! ولم يخرج الا بما تيسر لنا وجوده من أعداد .

ولقد بلغ حرص القراء عليها اننا تلقينا شكاوى من كثير من البلدان العربية ، حتى من الكويت بأنها تباع فى يوم صدورها بأكثر من ضعف ثمنها ، وجاءتنا رسائل تطلب العدد الاول ، وتعرض دينارين ثمنا له .

وحين كنا نعد العدة لاصدارها ، كان الفتور الذى تقابل به المجلات الدينية فى العالم العربي عادة ، لا يفارق تقديرنا ، ولا سيما فى تحديد الكمية التي نطبعها . والتمسنا متعهدا لتوزيعها ، واتجه نظرنا الى شركة كبيرة للتوزيع ، وأرسلنا اليهـا ، فلم تكلف نفسها حتى مئونة الرد علينا ، ولعلها هي الاخرى كانت تقدر الفتور الذى قدرناه ، ولم تجد ما يغرى فى توزيعها .. حتى صدر العدد الاول ، وتكفلت ((شركة منار)) فى الكويت بمهمة التوزيع .. وكل عدد يصدر منها تتقدم بعـده تطلب زيادة آلاف عما طبع قبله .. ومع طلب الزيادة بيان بأن مجموع دخلها فى كثير من الأقطار لا يغطي أجر شحنها بالطائرة .. ومع ذلك زدنا فى حدود الامكانيات المتاحة لنا ، فلم يكن هدف الوزارة منها ربحا أو تغطية نفقات ، بل كان أداء رسالة سامية تنهض بها .

ومرت الشهور ، وزاد الطلب اضعاف ما نطبع .. طلبت شركة توزيع الاخبار فى القاهرة وحدها عشرة آلاف بعد صدور الاعداد الاولى منها .. ثم زارنا مدير الشركة الكبرى - التي لم ترد على رسالتنا من قبل - يطلب أن تقوم هي بالتوزيع ، وأن نطبع على الاقل خمسين ألفا لتغطية الطلب عليها ، ..ولم يكن قد مضت سنة على صدورها .

مرحي !. فهذا أول شيء من نوعه فى تاريخ المجلات الدينية .. وربما فى تاريخ مجلات تقوم على أساليب الاغراء واسترضاء الجنس !

هل ترى ذلك كله قد جاء اعتباطا ؟ أم أنه تجاوب الارواح المؤمنة المخلصة فى كل ركن من العالم الاسلامي مع المجلة وكتابها .

ليست لدينا صور الاغـــراء الخليعة ، ولسنا نحن ولا الكتاب ممن يستثيرون الجنس ، ويسترضون الغرائز ، ويتملقون الشهوات .. ولكن كل ما لدينـــا دعوة الاسلام الجادة لتطهير النفوس من ضعفها ، والنهوض بالمجتمعات من كبوتها ، ومحاربة الميوعة والتخنث والاستغراب فيها .

وعلى هذه الدعوة الجادة الحازمة الهادفة تلاقت القلوب ، وتنادت الارواح : حي على الفلاح .

ذلك شيء يسرنا ويسر كل مؤمن ، ويزيد من تفاؤلنا بمستقبل هذه الامة ، بالرغم من كل معاول الهدم التي تعمل فيها ، من داخلها وخارجها .. وان كلفنا ذلك مزيدا من الاعباء والجهود ، حتى نكون على مستوى هذه الثقة ، ونزحف بالركب خطوات وخطوات .. ونكسب أرضا جديدة كل عدد .. وكل عام .

وما أسعدنا بالاعباء نحملها ، وبالجهود الشاقة نبذلها ، ما دام ذلك كله فى سبيل الحق الذي نؤمن به ، ومن أجل الامة التي ننتسب اليها ((خير أمة أخرجت للناس)) .

★★★

بقيت لي كلمة مع اخواني الكتاب الذين يستجيبون لدعوتنا ، أو يتفضلون بارسال بحوثهم الينا . كلمة أبدأها بشكرهم جميعا ، ثم أنتقل بعد الشكر الى اعتذار . اعتذار عن عدم نشر بحوثهم فى الوقت الذي يقدرون . انها قد تتأخر أحيانا كثيرة ، لا صدوفا عنها ، ولا غضا من شأنها .. ولكن لطبيعة العمل فى المجلة ، والحرص على ان ننسق

لقرائها باقة مكتملة من كتاب البلاد العربية المتعددة، ومن المعارف والثقافات المتنوعة.. مرتفعين فوق مستوى الخلافات المذهبية أو السياسية .. وقد نقدم موضوعا لاهميته، وانشغال أفكار الناس به ، أو لانه يداوى مشكلة قائمة يعاني المجتمع منها ..او لانه وصل الينـــا فى مناسبته ، وقد يتاخر لان المناسبة فاتته .. ولكنه يبقى لينشر حين تعــود .

وصلنا مقال فى العام الماضي عن الهجرة بعد ان جهزنا عددهــا .. فبقى حتى نشرناه فى هذا العدد . ومن عادتنا أن نخطط للعدد قبل صدوره بنحو شهرين .

وقد نترك المقال لانه قصير جدا لا يكمل صفحتين ، ولا يرتفــع لمستوى بحث نقدمه لك حرصا منا على مستوى الكاتب والمجلة ، ونحن بعد ذلك نتقبل بصدر رحب كل عتب ، وبهذه الروح نرجو أن يقدر الاخوان الظروف ويتقبلوا العذر . والقافلة تسير .. وكلنا خدام هذا الركب .. والنوايا الطيبة متبادلة ومتوفرة بحمد الله .

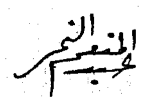
وكلمة اخيرة لكنها ليست بجديدة . انها كلمة انقلها هنا من افتتاحية العــدد الاول لانني ما زلت مؤمنا بها ، راجيا من اخواننا الكتاب ان يبادلوني رأيي فى العنـاية بها : ((ان القراء يواجهون مشاكل جديدة فى حياتهم يريدون رأي الدين فيهــا . لم يعودوا يكتفون بتقرير أن الدين صالح لكل زمان ومكان . بل يريدون تطبيقا عمليا لهذه الحقيقة التي يؤمنون بها كذلك)) .

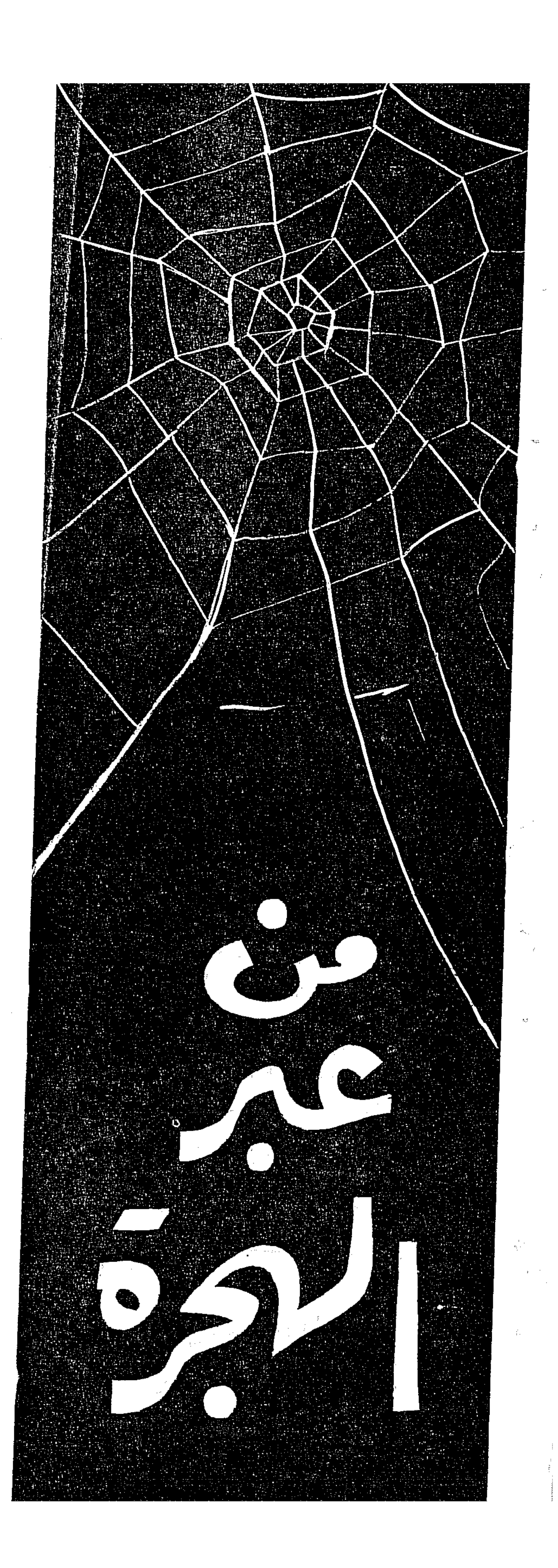
((ان معاملات قد جدت ، ومبادىء فى تكييف الحياة قد ظهرت ، ولم تكن موجودة حين وضع الفقهاء والاصوليون كتبهم وقواعدهم ... والعقلية الجديدة لم تعد تؤمن بأن باب الاجتهاد قد اغلق للابد ، أو أن الاوائل لم يتركوا للاواخر شيئا كما يقال ..)) ((فأين الاجتهاد اذن ؟ اين محاولات العلماء المتخصصين لوضع حلول لمشاكلنا الجديدة؟ ذلك هو ما اريد ان يحاوله كتابنا ، وما اريد أن افتح صدر المجلة له وأعرضه للمناقشة لعلنا نصل بذلك الى خطوة تتبعها خطوات فيما نامل ونرجو)) .

وأزيد على ذلك : الحيرة التي يعيش فيها شبابنا بين عقيدتهم وتشريعهم ، مذاهب غريبة تغزو الافكار ، وتتصل بالعقيدة ، أو بنظم الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، هذه لا بد أن نعني بعلاجها ، وان نقدم لشبابنا ما يخرجهم من هذه الحيرة ، ويثبت ايمانهم بعقيدتهم وتشريعهم .. ليواصلوا دورهم — حين ياتي — فى تدعيم كيان هــذه الامة وخصائصها .

ولقد سرني أن يستجيب بعض كتابنا لعلاج هذه الناحية الهامـة فيما نشرناه وسننشره ان شاء الله ، وأحب أن الفت اليه نظر القراء وبخاصة الشباب .

وعلى بركة الله وهديه نشق الطريق . ومنه سبحانه العون والتوفيق .





للاستاذ البهي الخولي

((الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)).

— ١ —

فى هذه الآية الكريمة من عبر الهجرة ، ما يثبت الايمان ، ويزيد المرء بصيرة بتوحيد الله عز وجل ، وثقة بأسرار الحق فى هذا الوجود .

فالله سبحانه يقرر فيها انه نصر رسوله صلى الله عليه وسلم فى ظروف تجمع فيها لعدوه كل ما يعرف الناس حينئذ من أسباب الغلبة ، دون ان يجتمع له منها سبب واحد .. ذلك لأن العبرة ليست بما يجمع الناس من أسباب

ظاهرة ، بل ما يخفي الله وراء تلك الأسباب من عجائب القوى ، وأسرار الغيب .

ان جهدنا فى هذا الوجود ان نتصرف فيما يبدو لنا من مادته على اختلاف صورها وألوانها ، وفق ما رسم الله لنا من علم ، وكشف لنا من وسائل .. ولكن وراء المادة وما لها من صور وألوان عالما آخر واسع الآفاق ، عظيم القدر ، حافلا بأسرار القوى ، لا يرى بعين ، ولا يسمع بأذن ، ولا يلمس بيد ، ولا يعلم أحد جند الله فيه الا هو سبحانه .. وتلك الأسرار والقوى انما هي أمر مسخر لكل من عرف الحق ، واتخذ كل سبيل لنصرته .

— ٢ —

نعم هي أسرار مسخرة لتأييده لا محالة . ما دام قائما بأمر الحق ، آخذا له بكل ما استطاع من سبب .. وهي فى الشدائد بوجه خاص ، جند مسخرة لنصرته وتلبية مشيئته ، وجبر ما نقص من أسبابه وعدته ، فاذا لم يستطع حشد الكثرة الكاثرة — مثلا — لمواجهة عدوه ، قامت هي له فى الخفاء مقام الكثرة ، وما فوق الكثرة ، وتولت عنه علاج عدوه بما لا ترى العين ، ولا تسمع الأذن ، فاذا هو من حيث لا يدرى ، قد بطل كيده ، وضل تدبيره ، وختم على سمعه وقلبه ، وصار فى أيدى جند الله كالدمية الجامدة ، يصرفونها على حسب مشيئته سبحانه .

وذلك هو ما نقرأه فى عبرة الهجرة ، اذا كان العدو بخيله ورجله قد أحال مكة كلها ، وما يحيط بها من بطاح وهضاب ، ميدانا لمعركة رهيبة تطلب دم النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس معه من الاعوان سوى رجل واحد — وليس اقل فى العدد من واحد — لتسلم العبرة ، ويقوم الشاهد أقوى ما يكون على ان الباطل لا حجة له مهما يكن عدده ، وأن الحق هو القوة الغالبة مهما يهن فى رأى العين شأنه ونصيره ، وذلك قول الله سبحانه « الا تنصروه فقد نصر الله » .

متى ؟ ! .. « اذ أخرجه الذين كفروا » .

فى كم رجل ؟ ! .. « ثاني اثنين » .

ولكن اين المعركة هنا ؟ .. وأين مظاهر النصر ؟ .

ان الناس قد اعتادوا الا يعترفوا بنصر ، ولا يقروا بمعركة،الا اذا شاهدوا جمعين يلتقيان ، فيغلب احدهما الآخر ، ثم يستخرجون من بعد ذلك ما شاءوا من عبر النصر ، او نتائج الهزيمة . وهذا فهم ساذج ، وتقدير فيه قصور ، فان الغلبة فى الحقيقة ، انما هى غلبة فكرة لفكرة .. ورأى لرأى .. وعقيدة لعقيدة ، وليس ضروريا ان تلتقى الجنود ، ولا ان تقوم المعارك ، وتزهق الأرواح ، وتتناثر الأشلاء .

ان العبرة فى النصر ان تغلب ارادة ارادة ، وأن ترجح وجهة نظر على وجهة نظر أخرى .. وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يهاجر .. وأراد الكفار ان يمنعوه من الخروج ، ويقهروه على ارادته تلك ، بالقتل ، أو بالحبس ، وجمعوا لذلك من الرجال والسلاح ما جمعوا ، ورصدوا له من الأموال ما رصدوا .. فماذا كانت النتيجة ؟ . هل نفعهم ما جمعوا ورصدوا ؟ .. الم تنتصر ارادة النبي وتنهزم ارادة عدوه ؟ .. الم تنفذ وجهة النبي ، وتنتكس وجهة عدوه ؟ .

لو أن ظروف النبي صلى الله عليه وسلم امكنته ان يلقى تلك المعركةفى امثال عدتها من الرجال والسلاح ، ليغلب هؤلاء على ارادتهم ، ويمضي الى هجرته

التي أمر الله ، فماذا كنت تقدر لتلك المعركة من الرجال والمال والسلاح ؟ وماذا كنت تقدر لها من خسائر الضحايا والجرحى والمشوهين ؟ .

انك قد تبالغ فى تقدير حاجة المعركة الى الرجال ، وكثرة ما يكون فيها من خسائر الأنفس والثمرات ، وقد تذهب الى التهوين من امر ذلك كله ، وتنزل بتقدير عدد الرجال والخسائر التي تنجلي عنها المعركة الى اقل عدد يسيغه العقل المنصف ، او المكابر ، ولكن مهما تذهب فى تهوينك ، ومهما تنزل فى تقديرك ، فانك لن تبلغ ان تقول انه يكفي لمواجهة تلك المعركة ، وتنحية المشركين من وجه الهجرة ، وردهم على أعقابهم خاسرين ، لن يبلغ بك ان تقول انه يكفي لمواجهة ذلك كله رجل واحد ، وأنه لا يكون هناك من الضحايا أو الاصابة شيء مذكور .

وهذا هو لباب العبرة ، وسر تدبير الحق سبحانه من وراء الأسباب ، فأعز عبده بغير جند ، ونصره بغير معركة ، وكثره بغير عدد ، وهو من فقه الايمان ، وعجائب تصريف الحق فى عالم الخفاء ، التي تطالعنا من ثناياه قوله جل شأنه « الا تنصروه فقد نصره الله .. اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

— ٣ —

ونرى الآية الكريمة تمضي فى تجلية عجائب النصر ، فلا تكتفي بتقرير هوان الكثرة المبطلة ، بازاء القلة المؤمنة ، بل تعرض لأمر آخر لا يقل عجبا عن سابقه ، فتتحدث عن « استراتيجية » مكان المعركة ، وتبين أن العامل «الاستراتيجي» كان فى صالح الاعداء ، ولم يكن فى صالح الطرف الآخر بوجه من الوجوه .

فمن المقرر فى الحروب أن احد الخصمين اذا سبق خصمه الى احتلال أصلح المواقع ، واضطره الى النزال فى اماكن غير صالحة لتحركاته ، كان ذلك من عوامل النصر للسابق ، وعوامل الهزيمة لخصمه .. ولكن حين يحتشد الباطل لمنازلة الحق ينسخ الله كل ميزات « الاستراتيجية » اذا كانت ضد اهل الحق .. ولم يكن فى معركة الهجرة اضيق من غار ينزله احد طرفي المعركة ، ليقيم الله منه الحجة الباقية على ان قوانين الزمان والمكان ، انما تعمل بمشيئته سبحانه ، لا بمشيئة الطغاة من اهل الباطل ، فلقد كانت بطاح مكة ورباها كلها ، ميدانا حرا لتحركات العدو ، وكان الغار الضيق فى متناول ايديهم وتحت ابصارهم .. وهو بعد غار ضيق لا مجال فيه لحركة دفاع او هرب ، وما كان عليهم الا ان يمدوا ايديهم فيستولوا عليه ، ويأخذوه اخذا هينا سهلا ، ولكن هيهات لما يريدون ، فقوانين السماء تنسخ قوانين الأرض عندضرورة الحق ، لتنبعث آية النصر متحدية باذن الله كل تنظيم مكاني ، ناطقة بأن الحق وحده ، هو القوة الفاعلة الغالبة فى هذا الوجود ، وأن الباطل ان هو الا صور من الوهم ، لا سند لها ولا قرار ، وهو ما تقرره الآية الكريمة فى شأن الغار بقوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين » .

فى أى مكان ؟ ..

« اذ هما فى الغار ! » ..

وكتاب الله الذى فصله على علم ، ما كان ليذكر كلمة الغار سدى ، ولا جزافا ، فهو المنزه عن اللغو والحشو ما ذكرها

سبحانه الا ليرفع منها علم هذه العبرة ، ليزيد العقول والقلوب علما بسعة تدبيره جل شأنه .

— ٤ —

ويمضي القول الكريم بعد ذلك ليقرر ان الرسول عليه الصلاة والسلام،اذ فقد فى هذه الجولة صلاحية المكان،وعامل الكثرة العددية ، فقد عاملا آخر ، لا غنى عنه فى أية معركة ، هو عامل السلاح فى الوقت الذى تسلح فيه عدوه بكل ما رأى من عدة كافية .. فاذا صار المرء المؤمن الى مثل هذا الموقف الاعزل المحصور ، تولته مقادير الله بما لا يدور فى خلده من تدابير النصر ، فيشعر أنه من رعاية الحق فى حصن أمنع من كل حصن ، وأنه من اعتزازه بحقه فى امضى من عدة الكمى ، وهذا هو بعض ما يطالعنا من نور قوله سبحانه « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » .

وسر النصر كله فى قوله تعالى « ان الله معنا » .

فلقد قلنا ان النصر يتبين فى ظهور فكرة على فكرة ، ورأى على رأى ، وارادة على ارادة ، وذلك هو النصر فى الأمور الجزئية ، ووقائع الصراع فى سلسلة الجهاد الطويل ، اما النصر العام والقاعدة الكلية له ، أن يوفق المرء الى اعتقاد الحق ، والعمل له ، كما ان الخذلان العام ، والقاعدة الكلية للدمار ، أن يوكل المرء الى اعتقاد الباطل ، والعمل له .

ذلك ان الحق هو السر الذى قام به الوجود .. واذا تسامحنا فى التعبير قلنا ان الحق هو المادة التي صور بها او صور عليها هذا الوجود ، ولكنه مادة غير مشاهدة ، وسر غير منظور .. فمن اعتقد الحق فقد اسكن قلبه سر الحياة .. والقوة ، وبنى وجوده الحسي والمعنوى على الأساس الذى لا تعترف قوانين الوجود بسواه ، وذلك هو النصر كل النصر .

اما الباطل فهو وهم من تخيل الامزجة الفاسدة ، والعقول المضطربة ، وصور حائرة لا قرار لها ولا سند كما قدمنا . فمن ذهب هذا المذهب من الباطل فقد أبعد عن الحق ، وقطع نفسه عن موارده وأسكن قلبه سر البوار والكساد ، وذلك هو الخذلان الحق ، والهزيمة شر الهزيمة ؟ .. وقد نعى الله على قوم انهم أبعدوا عن الحق وناوأوه ، ووصف فعلهم بأنهم انما يهلكون انفسهم ، ولا يخذلونها فحسب ، وذلك قوله تعالى « وهم ينهون عنه وينأون عنه ، وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون » .

ولقد تخلف الأعراب عن رسول الله فى غزوة الحديبية ، وأعدوا فى انفسهم ما يعتذرون له به ، فكشف الله له حقيقة امرهم ، وبين انهم ظنوا ظنونا سيئة ، واعتقدوا امورا باطلة زينها الوهم فى صدورهم ، فأورثتهم الهلاك والبوار ، وهم ما يزالون احياء بين الناس ، وذلك قوله سبحانه « بل ظننتم ان لن ينقلب

الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا ، وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء ، وكنتم قوما بورا » (... أى قوما هالكين ...) .

فاذا قلنا ان حقيقة النصر ، ان يعتقد المرء الحق .. وأن حقيقة الخذلان ، أن يوكل المرء الى الباطل فانما نصيب الحقيقة التي قررها كتاب الله عز وجل .

ولقد كانت كل حقائق النصر تزدحم فى وجدانه عليه السلام وهو يقول لصاحبه « لا تحزن ان الله معنا » وليس ادل على اعتقاد الحق فى اصفى صوره واعمقها وأقواها ، من شعور المرء بمعية الله سبحانه ساطعة فى وجدانه ، ماثلة فى كل اقطار وعيه وحسه، تهون له كل ما عدا الله من جند او سلاح ، وتقر فى ادراكه يقين النصر ، ومدد المعونة فيقول « حسبنا الله ونعم الوكيل » اذا قال له الناس « ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم .. » او يقول اذا اجتمع العدو حول غاره وأوشكوا أن يطبقوا عليه « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » « لا تحزن ان الله معنا » ذلك درس عميق من معانى النصر يجب ان نعيه من عبر الهجرة .

— ٥ —

وبعد فاذا تلونا هذه الآية الكريمة فى ذكرى الهجرة او فى غير ذكراها ، فلنلحظ ان الله سبحانه كرر كلمة « اذ » ثلاث مرات .

اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ..

اذ هما فى الغار ..

اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ..

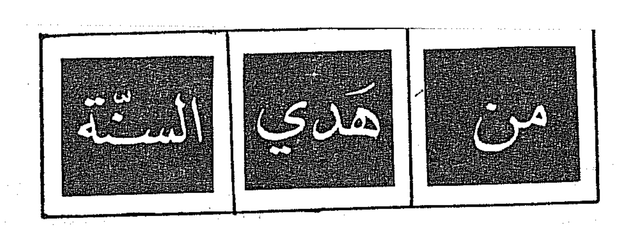
لينسخ فى الأولى عامل الكثرة العددية اذا كانت مبطلة .. وليبطل فى الثانية لعبده المؤمن المضطر ما يسمى « باستراتيجية » المكان .. ولينبه فى الثالثة الى ان حقيقة النصر ان يوفق المرء الى اعتقاد الحق والعمل به ، وأن كل ما عرف الناس من الوان السلاح ووسائل القتال انما هي فى نظر المؤمن ادوات مغلولة معطلة بازاء ما يملأ قلبه من ثقة بربه عز وجل .

نعم فلنلحظ هذا ، ولنعلم الى جانبه ، أن الله لا يعطل القوانين ، ولا يبطل السنن لأهل الكسل والتشدق بمعانى الايمان .. فان ايقاف السنن وخرق العادات امر خطير جليل لا يطوعه الله الا لمن مسك بالحق ، وأقام معالمه فى نفسه ، وغلب سلطانه على هواه ، وسخر له وقته ، وماله ، وعلمه ، وعقله ، وجوارحه ووجوده كله .

ان الحق هو حبل الله المتين ، الذى تحرك به فى السماء ما شاء الله من مقادير ، وسنن ، وجند ، وأسباب ، ولكن اذا عرفناه حق المعرفة وصبرنا عليه ، وجاهدنا فيه حق جهاده .

* * *

نسأل الله سبحانه أن يبصرنا بالحق ، ويهب لنا العزيمة عليه ، والحياة له وبه ، والممات فى سبيله ، انه سميع قريب مجيب الدعاء .



الفقه في الدين

المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاماً

لفضيلة الشيخ علي عبدالمنعم عبدالحميد
المستشار الثقافي لوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((من يرد الله به خيرا يفقهه (١) فى الدين ، وانما العلم بالتعلم (٢)))
متفق عليه

تمهيد :

١ ـ الدين الاسلامي الذى أوحاه الله سبحانه جملة وتفصيلا الى خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، هو خلاصة ما بلغه رسل الله عليهم السلام من قبله، (٣) فجميع الشرائع التى جاءوا بها تنص صراحة على توحيد المعبود ، وافراده بالانقياد له ، والخضوع لجلاله ، وان بدا واضحا شيء من الاختلاف فى بعض التكاليف وصور الأعمال . فالمسلم الواعي العامل بدينه ، هو من خلّص قلبه من شوائب الشرك . وأسلم وجهه لله رب العالمين (ومن

---

(١) الفقه : بكسر الفاء العلم بالشيء والفهم له ، والفطنة .. وغلب على علم الدين لشرفه . ويقال : فاقهه ، باحثه فى العلم ففقهه ، غلبه فيه . (والدين) : بتشديد الدال (المهملة) وكسرها ، من استعمالاته ، انه يطلق اسما لجميع ما يتعبد الله عز وجل به ... وفى الحديث الشريف : كان النبي صلى الله عليه وسلم على دين قومه ، أى على ما بقى فيهم من ارث ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فى حجهم ومناكحتهم وبيوعهم وأساليبهم .. الخ .

(٢) فى اللغة . علم الرجل علما ، حصلت له حقيقة العلم ، وعلم الشيء عرفه وتيقنه وعلم الامر، أتقنه ، وهو فعل مطاوع ، يقال : علّمته فتعلم .

(٣) قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ....) ١٣ سورة الشورى .

احسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) .

٢ ــ والله تبارك وتعالى عليم بما ينفع العباد وما يضرهم ، وخبير بما يدفعهم قدما الى ما يسعدهم فى الآجلة والعاجلة ، وما يعوق سيرهم ، وينحرف بهم الى جادة المغضوب عليهم والضالين ، وما يتردى بهم فى هاوية البغضاء والأنانية المقيتة القاتلة ، ويفسد جواء حياتهم بالحقد والتنافر والتعادى والتشاحن ، ويحيل المقام على الأرض جحيما وعذابا اليما . فتتبدل نعمة الله كفرا . ويئول أمر البشر الى بوار ودمار ، وما كان الله جلت قدرته ليترك الخلق سدى بددا دون هداية ، عباهل مباهل بلا راع ولا قائد .

٣ ــ فأرسل الرسل ، وقفاهم بسيد أولى العزم ، وأنزل عليه شريعة محكمة ، لم تغادر من أمور البشر شيئا الا كان لها فيه القول الفصل . مضت ترافق الانسان منذ أن جنه رحم أمه الى أن يواريه ثرى رمسه ، فترعاه جنينا وطفلا وصبيا وشارخا وكهلا ، وتدرس ما يحيط به فى تلك المراحل لا على أنه فذ يعيش فى برج مشيد ، وانما باعتباره عضوا فى مجتمع لجب صاخب ، لهذا المجتمع معاملاته وتشريعاته وقضاياه وحوائجه المعاشية ، مع احكام صلاته بغيره من أبناء جنسه ، بل ومع الحيوان والجماد أيضا ، فهو سيبنى الدور ، ويقيم المصانع ، ويشق الطرق ، وتكون له المزارع ليطعم ويكتسى وآلاتها لتنتج ما يكفيه فى مستوى لائق كريم .

٤ ــ فالاسلام فى جوهره وأصوله ، فى نصه وروحه ، يعطى ــ ان لم يكن تفصيلا ــ قواعد كلية تعالج كل مشكلة فى الحياة ، وتطب لكل داء ، ومن يتعمق فى فهم تراث الأولين ممن صحبوا رسول الله ، ومن سلك طريقهم من تابعيهم ، يجد تطبيقا للأحكام على الواقع ، الأحكام المنصوصة نصا ، او المستخلصة من النصوص ، بعد فهم وروية ، وتعاون صادق رائده المصلحة العامة ، ولهذا أعان ابا بكر أصحاب رسول الله بآرائهم فى المشكلات التي واجهته بعد حبيب الله ، ولأجله أيضا حبس عمر كبارهم عن الانتشار فى الاقطار المفتوحة ، ولما مضت بهم الأيام الى النهاية المحتومة هيأ الله رجالا حملوا الأمانة فكان الأئمة المجتهدون الذين تفقهوا فى الدين ففقهوه ، ووعوه وأدوه للأجيال التي عاصرتهم والتي جاءت من بعدهم ، اولئك الذين أراد الله بهم خيرا ففقههم فى الدين ، وتعلموا وعلموا فأفادوا وخلدوا .

الفقه فى الدين

١ ــ من استقصاء المعانى اللغوية (للفقه والدين) والربط بينها وبين مدلولاتها الشرعية ، نجد النور العقلي يضيء جوانب الدلالات الأصيلة ، ويغوص فى قوة ادراك ، وحمية ايمان باحثا عن لآلئها المخبأة ، وجواهرها المكنونة ، ليبرزها فى ثوب قشيب يتهافت على اقتنائها طلاب الحق ، ورواد المعارف الانسانية ، ومحبو السلام والاستقرار والحرية .

هذه حقيقة أدركها الذين باعوا أنفسهم لله ، والذين نفضوا عنهم غبار الجهالة حين بهرتهم الدعوة الملحة الى العلم

والتعلم والبحث والدرس والتي حملها الاسلام فى صراحة صريحة ، وسلك بها دروبا لم يسر فيها غيره وولج أبوابا لم يطرقها سواه ، فلا يعرف دين سبقه الى الحث على العلم كما حثت آيات قرآنه وسنة رسوله ، وما ذاك الا سعيا لابراز قوة الشريعة الاسلامية ليتجه اليها المتخصصون ، وليحملوها الى الناس كافة تدفع عنهم الضير وترفع الاصر ، وتحطم الأغلال .

٢ ــ الناس أعداء ما جهلوا ، ومن جهل شيئا عاداه ، والشريعة الاسلامية فى العصور المتأخرة لم تجهل فقط ، وانما جهلت وأهملت ، واذا ذكرت فانما تقرن بالسخرية والاستهزاء او الوحشية والاجرام والقهر والاذلال .

وتعالوا نتأمل وضعها فى القرن الماضي وأوائل القرن الحاضر ، ونتأمل المسلمين عنوانها ، ودعاتها ، وحكام الأقاليم الموسومة بها ، نجد فى كل مكان جهلا فاضحا بالشريعة نفسها بين أبنائها ، اللهم الا أضواء خافتة تتراءى هنا وهناك لا تغنى ولا تفيد ، يحقرها الغريب عنها ، ولا يشعر بوجودها المقيم فى رحابها .

ما الذى يدعو المفكرين الى البحث عن الاسلام ؟ أجهل ابنائه أم فقر دوله وظلم حكامها ، واستعباد الرعية وسومها الخسف والارهاق ، أم البروج العاجية التي يعيش فيها قادة الجند وزعماء الجاه والسلطان ؟ .

٣ ــ ولما بدأت أمم الاسلام تفرك عينيها ، وتحاول تحريك جسدها لتنهض على قدميها بهرها المنظر الساحر البراق فى واد غير واديها فتطاولت اليه أعناقها لا لتساير الرقى الصناعى وحسب ، ولكن لتتمرغ فى حمأة التشريعات الغريبة عن بيئتها والمصنوعة لغيرها ، تنقلها كما هي دون تدبر أو وعي أو تفكير فهوت جاثية أمام الغزو الفكرى المريع ، وأخذت بالدعاية البراقة الخادعة الماكرة ، ذات الظاهر الناعم الملمس ، والباطن المنطوى على العداء الماحق الفاجر ، ودكت حصونها حين خلت من المدافعين الأقوياء ، وماذا تجدى قلاع لا تحميها السواعد الفتية، ولا العقول الفاقهة النيرة ، ودیس التراث ولاكته السنة السوء ممن ينتسبون اليه وهو منهم براء ، ممن يعيشون على اسمه ويلفون فى دمه ، ، ومَنْ يحتمون فى ظلاله ويقطعون أوصاله .

٤ ــ دفعا لمثل ما وقع فى الفترة التي غشى فيها الجهل كل مرافق الأمة الاسلامية ، وتحذيرا من الاندماج فيه ، كانت وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعلم ، والفقه والتفقه .

وكلمة (خيرا) فى الحديث الشريف نكرة فى سياق الشرط فتعم كل خير وتنوينه للتعظيم ، فهو الخير الكامل ، وفيه بشرى عظيمة للمتفقه ، كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ، وانما أنا قاسم والله يعطى) (١) وفى حديث آخر (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام ، اذا فقهوا) (٢) وروى الترمذى وابن

(١) متفق عليه

(٢) رواه الامام مسلم فى صحيحه .

ماجة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد) .

وقول الرسول الكريم (وانما العلم بالتعلم) يدفع الى تلقى العلم من أربابه فقد لا يستطيع طالب العلم البادىء الاستفادة من مجرد مطالعة الكتب ومراجعة ما لديه من موسوعات ، فللعلم اصطلاحات، وللمؤلفين اتجاهات واشارات وتوجيهات يعيى بها اللبيب ولا تدرك الا بموقِّف (بتشديد القاف المكسورة) وفى الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عبارات يحتاج فهمها على حقيقتها الى طول بحث وتدارس مع أستاذ فاقه واع، وقد تمضى بالمرء السنون وهو مقيم على فهم خاطىء لا يصححه الا توضيح موضح أو اجابة لوذعى مدره ، او الجلوس فى مجلسى حبر ذى قدم راسخ فى العلوم .

ولو كانت القضية مجرد اطلاع ، او استقلال بفهم ، ما حث القرآن على الهجرة فى طلب العلم من مظانه حين يقول (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وفى قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) وقال تعالى (ويعلمهم الكتاب والحكمة) .

٥ ـ والآن فى الحِقبَةِ التى نعيشها نرى نور العلم العام آخذا طريقه الى كل مكان فى الامة الاسلامية ، يدخل اليها شعاعه من الكوى والنوافذ ويفتح لأبنائها مجاله ليلجوا من أوسع الأبواب ..

وأحب ان أضع بين يدى أبنائنا المسلمين حقيقة ما أظنها خافية على أولى الالباب وأصحاب الاطلاع الواسع، وذوى النظر الفاحص البعيد عن التعصب الغالىء للعقول عن الانطلاق فى حرية اتجاه وكمال توجيه، تلكم هي: ان الذين حاربوا الدين فى الغرب والشرق لم يكن لهم اطلاع موجّه على الاسلام وحقائقه ولا معرفة كاشفة لأصوله وفروعه ، ولهذا لم يكونوا متجهين بأسلحتهم المختلفة اليه بتاتا، وانما أرادوا بالاصالة حرب الاستعباد الديني الكهنوتى المتحكم فى تفكيرهم وأمور حياتهم ، والذى يسد عليهم منافذ الرحمة واللقاء مع الله ـ حتى ولا دعائه ـ الا اذا استعملوا المفتاح الذى بأيديهم هم (١) فكم من رأس هوى باسم الدين ، وكم من ضحية قدمت باسم الكهنوت المقوت الذى ثار عليه (مارتن لوثر) ومن نهج نهجه وعبر على طريقه .

ولكن .. جاء حرب الاسلام تبعا لحرب مطلق دين ، واعان الجهل بقواعد الاسلام ، على اذكاء تلك الحرب ، واشعال نارها ، ومن فضل الله علينا ان نرى بوادر اليقظة الاسلامية تأخذ طريقها الى الوجود وتتسع رويدا رويدا منذ حارب كثير من العلماء النصب والأزلام ، ومنذ ظهر على مسرح الحياة بعض الأفذاذ من رجال الاسلام المتمكنين فى بدء القرن العشرين الميلادى فى مختلف الأمصار ، وأشاعوا فى المسلمين الوعي الاسلامي القويم .

ـ البقية على ص ٣٧ ـ

(١) أى الكهنة



الهجرة النبوية

والأحداث التي جرت

للاستاذ محمد عزة دروزة

بين النبي والمسلمين واليهود في

فزع قريش من البيعة

كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى يثرب ثاني أعظم حادث في تاريخ الاسلام من حيث مداه ونتائجه . حيث كانت نقطة الانطلاق الى أبعد الآفاق في سبيل نشر الاسلام وعزته وقوته واستكمال شرائعه ، بعد ان نجح زعماء قريش في حصر السيد الرسول في عزلة ضيقة وقلة ضعيفة . وقد كانوا يتربصون به ريب المنون ، فينتهي أمره بزعمهم ، وتذهب حركته بدرا ، كما حكته آيات قرآنية عديدة . ولقد طار صوابهم ، وقلقوا أشد قلق لم يشعروا بمثله منذ بدء الدعوة ، حينما علموا بالاتفاق الذى تم بينه وبين بعض رجال يثرب من الاوس والخزرج على هجرته مع أصحابه اليهم والدفاع عنه ونصره ومؤازرته . لانهم لم يفتهم ان هذه الهجرة ستكون كما قلنا نقطة انطلاق له ولدعوته الى أبعد الآفاق ، وانها ستتهددهم بأعظم الاخطار . لان يثرب طريق قوافلهم ومن مصادر تموينهم الرئيسية . وحسبوا ان العداء سينشب بينهم ، وان الطريق ستنسد عليهم ، فاجتمعوا ، وتآمروا على النبى لمنعه من ذلك . اما بحبسه أو قتله أو نفيه الى دار اقامة وعزلة اجبارية في مكان ما تحت سيطرتهم ، كما ذكرت ذلك آية الانفال هذه (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ....) .

يثرب : سكانها وبيئتها

ولقد كان في يثرب أولا بطون قبيلتين عربيتين قحطانيتين متفرعتين من قبيلة الازد اليمانية الكبرى : وهما الخزرج

والاوس اللتان كانتا هاجرتا اليهـا فى سياق الهجرة القحطانية التى سببهـا سيل العرم وانهدام سد مأرب ، وهو من سدود اليمن التى كانت تنظم الرى عبر عشرات القرون . وكان ذلك قبل البعثة بمدة غير قصيرة ليس الى التحقق من مداها سبيل علمي . وكان ثانيـا بطون ثلاث طوائف يهودية هي بنـو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة . ولقد ذكرت بعض الروايات أن هذه الطوائف قبائل عربية متهودة . غير أن القرآن فى مخاطبته اياهم ببني اسرائيل جعل ذلك الزعم متهافتا .

وكل ما يمكن أن يصح أن يكون بعض أفراد من العرب فى يثرب قد تهودوا ، واندمجوا فيهم ، وأن يكون قام بينهـم وبـين بعض بيـوت عربيـة مصاهرات متبادلة . وليس هنـاك امكان علمـي لتحديد الوقت الذى جاءت فيه هـذه الطوائف الى يثرب . ولكن شدة الاندماج بينها وبين العرب وغدو اللغة العربيـة لغة ثانية لها ، أو لغة جمهورهم واتخاذهم أسماء عربية لأجيال متوالية ، قد يدل على أن ذلـك كـان قبـل البعثـة النبوية ببضـعة قـرون . ولعله كان عقب انزال الرومان فى أواخر القـرن الاول الميـلادى ، ثم فى القـرن الثاني ضرباتهم الشديدة على بني اسرائيل فى بيت المقدس وسائر أنحاء فلسطـين وتشردهم فى آفاق الارض .

وقد كانت يثرب ذات مناخ معتـدل نوعا ما . فيها العيون والآبار ، وتنزل فيها الامطار، وتسيل الوديان، وكانت تربتها خصبة ، ويحيط بها الهضاب . فسكن فريق من هذه الطوائف فى السهول ، وسكن فريق آخر فى الهضاب المتاخمة للشمال . واشتغل هؤلاء بالزراعـة ، وأنشأوا بخاصة بساتين النخيل ، وهم بنو النضير وبنوا قريظة،فى حين اشتغلت الطائفة الثالثة التى سكنت فى السهل ، وهي بنو قينقاع بالتجارة والصناعة ، وصار لها سوق باسمها .

وهناك رواية تذكر أن هجرة هـذه الطوائف الى يثرب كانت أسـبق من هجرة الاوس والخزرج اليها . وقـد تكون صحيحة لانه كان من الصعب على هذه الطوائف أن تتخذ يثرب سهلهـا وهضابها منازل لها ، وتعمرها كما تشاء لو كان الاوس والخزرج فيها قبلهـم ، وليس الى تحقيـق ذلـك امكان علمي كذلك .

يهود شبه الجزيرة

ولم تكـن يثرب وحدها منتجعا أو منزلا للمشردين من بني اسرائيل الـى هذه الناحية ، حيث كانت هناك طوائف اسرائيلية اخرى حلت فى الواحات القريبة من يثرب على طريق الشام مثل خيبر ووادى القرى وفدك وتيماء والجرباء . بالاضافة الى طوائف اخرى منهم نزلت فى أماكن اكثر قربا الى الشام منها الى يثرب ، عرف منها بنو جبنة وبنو غاديا وبنو عريض ونزلاء متنا وأذرح . وقد يفيد هذا أن الاسرائيليين المشرديـن اتجهوا من فلسطين الـى البلقاء ، ثم أوغلوا الى ناحية جزيرة العرب الشمالية، وأخذوا يستقرون فى أماكن متفرقة بين الشام ويثرب وجدوا فيها المناخ المناسب والتربة الخصبة والمياه الوفيرة ، وكان أبعدهم نجعة الطوائف الثلاث التي حلت فى يثرب ، ثم الطوائف الاخرى التـى حلت فى الواحات القريبة منها .

وهناك روايات فيها كثير من الخيال تتحدث عن ملك لليهود فى يثرب وتسلسله وقـدوم الاوس والخـزرج فى عهـده واشتغالهم عندهم عمالا زراعيين ، وكانوا

قد اعتادوا العمل الزراعي في اليمن . واضطهادهم اياهم واستطالة آخر ملوكهم المسمى النيطون وهو الوحيد الذى ذكرت الروايات اسمه منهم — على أعراضهم مما أثار نخوة فتى منهم اسمه مالك بن العجلان ، فوثب على ذلك الملك، وقتله ، ثم فر لاجئا الى ملك حجر او ملك غسان على اختلاف الروايات مستغيثا على اليهود باسم قومه ، فلباه، وقاد حملة نكلت باليهود ، فذلوا منذئذ ، وانقلب الاستعلاء فى الارض للاوس والخزرج .

الاوس والخزرج

ومهما يكن من أمر فان الواقع الذى كان قائما فى عصر النبي صلى الله عليه وسلم والذى اشارت اليه آيات القرآن اشارات خاطفة أو صريحة ، والذى قد يرجع الى نحو مائة سنة قبل البعثة يفيد ان الاوس والخزرج كانوا هم اصحاب الرأى فى يثرب . وانه كان شيء من التناظر والتنافس بين القبيلتين كان يؤدى احيانا الى اشتباكات حربية وان بعض طوائف من اليهود كانت متحالفة مع الاوس وبعضها مع الخزرج ، وان كل فريق كان يعادى ويحارب مع حليفه الفريق الاخر الذى كان مؤلفا من عرب واسرائيليين ، وقد يفيد هذا أن طوائف الاسرائيليين لم تكن منسجمة ومتكتلة مع بعضها ، وقد يكون ذلك ناشئا من حب التفرد بالاستقلال والمنافع .

ومن هذا الواقع انه كان لطوائف اليهود فى يثرب مركز اقتصادى وزراعي وتجارى وثقافي قوى بين جيرانهم العرب جعل هؤلاء الجيران ينظرون اليهم بنظر الاحترام والاعتبار والثقة . وفى القرآن كثير من الصور التى كان اليهود يعمدون اليها الى ترسيخ كل ذلك بين العرب ليضمنوا لانفسهم الاستقرار والاحترام والاستقلال.

ومع ذلك فان من الواقع الذى تؤيده اشارات قرآنية عديدة ان اليهود كانوا يعيشون فى قرى محصنة ومساكن من وراء جدر وأسواق وحصون ، وكانوا يحرصون على حيازة كميات كبيرة من السلاح ليضمنوا لانفسهم الحماية فى الوسط الذى كانوا على كل حال غرباء عنه ، ويظهر من تلك الاشارات ان اليهود كانوا مطمئنين الى مناعتهم ، وان جيرانهم العرب كانوا يحسبون انهم كذلك ايضا (ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) سورة الحشر .

ومن ذلك الواقع المؤيد بالاشارات القرآنية أنهم كانوا يبشرون ببعثة النبي الامي (أي العربي) الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة ، ويقولون للعرب انهم سيكونون حزبا معه ، ويستفتحون به عليهم . ولقد ذكرت الروايات ان الفريق العربي اليثربي الذى اجتمع لاول مرة بالنبي قال بعضه لبعض : ان هذا لهو النبى الذى يذكره يهود ، فلا يسبقنكم اليه ، ثم اسلموا ، وقالوا للنبى : انا تركنا قومنا — ولا قوم بينهم من العداء والشر ما بينهم — فعسى الله ان يجمعهم بك ، فان يجمعهم فلا رجل أعز منك .

ويتلخص مما تقدم ان المجتمع اليثربي قبيل الهجرة النبوية كان يتألف من بطون الاوس والخزرج ومن طوائف اليهود الثلاثة فى الدرجة الاولى . وهناك رواية تذكر انه كان فى يثرب جالية نصرانية تسكن فى حي خاص بها لها فيه سوق . ولم نطلع على رواية تذكر انه كان فيها عرب آخرون . وان كان من المحتمل ان تكون أرباض المدينة منتجعا لطوائف من الاعراب موسمية الاقامة

سماحة الاسلام

ولقد كان بعض بني اسرائيل فى مكة بالاضافة الى افراد من النصارى، فتلقوا جميعهم بعثة النبي بالابتهاج ، وآمنوا ، وصدقوا على ما ذكرته آيات قرآنية عديدة ، فكان النبي يحسب انه سوف يلاقى من يهود يثرب نفس الموقف بالاضافة الى الترحيب والتشجيع الذى سمعه من رجال الخزرج والاوس الذين ظل يتصل بهم فى ثلاث مواسم ، والذى تحقق مصداقه بما كان من نشر الاسلام بينهم حتى لم يخل منه بيت من بيوتهم قبل الهجرة ، وهو ما ذكرته آية سورة الحشر هذه بصيغتها الرائعة (والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) ، فكان هذا او ذاك مما جعل النبى يقدم على تنفيذ عزيمته على الهجرة ،

وجعل قريشا يحسبون حساب الاخطار والاضرار العظيمة التى سوف تلحقهم منها .

ولقد كان ذلك مما سهل على النبي أمره ، فلم يكد يستقر فى يثرب حتى اخذ يمارس رئاسة الدولة الاسلامية فيها . وقد كتب كتابا يصح ان يسمى دستور هذه الدولة جعل فيه الحرية لليهود بالبقاء على دينهم ومنحهم الضمانات لاموالهم وبيعهم ونشاطهم الزراعي والتجارى ، وأبقاهم على محالفاتهم مع الاوس والخزرج ، وأوجب عليهم الاتفاق مع المسلمين ، وأوجب على المسلمين الدفاع عنهم نتيجة لهذه المحالفات . وكل ما شرطه عليهم ألا يغدروا ولا يظاهروا عدوا .

طمع اليهود الكاذب

ولم يكد النبى يستقر وتبدو بشائر نجاحه وقوة الاسلام فى مقامه الجديد حتى تطيروا منه ، واخذوا ينظرون نظر التوجس الى احتمال رسوخ قدمه وانتشار دعوته واجتماع شمل الاوس والخزرج تحت لوائه بعد ذلك العداء الدموى الطويل الذى كانوا يستغلونه فى تقوية مركزهم ، وخشوا على المركز الذى لهم والامتيازات الكبيرة التىكانوا يتمتعون بها، ويجنون منها اعظم الثمرات

ولقد كان ظنهم على ما يبدو انيجعلهم النبي خارج نطاقدعوته معتبرين انفسهم اهوى من أن تشملهم وامنع من أن يأمل النبى دخولهم فى دينه ، بل لقد كانوا يرون أن من حقهم أن ينتظروا انضمامه اليهم ولا سيما حينما رأوه يصلى الى قبلتهم ، ويعلن بلسان القرآن ايمانه بانبيائهم وكتبهم ، ويجعل ذلك جزءا من أركان دعوته ويقرر كون الله فضل بني اسرائيل على العالمين وآتاهم الكتاب والحكمة والنبوة ، فخابظنهم ورأوه يدعوهم فى جملة الناس ، بل ويختصهم بلسان القرآن احيانا بالدعوة، ويندد بهم لعدم مسارعتهم الىاستجابتها ولوقوفهم منها موقف الانقباض ، ثم موقف الكفر والتعطيل ، فكان هذا على ما هو المتبادر باعثا على تنكرهم للدعوة وحقدهم على صاحبها منذ الخطوات الاولى من العهد المدني . ثم رأوا الناس قد اخذوا ينصرفون عنهم ، ويتخذون النبي مرجعهم الاعلى ومرشدهم الاعظم وقائدهم المطاع ، فاستشعروا بالخطر العظيم يحدق بمركزهم الذى يتمتعون به بين العرب وامتيازاتهم التى كانوا يستغلون العرب بها اذا تم النجاح والاستقرار للنبي ودعوته ، فكان هذا عاملا فى اندفاعهم فى خطة الكفر والتنكر والحقد والتآمر والصد والتعطيل الى نهايتها ، باستثناء فريق قليل من علمائهم استطاعوا ان يتغلبوا علىاهوائهم ومآربهم الدنيوية ، ويروا فى النبي ورسالته حقا وصدقا متطابقينمع ما عندهم منالبشائر والصفات فآمنوا وصدقوا .

ولقد كان من المتوقع على ما تلهم الآيات القرآنية ان يجد النبي فى اليهود سندا وعضدا ، وان يكونوا أول من يؤمن به ويصدقه ويلتف حوله ، لما كان بين دعوته واسس دينهممنوحدة ولما احتواه القرآن من تقريرات متنوعة وكثيرة بأنه مصدقلما بينيديه ورافعللاصر والتكاليف التى كانت على الملل السابقة وحالا لما بينهم من خلافات ولما كان من حسن استجابة الكتابيين وفيهم اسرائيليون الى دعوته وايمانهم برسالته فى مكة ، فيكون فى تحقيق هذا المتوقع تيسيرا لانتشار الدعوة وحسن استقبالها من سائر العرب الذين كانوا ينظرون الى اليهود نظرة الواثق بعقولهم وبصيرتهم الدينية. فلما رأى منهم ما رأى من الانقباض اولا والتنكر والصد والتضليل ثانيا تأثر تأثرا عميقا من خيبة أمله ، ورددته آيات القرآن الكثيرة منكرة مندددة مقرعة فاضحة لاخلاقهم وانحرافاتهم ، رابطة ما ظهر منها بما كان من مثل ذلك من

آبائهم مما حكته اسفارهم ذاكرة فيما هي ذاكرة كتمان الحق والباسه بالباطل والمكابرة وتفضيل منافع الدنيا والزهو والنفاق والخداع والتدليس والكذب على الله وتحريف كتبه والحسد ونقض العهد والخيانة واستحلال اموال الناس وقلة الادب مع الله ورسله ، واظهارهم الشرك والايمان بالاوثان فى سبيل التحالف مع اعداء الاسلام، والبخل بأى شيء والتعجيز والسخرية واللجاج ومخالفتهم لوصايا شرائعهم وكتبهم ، وما ضربه الله عليهم من اجل ذلك من ذلة ومسكنة ، وصبه عليهم من غضب ، وما جعله يؤذن بأن يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب الى يوم القيامة .

ولقد كان احد زعماء الخزرج عبد الله بن ابى بن سلول يترشح ليكون ملكا على يثرب حتى لقد نظم له قومه التاج . فلما هاجر النبى اليها تعطل امره فحقد ونقم وشاركه فى ذلك بعض عشيرته ، فسارع اليهود الى استغلال ذلك أوسع استغلال بمختلف الاساليب حتى قامت تلك الفرقة التي سميت بالمنافقين والتي كان لها من المواقف الشديدة ازاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين ومشاريعهم ما كان له آثار سيئة فى نفس النبي والمهاجرين والمجتمع الاسلامي الذى انشأه ، وكانوا يوحون لهم بمواقف الكيد والمكر والتشكيك والسخرية والخديعة والدس والتآمر ضد الرسول والاسلام والمسلمين ، مما ذكرته نصوص القرآن الذى سمى اليهود شياطين المنافقين للدلالة على ذلك .

ولم يبقوا فى نطاق جحود نبوة النبي والقرآن وفى نطاق المكايدات والمماحكات الكلامية والتشكيكية والتحريف والتآمر فى كل ذلك مع المنافقين مما كان يتسع له صدر النبي ، ويراه غير كاف لنقض العهد معهم ، بل تجاوزوه الى نقض العهد والعداء الصريح الفعلى والتآمر الحربي مع قريش والقبائل المشركة العدوة منذ عهد مبكر مما تكررت الاشارة اليه فى القرآن فكانت مواقفهم هذه سببا أولا ليأس النبي منهم والتماسه من ربه تحويل القبلة عن بيت المقدس وثانيا لدور التنكيل الذى بدأت فصوله فى الربع الاول من العهد المدني،ثم استمرت الى ان تم اجلاؤهم عن المدينة وخضد شوكتهم واجلاء الخطرين منهم عن القرى الاخرى فى ظرف الربعين الثاني والثالث منه .

ولقد تعددت وقائع التنكيل فيهم وكانت تقع على واحدة دون اخرى وواحدة بعد اخرى من طوائفهم . وكان لكل واقعة أسبابها الخاصة، وكان الذين لا يقع عليهم التنكيل يقفون ساكنين ومتفرجين لانهم لم يكونوا اوغلوا فى الغدر والعداء ، وهذا دليل آخر على عدم تواثقهم فى سلك سياسي وحربي واحد بل وكونهم على خلاف ونزاع وتنافس فيما بينهم ايضا على ما ذكرناه قبل .

الوقائع الخمس

ولقد كانت اولى وقائع التنكيل التى سجلتها روايات السيرة القديمة اغتيال شاعر اسمه أبو عفك كان يهجو النبى ، ويحرض عليه فنذر أحد المسلمين سالم بن عمران يقتله أو يموت دونه ، ثم تربص به حتى وافته الفرصة وهو نائم بفناء بيته فوضع السيف على كبده ثم اعتمد عليه حتى نفذ الى فراشه وزهقت روحه .

وكانت ثانية الوقائع اجلاء بنى قينقاع وكان لهؤلاء سوق خاصة ، وكان السبب المباشر محاولة بعضهم العبث بأمراة عربية جاءت الى سوقهم وقعدت الى صائغ ، فارادها على كشف وجهها ، فأبت، فعقد ثوبها بظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها ، فصاحت فوثب مسلم

على الصائغ ، فقتله فشد اليهود عليه ، فقتلوه فاستصرخ اهله المسلمين ، فوقع الشر وانتهى الامر الىان حاصرهم النبى حتى نزلوا على حكمه . ولقد كانوا حلفاء عشيرة كبير المنافقين ابن سلول فتشفع فيهم والح فرأى النبى من الحكمة قبول شفاعته لان اكثر قومهمخلصون، فاكتفى باجلائهم الى الشام ، وسمح لهم بأخذ اموالهم واثقالهم وخفيف سلاحهم .

وفى القرآن آيات يتفق المفسرون على انها فىشأنهم . وفيها ما يفيدانهم نقضوا العهد مرة بعد مرة حيث يفيد هذا ان حادث المرأة كان النقطة الاخيرة التي طفح بها الكأس .

وكانت ثالثة الوقائع اغتيال كعب بن الاشرف ، وكان هو الآخر شاعرا يهجوا النبي والمسلمين ، ويحرض عليهم ، فقال رسول الله : من لي بابن الاشرف فقد آذاني ، فتعهد محمد بن مسلمة ونفر من الاوس بقتله ، واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم باصطناع الحيلة الى ذلك لانه كان يقظا ، ويعيش فىحصن، فأذن لهم، فذهبوا اليه ، وتمكنوا بالحيلة من الدخول عليه وقتله .

وكانت رابعة الوقائع اجلاء بنى النضير ، وكان سببها المباشر ان النبى صلى الله عليه وسلم ذهب مع بعض اصحابه الىمحلتهم لطلب مساعدتهم فى بعض الديات لما يوجبه عليهم محالفاتهم فتآمروا على اغتياله ، وكشف الله له ذلك ، فنجا بنفسه، ثم زحف عليهم ، وضرب الحصار ، وانذرهم بالجلاء مع السماح لهم باقامة وكلاء على بساتين النخيل . فابوا الانصياع اركانا على حصونهم واسلحتهم ، وشجعهم كبير المنافقين ورفاقه الذين كان اليهود حلفاء لهم ، ووعدوهم بالنصر والتضامن ، وضيق النبى عليهم الخناق ، ولم يف المنافقون بما وعدوا ، فاستولى عليهم الرعب ، وقبلوا الجلاء بشروط اشد حيث سمح لهم بحمل منقولاتهم دون السلاح والتخلى عن مزارعهم وبساتينهم . وقد نزل الشطر الاكبر من سورة الحشر فى هذهالوقعة ، وفيه ما يدل على ان الحادث المذكور كان السبب المباشر وانه كان لهم قبله مواقف شديدة من المكر والعداء .

وكانت خامسة الوقائع التنكيل ببنى قريظة ، ولقد كان زعماء بنى النضير لما جلوا عن يثرب ذهبوا الى خيبر واقاموا فيها ، وتزعموا يهود المنطقة . وقد ذهبوا الى مكة وحرضوا قريشا على النبى والمسلمين وتحالفوا معهم . وقد ارتكسوا بسبيل ذلك فى ابشع جريمة دينية حيث اعلنوا ايمانهم باوثان مكة ، وشهدوا ان قريشا المشركين اهدى من محمد واصحابه الموحدين . ثم ذهبوا الى قبائل غطفان ، فحرضوهم ، وتحالفوا معهم . وادى ذلك الى زحف احزاب المشركين على يثرب بعدد عظيم وعزم على استئصال شأفة الاسلام . ثم جاء زعماء بنى النضير الى بنى قريظة وظلوا يحرضونهم حتى اعلنوا نقض العهد مع النبى وحلفائهم الاوس ، وظاهروا احزاب المشركين مما اثار الرعب والخوف بين المسلمين وزلزلهم زلزالا شديدا لانهم صاروا بين نارين ، وجعل المنافقين يكشفون البرقع عن وجوههم بوقاحة ولؤم . فلما كشف الله غمة الاحزاب وردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا زحف النبى والمسلمون بأمر الله على محلة بنى قريظة وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى نزلوا على النبى . وجعل النبى الحكم الى رئيس الاوس سعد بن معاذ الذى كان ذهب اليهم ، وجابهوه باسوأ موقف ، فحكم بقتل مقاتلتهم وسبى نسائهم واطفالهم والاستيلاء على اموالهم وسلاحهم واراضيهم ، وكان التنكيل بهؤلاء اشد لان غدرهم وموقفهم كان اشد .

عهد جديد

وبالتنكيل ببنى قريظة تمالقضاء على يهود يثرب الذين كانوا هم الاشد والاقوى والانكى ، ولقد كان هذا فاتحة عهد جديد للاسلام ، فالمنافقون الذين فقدوا شياطينهم ومحركيهم الاقوياء الخبثاء لم يلبثوا ان اخذ شأنهم يضؤل وصوتهميخفت وقوتهم

تهن وكثرتهم تتناقص . والمشركون الذين غزوا يثرب تلك الغزوة الكبرى بتحريكهم . لم يعودوا يفكرون بالغزو ثانية . حتى لقد شجع ذلك النبى فاعتزم زيارة مكة واداء مناسك العمرة ونتج عن رحلته اعتراف قريش به نصرا وعقدهم معه صلحا هو صلح الحديبية .

والقبائل الكثيرة التى كانت متربصة تبدل موقفها واخذت تتقرب الى النبى بالموادعة او الاسلام . وفرغ بال النبى من الجبهة الداخلية فأرسل رسله وكتبه الى ملوك وامراء الجزيرة وخارجها يدعوهم الى الاسلام ، واخذ يفد عليه من اليمن وخارجها وفود مشركة وكتابية يبايعونه على الاسلام ، وبعد سنتين نقض اهل مكة وحلفاؤهم العهد بشكل ما فاغتنم الفرصة ، ورفض التجديد ، وزحف بجيش قوامه عشرة آلاف على مكة،وفتحها ، فانهدم السور الكثيف الذى كانت تقيمه بين الاسلام وسائر العرب ، واخذ عشرات الوفود يفدون الى يثرب من مختلف انحاء الجزيرة ، ويدخل الناس فى دين الله افواجا .

تطهير البلاد المقدسة

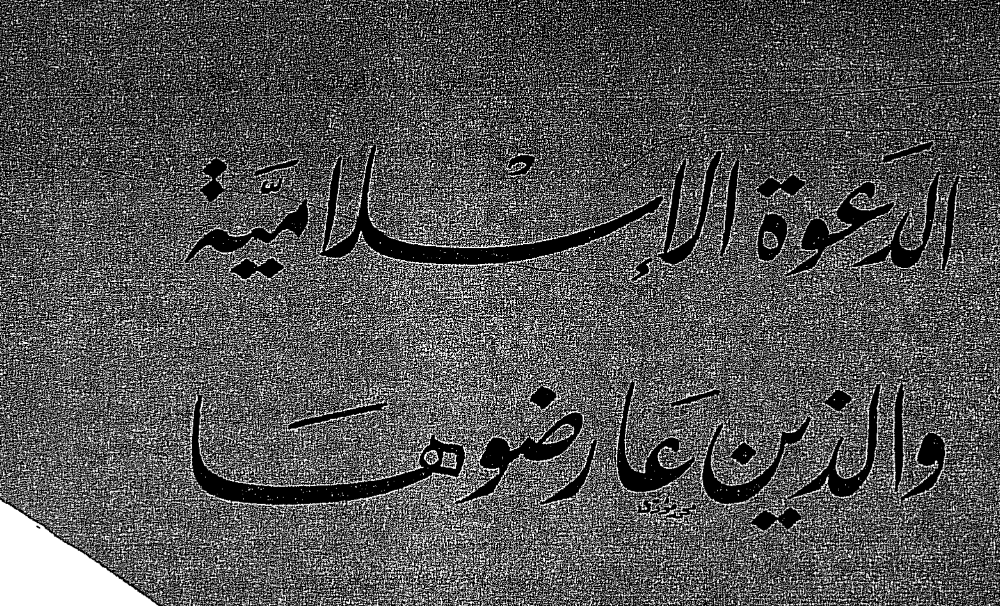
ولقد ازداد زعماء بنى النضير غيظا وحقدا واخذوا يحرضون يهود خيبر والقرى والقبائل المشركة الاخرى على حرب رسول الله والمسلمين فكان ذلك من اسباب مجيء دور التنكيل اليهم ، وكان من اولى وقائعه صلح الحديبية فلما تم هذا الصلح زحف النبى على خيبر فاستولى عليها ، وقتل واسر عددا كبيرا من مقاتلتها ، وغنم اموالها واراضيها للمسلمين ، وكلف الباقين الذين لم يبق منهم خطر بالاشراف على البساتين شركة على ان يجليهم المسلمون متى شاءوا فقبلوا ، وفعل مثل ذلك فى وادى القرى ، وهلع اهل فدك والجربان وتيماء ، وهرعوا الى النبى فى ذمته على نفس الشروط .

ولقد كان من آخر وصايا النبي اخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها دينان ، وانشغل خليفته الاول بالاحداث على قصر مدته فلم يستطع تنفيذ الوصية ، فنفذها الخليفة الثانى ، ومما ذكرته الروايات كسبب مباشر لذلك خبر اعتدائهم على بعض المسلمين ، فقال عمر : انا صالحناهم على أن نخرجهم متى شئنا ، فاخرجهم ، وطهر البلاد المقدسة من رجسهم .

ومن الجدير بالذكر ان الروايات لم ترو ان عمر اجلا يهودا عن اليمن ، مع انها روت انه اخرج نصارى نجران منها تنفيذا لوصية النبى حيث يسوغ القول انه لم يكن فى زمنه يهود فى اليمن ، ولم نطلع على رواية تذكر وجود يهود فيها فى زمن النبى ، وهناك حديث رواه الامام ابو عبيد القاسم بن سلام عن ابى عبيدة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((اخرجوا اهل نجران من اليمن واليهود من الحجاز)) ولم يذكر يهودا فى اليمن .

ولقد ذكرت الروايات أن بعض أحبار يهود يثرب استطاعوا نشر اليهودية فى عهد تبابعة حجر فى اليمن فالظاهر ان اليهودية بادت فيها حينما غزا الاحباش النصارى اليمن وسيطروا عليها بسبب ما كان من عدوان اليهود على نصاراها . ولقد كان فى العهود الاسلامية بعض شراذم يهودية فى اليمن ، فوهم بعضهم انهم من بقايا متهودة العرب معان الواضح مما تقدم ان ذلك غير صحيح . والراجح بل المؤكد عندنا انهم طوائف من اليهود الذين تشردوا من الاندلس حينما زال حكم العرب وسلطانهم عنها نتيجة لما كان من اضطهاد ومطاردة الاسبان للمسلمين واليهود معا .

مصادر البحث : القرآن الكريم — اسفار العهد القديم — كتب تفسير الطبرى والبغوى وابن كثير والخازن — سيرة ابن هشام — طبقات ابن سعد — كتاب الخراج لابى يوسف — كتاب الاموال لابى عبيد — فتوح البلدان للبلاذرى — تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد على — تاريخ الطبرى — تاريخ سورية للمطران الدبس — تاريخ يوسيفوس .



لماذا قاومت قريش دعوة الاسلام ، بكل هذا العنف الذى بدا منها ، خلال واحد وعشرين عاما من بعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، حتى فتح مكة ؟

ان الرد الشائع على ألسنة المسلمين ، هو أن سيدنا محمدا عاب آلهة قريش ، وسفه أحلامها .. وهو رد صحيح ، ولكن يدخل تحته الكثير من التفاصيل ، التى يوسع النظر الحديث آفاق البحث عنها ، ويهتدى منها الى الكثير .

آلهة قريش

ما آلهة قريش ، وآلهة العرب جميعا التي كانت تعبد قبل البعثة النبوية وأثناءها ؟

كلنا نعلم انها أصنام ، ورد اسماء بعضها فى القرآن الكريم ، وحاول علماء الآثار واللغة ان يردوا هذه الاصنام الى أصول محلية ، واخرى مستوردة .

والصورة العامة للكعبة قبل الفتح ، انها كانت أشبه بمتحف،حرصت قريش

للأستاذ محمد صبيح

على ان تجمع فيه كل شارة من شارات العبادة القديمة ، سواء كانت تمثالا له معالم ، او قطعة حجر سوتها الريح على شكل من الأشكال ، او تحفة مستوردة مما صنـع الفنانـون الاغريقيـون او المصريون . وقـد روى الازرقي انه كان للمسيح تمثال تحمله أمه العذراء،ورجح بعض علماء اللغات ان « هبل » ماهو الا « ابولو » اله الشعر عنـد اليونانيين ، للتقارب بين اللفظين ، ولأن العرب كانت تغرم بالشعر غرام أبولو واصحابه به . وكذلك قالوا ان العزى ، اسم محرف عن ايزيس المصريـة .. وكانت العزى شجرة هائلـة خارج مكة لها كاهنـة ، ويسـمع لمرور الريـح بين فجواتهـا وأغصانها صفير وفحيح مخيف .

ومعرض العبادات الذى اصطنعتـه قريش ، حول بيت التوحيـد الخالد ، الذى انشأه ابراهيم وابنه اسماعيل ، لم يكن عن ايمان منها بكل هذا الزحام من الدمى والتهاويل وقد زاد عددها عـن ثلاثمائة ولكنه كان محاولة ذكية بارعة لاسترضـــاء القبائل ، حين تفد للحج ولتبادل عروض التجارة ولعقد ندوات الشعر وللتحكيم فى الخصومات ، وهي الاسواق المشهورة فى ذلك الوقت .

والتجارة وما تفيئه مـن ربح كانت المحور الذى تدور حوله حياة قريش ، ولا تقل فى اهميتها عن شارات الشرف التي تعتز بها قريش بوصفها حارسة البيت العتيق .

ولكم ثارث الحروب لكي تنتزع من قريش هاتان الميزتان العظيمتان : التجارة وحراسة قوافلها عبر الجزيرة العربية شمالا وجنوبا وشرقا وغربا،وحج الناس الى بيت الخليل ابراهيم .. ونفس الحج لم يكن عبادة فقط ولكن تحريم القتال فيه جعله أمنا ومثابة للناس كافة .. وما أكثر الخصومات التي كانت تثـور بين القبائل ، وما أكثر الطلب بالثأر ومطاردة الأعداء .. هذه المطاردة التي ما ان تصل الى ظلال الكعبة حتى تنتهى ، وحتى يأخذ الناس نفس الراحة والتخفف من عداواتهم القديمة والحديثة .

ولقد أثرت قريش من هذه المزايا ثراء فادحا .. ودخل فى حوزة سادتها من الذهب والفضة وعروض التجارة الشيء الكثير .. وكان من اهم هـذه العروض بما يمثلونه من قيمة مادية وما يمثلونه ـ أيضا ـ من طاقة انتاج وقوة عمل .. فاذا كان العربي رجلا محاربا ورجلا تاجرا ورجلا شاعرا ، فان القيام على شؤون الحدادة والنجارة والبناء وصناعة الرماح والسيوف والقسي وغيرها من معدات الحرب وأعمال النسيج والحلي وأدوات التطرية والتعطر والتجميل ورعي الابل والغنم والوراقة والكتابة وخدمة البيوت واعداد صنوف الطعام والحلوى والقيام على اعمال الترفيه من غناء وموسيقى .. كل ذلك واشباهه كان من مهام الرقيق.

والرقيق فى تلك الفترة كان مجلوبا من كل مكان : من افريقية والاناضول والقوقاز

وبلاد اليونان والرومان ومن مصر ومن بلاد البربر ومن آسيا حتى حدود الصين .. وهذا الى جانب اسرى الحرب وسباياها ، وهم عرب من شتى القبائل .

كم كان يقوم من هؤلاء الرقيق على خدمة كل أسرة عربية .. وكم كان يملك أثرياء قريش وساداتها من هذه الرقاب؟ لا يوجد أحصاء دقيق لهم . ولكن تكفي اشارات لبعض كبار التجار فى هذه السلع الآدمية ، مثل عبد الله بن جدعان الذى كان يملك الفي عبد وامة، وكان متخصصا فى رقيق الاحباش حتى لقد عرض على رسول الله ان يزود الجيش الموجه لغزو حنين بعدد منهم ، فكره عليه السلام ذلك ولم يوافق عليه .

واذا تذكرنا قافلة من قوافل التجارة الى الشام وكان تعدادها الفي جمل بأحمالها مثل قافلة ابي سفيان التي تسببت فى غزوة بدر ، فانا نستطيع ان نقدر عدد الرقيق الذى كان فى خدمتها للعناية بالاحمال عندما كانت الجمال تنيخ فى محطات معروفة بالطريق مبنية بجوار الآبار يملكها كبار التجار من قريش.

حقيقة لم تكن هذه القوافل ملكا لواحد او عدد محدود من الأسر القرشية ، فقد كان رأسمالها يجمع من معظم هذه الاسر، وربما زاد تمويلها عن مائة ألف ذهبا .. ولكن كانت تتفاوت مساهمات هذه الأسر بحسب طاقتها وقدرتها على التعامل .

ولقد أسمى بعض الباحثين المحدثين نوع الحكومة فى قريش ، بأنها كانت حكومة تجارية . توزع أعباء الرياسة فيها على سقاية الحجيج واطعامهم ، وحمل راية الدفاع ، والقضاء فى الخصومات والتحكيم، ورقابة الأسواق .. وانا نرى رسول الله عليه الصلاة والسلام عندما دخل مكة - أمر بابقاء بعض هذه الاعباء فى أسر بعينها ولكنه وكل رقابة الأسواق لغير من كان يقوم بها فى الجاهلية .

ومن هنا نستطيع ان ندرك جو الحياة التي ظهرت فيها الدعوة الاسلامية .

فعبادة الأصنام كانت جزءا من هذه الحياة .. اما الجزء المؤثر والفعال، فكان ما تدره هذه العبادات ، من مكاسب مادية ومعنوية .

الدعوة حين جاءت :

وعندما بدأت الدعوة الاسلامية، كانت تقوم على أساسين :

١ - توحيد الله تعالى .

٢ - رعاية حق الانسان - كل انسان - فى حياة حرة كريمة .

والتوحيد فى ذاته لم يكن ليضر قريشا وكان يعيش فى مكة ويفد اليها كثير من الموحدين : ناس من اليهود يعبدون الها واحدا . وناس من النصارى لهم ايضا توحيدهم . وناس من المتحنفين العرب الذين رفضوا عبادة الاصنام ، بل دابوا على مهاجمتها فى الاسواق ، وبخطب بليغة بقيت لنا آثار منها . ولم نعلم ان احدا من قريش أو غيرها عرض لهؤلاء الموحدين بأذى ، او كره مقامهم فى مكة ، او اختلافهم الى اسواقها .. فقد كانوا دائما يحلون أهلا ، ماداموا لا يتعرضون لما تغنمه قريش من اصنامها واسواقها وقوافلها من مكاسب .

الحرب اذن ضد دعوة التوحيد الاسلامية ، لم تكن من أجل عقيدة راسخة ولكن من اجل نظام حياة بني على أوضاع معينة .. فمعنى التوحيد أن تزول هذه الاصنام التي كانت تعجب القبائل العربية حين تفد ، ويتقربون عن طريق التصفيق والصفير لها الى الله ، وهما المكاء والتصدية اللذان ورد ذكرهما فى القرآن

الكريم .. ومعنى زوال الأصنام توهم خطـر ، هو انصراف القبائل عن مكة ، ربماالى نجران التي كانت تحاول جاهدة ان تجذب لها القبائل .. وقد صنعتمن التماثيل ما يزيد طوله عن ثلاثين ذراعا ، ونقلتمن قصور بلقيس التحفوالنفائس النادرة لتخلب لب العـرب بها ، ولكن البيت العتيق ، وما حوله ، هو وحده الذى يجذبهم .

فهل كان فى الدعوة الاسلامية ما يبقي لقريش امتيـاز وفود الناس اليها ؟ . لقد أدركت قريش أن خطراكبيرا قديحل بها ولهذا كانت المقاومة .

هذا وجه من وجوه الخطر اذا انتهى نظام الاصنام .. وثمة خطر آخر له كل قدره ووزنه وهو هذه الدعوة الغريبة الجريئة التي تنادى بتحرير الانسان ، والتي تنهي ميراث السـيادة بالنسب وبالعصبية ، وربما امتـدت الى نظام الرقيق فالغته الغاء .

قريش التي عاشت سيـدة العرب جميعا يتساوى فرد منها بهذا العبـد الحبشي او الرومي او الفارسي الذى اشترى بالمال ، فلما أسلم اعتقه سيده المسلم ، فاصبح جليس محمـد بـن عبد الله ، وابي بكر بن قحافة ، وعثمان بن عفان ، وحمزة ، وعمر وغيرهم من الاشراف ، يؤاكلونه ، ويقفون معه فى صف واحد ، كتفا الى كتف ، ونداء مع نداء فى الصلاة .

يا عجبا !! ان ما يدعو اليه محمد وما تحقق حين تبعه بعض العرب وبعض الرقيق الذى تحرر ، لهو الهدم الكامل لقواعد الحياة .. لهو التسفيه لاحلام عاشت عليهـا وبها قريش بل قبائل العرب كلها بل دنيا الرومـان والفرس والحبشي والهند وغيرهم من الذين علمت قريش أبناءهم او زارهم تجارها .

هذا هو التغيير الاساسي فى حياة قريش الذى لمحتـه قريش والدعـوة المحمدية تسرى وئيدة بطيئة فى أوصال حياتها .

وهذا هو سر المقاومة العنيدة العنيفة التي جابهت بها قريش دعوة الاسلام .

ولو ان هذه الامتيازات الكبرى لم تكن فى يد قريش اذن لتركت محمـدا عليه السلام يقول ما يشاء ، وليتبعه من يريد وخلت بينه وبين العرب .

فلما انتقلت الدعوة بعد الهجرة الى بيئة مسالمة ، ليست فيها عقد الحياة ولا فوارقها الشاسعة التي كانت لقريش وجدت الاستجابة السريعة لكلمة الحق ، البسيطة النظيفة المسالمة .

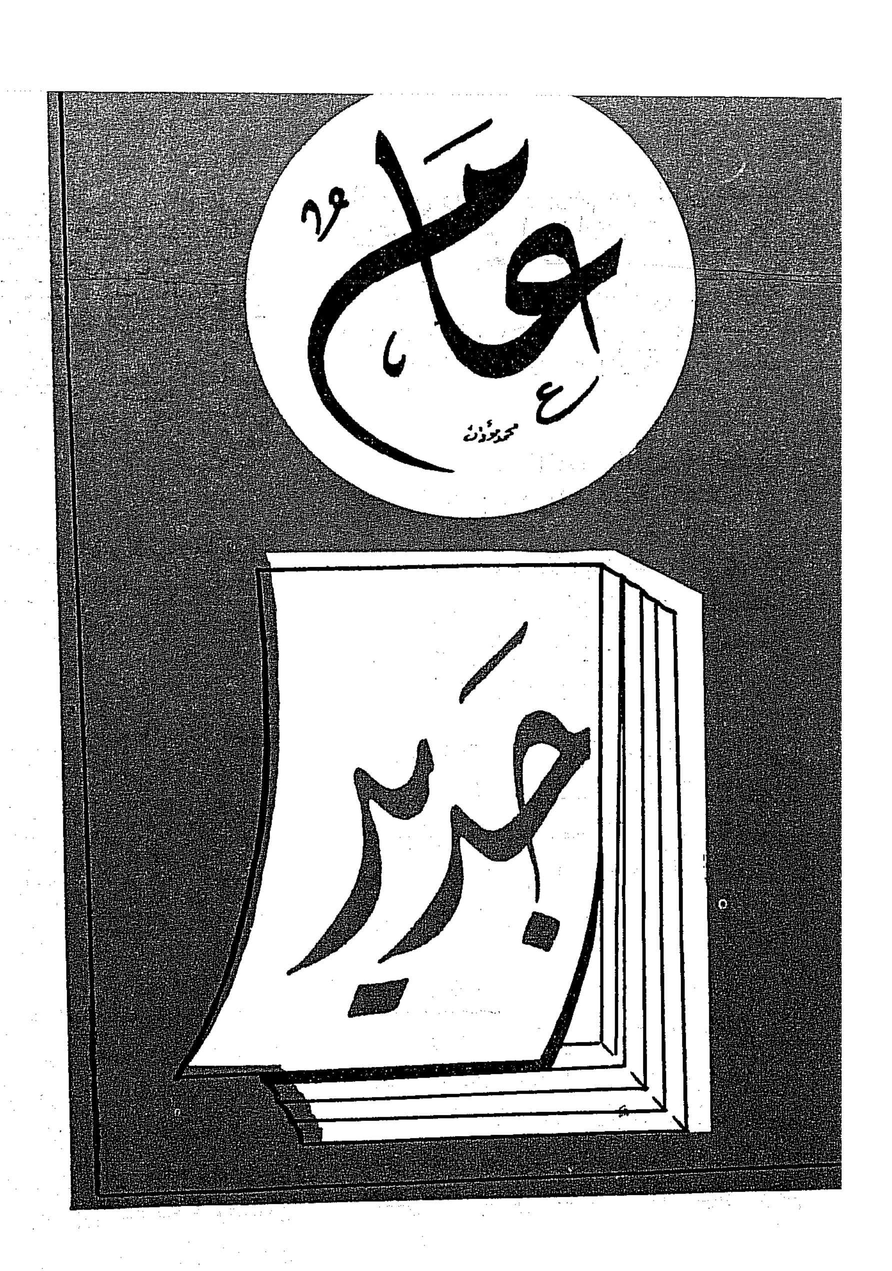
عداء اليهود :

واذا كان العرب فى يثرب قد لانت قلوبهم لهذا الايمان الجديد ، الذى جـاء بـه رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فثمة عدو آخر كان يتابع فى حـذر تقـدم الدعوة ، ويمعن النظر فى تفاصيلها وهم اليهود .

واليهود بدورهم كانوا سـادة المـال مرابين وتجارا ، فى هـذه المنطقة مـن الحجاز التى آوتهم ، وكانوا قد هربوا اليها مذعورين مشردين من اضطهاد حل بهم فى الشمال .

ان الدعوة الجديدة ، لم تكن لترضيهم ولا تريحهم .. فـاذا كانوا قد قاوموا قبل خمسة قرون وبعض قرن دعـوة

ـ البقية على الصفحة ٤١ ـ



لما قعدت أكتب هذا الفصل ، لم يكن فى ذهني شيء عن الموضوع الذى أكتب فيه ، ولكني نظرت فى التقويم المعلق بالجدار فوجدت الموضوع . الموضوع (أول المحرم) .

أفيمر بكم اول المحرم ، كما يمر غيره من الأيام ، وفى صبيحته ولد عام ، وفى ليلته قضى عام ؟ .

يجتاز المسافر مرحلة من الطريق فيحط الرحال ، ويقف ليستريح ، فيتلفت وراءه ليرى كم قطع وينظر أمامه ليبصر كم بقى .

والتاجر تنتهى سنته ، فيقيم موازينه ويحسب غلته ، ليعلم ماذا ربح وماذا خسر .

وهذه (محطة) جديدة ، نقف فيها ونحن نسير على طريق الحياة ، وسنة أخرى تمضي من العمر ، أفلا نقف عليها

ساعة نفكر وندكر ونحسب ونعتبر ؟ .

نحن اليوم فى أول المحرم من سنة ست وثمانين وثلاثمائة وألف ننظر اليـه فى الفجر ، فنراه يوما طويلا يمتد امامنا ، نستطيع ان نعمل فيه ما نشاء ، نستمتع فيه (ان أردنا) بدنيانا ، ونحمله ما نريد حمله من الزاد الى أخرانا ، فاذا أمسى المساء وذهب اليوم — لم نعد نستطيع ان نستفيد منه ولا ان نستمتع فيه .

نظنه باقيا لنا ، ف (نبذر) فى دقائقه ، كما يبذر المسرف فى ماله ونضيع ساعاته، ولكنا لا نجده حتى نفقده . انه لا يكاد يبدأ حتى ينتهى ثم يمضي ، فلا يعود أبدا .

اذكروا الآن اول يوم من المحرم سنة خمس وثمانين .

لقد كنا نراه (ايضا) ونحن نستقبله طويلا ، وكنا نقدر ان نصنع فيه خيرا كثيرا ، فأين هو منا اليوم ؟ . وأين الأول من المحرم سنة اربع وثمانين ؟ .

واين اوائل المحرمات التي مرت بنا ، أو مررنا نحن بها من قبل ؟ ماذا بقي منها فى أيدينا ؟ .

للأستاذ علي الطنطاوي
مستشار محكمة النقض فى سورية

تمضي السنة وتجيء أخرى بعدها ، فمن لم يعمل خيرا فيها ، عمله فى التي تليها .

ان فاتك عمل الخير فى النهار ، فعندك الليل (خلفة) منه ، فاعمل الخير فيه . مواسم متتابعة ان اضعت الموسم فلم تزرع فيه ، فازرع فى الذي يليه .

وان رسبت فى الامتحان فى دورة حزيران ، فعندك دورة أيلول .

هي خلفة لك ما بقيت حيا ، ولكن هل تعلم كم تبقى حيا ؟ .

★★★

ينقضي العام — فتظن انك عشته ، وانت فى الحقيقة قدمته ، لا تعجبوا من هذا المقال ودعوني اوضح الفكرة بالمثال.

انت كالموظف الذى منح اجازته السنوية ، شهرا كاملا ، اذا قضى فيها عشرة أيام يكون قد خسر منها عشرة أيام فصار الشهر عشرين ، فاذا مر عشرون صار الشهر عشرا ، فاذا تم الشهر انقضت الاجازة فكأنها لم تكن .

اتظنون اني (اتفلسف) ؟ لا والله بل اصف الواقع .

نحن كلما ازداد عمر الواحد منا سنة فى العد ، نقصت من عمره سنة فى الحقيقة، حتى ينفذ العمر ، ويأتى الاجل، ونستقبل حياة أخرى تبدأ بالموت .

فتحت كتابي (من حديث النفس) فقرأت فيه فصلا نشرته فى العدد الممتاز من مجلة الرسالة فى مطلع سنة ١٩٣٨ ، عنوانه (على ابواب الثلاثين) لو تصورت يومئذ اني سأقرأه فى مطلع سنة ١٩٦٦ ، لتراءى لعيني دهر طويل ثمان وعشرون سنة ، انظر اليها الآن ، بعد ما مرت ، فأراها كأنها يوم وليلة .

ولو نظرت الآن الى ما بعد ثمان وعشرين سنة الى سنة (١٩٩٤) لرأيتها بعيدة جدا ، ولكن من يقرأ هذا الفصل يومئذ سيرى سنتنا هذه كأنما كانت بالأمس .

فنحن نوسع المستقبل بالأمل .

★★★

وما هذا المستقبل الذى نسعى اليه ، ونكد من اجله ؟ .

لما كنت طالبا كان مستقبلي فى نيل الشهادة . فلما نلتها صار المستقبل فى

عام جديد

الوصول الى الوظيفة . فلما وصلت اليها صار المستقبل فى بناء الأسرة وانشاء الدار ، وانسال الولد ، فلما صارت لي الزوجة والدار والأولاد والحفدة ، صار المستقبل فى الترقيات والعلاوات والمال المدخر ، وفى الشهرة والمجد والكتب والمقالات ، فلما تم لي بفضل الله ذلك كله ، لم يبق لي مستقبل افكر فيه ، الا أن ينور الله بصيرتي ، ويريني طريقي ، فاعمل للمستقبل الباقي للآخرة واني لفى غفلة منها .

فالمستقبل فى الدنيا شيء لا وجود له . انه يوم لن يأتي أبدا ، لأنه ان جاء صار (حاضرا) وطفق صاحبه يفتش عن (مستقبل) آخر . يركض وراءه .

انه (كما قلت مرة) مثل حزمة الحشيش المعلقة بخشبة مربوطة بسرج الفرس تلوح أمام عينيه فهو يعدو ليصل اليها ، وهي تعدو معه فلا يدركها أبدا .

ان المستقبل الحق فى الآخرة ، فأين منا من يعمل له ؟ بل اين من يفكر فيه ؟.

★★★

وقد يكون هذا الذى اقوله (فلسفة) ، ولكنها فلسفة واقعية ، انها حقائق لا يفكر فيها احد منا .

نحن كالمسافر فى الباخرة او فى الطيارة ، همه الغرفة الجميلة ، او المقعد المريح ، يركب فى الدرجة الاولى ويأكل اطيب الطعام ، ويتصفح الجرائدوالمجلات ينقل بصره فيما حوله او تحته من المشاهد ولكن هذا كله لأيام السفر ، وأيام السفر معدودة ، افما كان خيرا له لو فكر فيما يريحه فى اقامته فى البلد الذى يمضي اليه ؟ .

اما كان انفع له لو تحمل بعض المتاعب فى ليالي السفر القليلة ، ووفر ماله ليشترى به الراحة فى سنوات الاقامة الطويلة ؟ .

ام قد شغلته متعة السفر عن التفكير فى سبب السفر ، وجمال الطريق عن غاية الطريق ؟ .

الحياة سفر ، فكم من الناس يسأل نفسه لم السفر ؟ والى أين الرحيل ؟ كم منا من يسأل ما الحياة ؟ ولماذا خلقنا ؟ والام المصير ؟ .

★★★

اننا نقطع الوقت من الصباح الى المساء ، فى مشاغل نخترعها لننسى بها انفسنا ، ونبدد بها اعمارنا ، من احاديث تافهة ، ومجالس فارغة ، ومطالعات فى كتب لا تنفع ، او نظرات فى مجلات لا تفيد ، فان خلا احدنا بنفسه ، ثقلت عليه صحبة نفسه ، وحاول الهرب منها ، كأن نفسه عدو له لا يطيق مجالسته فهو يضيق بها ، ويفتش عما يشغله عنها ، وكأن عمره عبء عليه ، فهو يحاول ان يلقيه عن عاتقه ، وأن يتخلص منه .

★★★

نفر من نفوسنا ونبدد اعمارنا ، فى لذائذ نتوهمها ، ونسعى وراءها ولكنا لا ننالها .

ولما كنت اشرف على طبع كتاب ابن الجوزى (صيد الخاطر) الذى قدمت له وعلقت عليه ، وجدت فيه كلمة عظيمة ، يقول فيها (ان لذائذ الدنيا نماذج تعرض ولا تقبض) .

نماذج (ريكلامات) (١) للعرض والاعلان ، لا للبيع والاقتناء ، فأنت تسر برؤيتها ، ولكن لا تقدر على امتلاكها .

خذوا أكبر لذات الدنيا ، (اللذة المعروفة ...) تروا انها ليست فى الحقيقة الا لحظة دقيقة او دقيقتين ، لا تكاد تحس بأنك قد وصلت اليها ، حتى تجد أنك قد فقدتها .

انها ليست الا (نموذجا) للذة الآخرة، فما يستمر هنا دقيقة فقط ، يدوم هناك الى الأبد .

انك فيها كمن يعطى ملعقة من الطعام ليذوقه ويجد طعمه فى حلقه،فاذا ارتضاه اشترى منه فأكل حتى شبع .

فالذواق فى الدنيا والشبع فى الآخرة.

لذلك ترى الرجل الفاسق ، يشكو (الجوع الجنسي) مهما (ذاق) من الحرام . يعرف مائة من النساء ، ثم يرى الواحدة بعد المائة فتطلبها نفسه ، كأنه ما عرف أمرأة قط ، ولا يزال كذلك حتى يعجز جسده ، ولا تكل رغبته ، فهو كالعطشان الذى يشرب من ماء البحر ،وكلما ازداد شربا ، ازداد عطشا .

وما عهد (فاروق) ببعيد .

ومثلها لذة المال .

ان الفقير الذى ينام فى كوخ الطين ، ويأكل خبز الشعير ، ويمشي بالحذاء البالي ، او يركب عربة النقل ، التي يجرها الحمار ، يتصور انه لو نام يوما على فراش الغني ، أو أكل على مائدته ، او ركب فى سيارته ، لنال اللذائذ كلها ولكن الغني الذى ألف ذلك لم يعد يجد فيه لذة ، بل يجد الألم ان فقد منه شيئا .

والشاب المغمور ، يتمنى ان يكون علما مشهورا ، تردد الاذاعات اسمه وتنشر الصحف رسمه ، ويتحدث الناس عنه، ولكن العالم المشهور الذى ألف ذلك لم يعد يهتم به ولا يباليه .

ان لذات الدنيا مثل السراب ، الا تعرفون السراب ؟ . تراه من بعيد غديرا ، فاذا جئته لم تجد الا الصحراء . فهو ماء ولكن من بعيد ! .

عفوا يا سادتي القراء ، ان جئت اعظكم وازهدكم ، فما أردت وعظا ولا تزهيدا ، وما أنا من الوعاظ الزهاد ، ولكنها خواطر أثارها فى نفسي اننا فى اليوم الأول من المحرم ، واني وقفت كما يقف المسافر ، وقعدت احسب كما يحسب التاجر .

اني انظر الى حياتنا هذه التي نعيشها ، فأرانا فيها كموكب من السيارات ، تمضي مجنونة مسرعة ، متسابقة ، هم كل واحدة ان تسبق الأخرى ، وتخلفها وراءها ، ولكن لو سألت سواقها الى أين يسيرون ولماذا يسرعون ؟ لما وجدت عندهم جوابا .

سباق الى المال ، سباق الى اللذات ، سباق الى الوظائف ، سباق فى كل طريق من طرق الحياة .

ثم ينتهي العمر ، فنترك كل ما استبقنا اليه ، ونمضي . فلنقف لحظات فى مطلع كل عام ، لنسائل انفسنا ما الذى نربحه من هذا السباق ؟ أو ليس (الربح) الحق فى جهة أخرى ، غير الجهة التي يتجه الناس كلهم اليها ، ويحسبون ان الربح المقصود فيها ؟ .

---

(١) صرنا نفسر العربي بالافرنجي ، هذا والله العجب !

عام جديد

ان هذا اليوم نذير لنا . بأن السنة المقبلة ستمضي كما مضت السنة المودعة ، وان كل واحدة منها تحمل معها جزءا من اعمارنا ، حتى تنفد اعمارنا ، فلنتدارك ما بقي ، ولنكن يوما واحدا فى السنة من المتناصحين ومن المتواصين بالحق ، والمتواصين بالصبر .

انكم تقرأون فى المجلات كلاما كثيرا ، كلاما جليلا يزيد ثقافة عقولكم ، وكلاما جميلا يدخل البهجة على قلوبكم وكل هذا خير ، ولكن خيرا منه ان تسمعوا كلمة تذكركم أخراكم ، وتنفعكم يوم العرض على ربكم .

وما أصلح والله لأن أقول أنا هذه الكلمة ، وأنا الى أن أوعظ فأتعظ ، أحوج مني الى أن اعظ ، ولكن (على مدير الكاس ان ينهى الجلاس) .

لما أردت أن اسافر الى جدة ، من بيروت ، قعدت فى مطعم المطار ، افطر وانتظر ، وكان المطعم ممتلئا ، وكل من فيه يأكل ويشرب ويتحدث ، مثلما كنت آكل وأشرب واتحدث ، تراهم فتحسبهم اصدقاء متلازمين لا يفترقون . وان شملهم جميع لا يتشتت ، ولكن مطار بيروت الذى تحط فيه كل ربع ساعة طيارة ، وتقوم منه طيارة ، لا يلبث الصوت ان يخرج منه ينادى من (المكبر) .

ركاب طائرة BOAC المسافرة الى لندن ، يتوجهون الى ارض المطار .

فتترك أكلها وشربها جماعة من الحاضرين ، وتقوم .

ثم ينادى —

— ركاب طائرة KLM المسافرة الى جاكرتا .

فيترك ناس أكلهم وشربهم ويقومون . وطائرة الى اميركا ، وأخرى الى الكونغو ، وثالثة الى ايران ، ورابعة الى موسكو .

فنظرت فى الناس وقلت لأخي ، وكان معي . هذه هي حياتنا .

نعكف على طعامنا وشرابنا ، ومشاغل عيشنا ، واذا بالنداء يدعو من (جاء دوره) ليذهب الى حيث يحمل ، اما الى غابات افريقية ، واما الى ثلج سيبيريا ، واما الى ملاهي باريز ومشاهد نيويورك .

فمن كان مستعدا للسفر حاجاته مقضية ، وحقائبه معدة ، وحمله خفيف، مضى مستريح البال ، ومن (جاء دوره)، وهو لم يعد متاعه ، ولم يقض حاجته ذهب بلا زاد ، ومضى على غير استعداد .

أفلا نستعد للسفرة التي لا بد منها ، ونتزود لها الزاد الذى لا ينفع غيره فيها ؟

ام نحن نتناسى الموت وهو أمامنا نظنه أبعد شيء عنا ، وهو أقرب الأشياء منا ، نصلى على الأموات ونشيع الجنائز ، ونحن نفكر فى أمور الدنيا ، كأنا مخلدون فيها ، وكأن الموت كتب على الناس كلهم الا علينا ؟

يا أخوتي القراء .

انا نعيش الأيام كلها فى غفلة ، فلننتبه اليوم ، ولنقف كما يقف المسافر على المحطة ، ينظر كم قطع من الطريق وكم بقي عليه منه ؟ ولنفتح دفاترنا كما يفتح دفاتره التاجر ، لنرى ماذا ربحنا فى سنتنا التي مضت وماذا خسرنا ، ولنمد أيدينا ، فنقول يا ربنا . اغفر لنا ما سلف ، ووفقنا فيما بقي .

اللهم اذا كتبت لنا ، أن نعيش الى مثل هذا اليوم من قابل ، فاجعل ما يأتي خيرا لنا ، وللمسلمين مما ذهب ، ... والا ، فاكتب لنا بفضلك وكرمك حسن الخاتمة ، واغفر لنا ذنوبنا ، وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الابرار .

ولا أظن ان مد الاسلام سيتوقف وانما آمل فى الله أن يستمر وينشط فقد انتشرت الآن قراءة القرآن متقنةبواسطة المصاحف المرتلة التي تذاع من مختلف اذاعات العالم حتى الكافر منها(١) وانبث علماء المسلمين من مختلفديارات الاسلام يحملون الحقيقة الاسلامية ويقدمونها للناس فى صورة جميلة مقبولة، وأنشئت المجامع للبحث العلمي الخالص لله ولخدمة المجتمع الاسلامي . يجتمع فيها علماء الأمصار الاسلاميةعلى اختلاف نشأتهم وطرقهم فى البحث والدرس محاولين الوصول الى قواعد تطابق العصر فى التقنين والتشريع وأمور المعاملات المختلفة مستقاة من روح الشرع الشريف وهم واصلون بعون الله متى صدقت النيات وصلحت الأعمال وهي صادقة وصالحة بتوفيق من بيده ملكوت كل شيء .

والخلاصة

ان فقه الدين ومعرفةمقاصد الشريعة ومراميها ودراستها دراسة فاحصة ، والالمام الكامل بتراث العلماء المجتهدين فى مختلف العصور يوصل تماما الى تثبيت أركان الاسلام ، ونشر احكامه حتى يصبح مصدر كل تشريع فى كل مجال ، فلا عدو للقيم الفاضلة كالجهل بها ، ولا مساعد على العمل بها كالعلم بفائدتها ، وما كان الاسلام ولن يكون مصدر ازعاج او اثارة او ظلم او اضطراب ، وانما هو المصدر الوحيد لمن أراد للدنيا سلاما وأمنا ، واخاء ومحبة ، وشبعا وريا ، واحسانا وعونا فى الملمات ، وقهرا للعدو الاكبر الشيطان ، وبثا لكل فضيلة ومحقا لكل رذيلة .

ويقرر الحديث الشريف عون الله ورضاه وتوفيقه لمن تفقه فى الدين لأنه سيصبح منار هدى ومصدر اشعاع للرحمة والخير ، يوزن مداده بدم الشهداء يوم القيامة ، فقد جاهد بعلمه ووقف حياته على خدمة دين اللهوالتمكين له فعل الشهداء سواء بسواء .

كما يبين الحديث الشريف فى غير لبس ولا غموض وجوب مدارسة العلم معاعلامه (وانما العلمبالتعلم) والتواضع له وتلقيه من مصادره الراسخة فيه ثم حمله فى أمانة واعتزاز ، وقوة مستمدة من الله « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وبعد . فانا نسوق هذا الحديث فى مستهل العام الجديد ، والمسلمون يحتفلون بذكرى الهجرة النبوية التي كانت مصدر اعزاز للاسلام والمسلمين لنلفت الانظار الى ان نصرة الاسلام وحمايته فى هذا العصر تستلزم تسلح المسلمين بالعلم والفقه فى الدين ليردوا عنه عادية الملحدين ، وشبه المضللين ، وجهل الجاهلين ، وأن الاسلام لم يؤت من قبل اعدائه بمقدار ما أصيب به من جهل أبنائه .

ولا سبيل لنصرة دين الله واعزازه الا بفهم روحه والبصر بتعاليمه ومن سلك طريقا يلتمس به علما سهل الله له به طريقا الى الجنة .

---

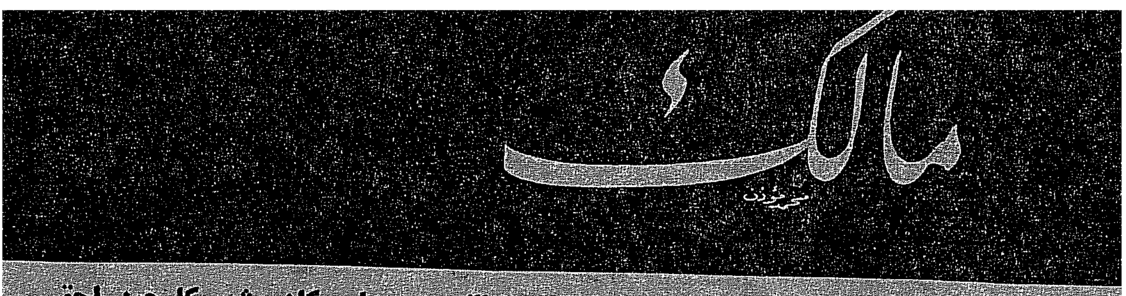
(١) وهذا يعين على فهمه وتدبره



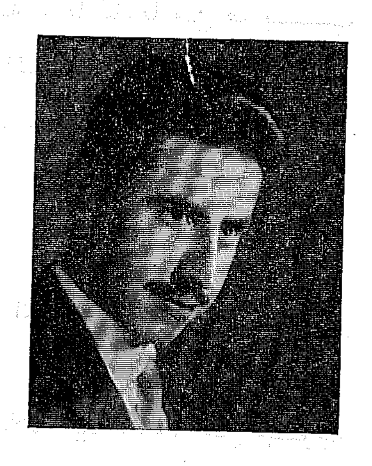
أيهـا الخابطون عبر الدروبِ أنْظِرُونِي أخبِرْكُمُ بالعجيب
أنْظِرُونِي . لا رابكم حدُّ سيفي واجتياحي الكثيب بعد الكثيب
إنما اسمي « سراقة » ان سألتم من بني « جُعشمٍ » ، حماة الغريب
شاقني السبق واحتيازُ نياق مُطبقات على فؤاد اللبيب
رصدتها قريشُ ، انّ قريشا ترخص المال في الفتى المطلوب
كيف ينجو « محمد » من شباك أحكمتها نوابغ التنقيب
كيف يسري من داره مطمئناً ويذرُّ التراب فوق الرقيب
يالَراعٍ ، تحيَّر القوم فيه من عيُوبٍ لأمره ومُريب
عذبوه ، وما دروا أنّ جَمْراً يتلظّى بمجمر التعذيب
فاذا يثربٌ تجيب صداه وتلبي بداميات القلوب
واذا رهطه يطيرون سِرا عن رباع الصبا ، ودار الحبيب
أين ولّى ؟ وكيف أعجز جيشا من عيون تربصتْ ، ونيوب
......أدرِكوه ، رُدُّوه قبلَ يُوافي يثربا أو أتاكمُ بالخطوب
انه واحد ، ونحن ألوف عدد النجم والحصى والدروب

***

.. واحتواني ، جوادِيَ الفحل يهوى كفؤادي . . . إلى الثراء القريب



((سراقة بن مالك صحابي كان مشركا حين لحق بالرسول أيام الهجرة لياسره طمعا بجائزة قريش))



للاستاذ محمد الحسناوى
سوريا – حلب

أتقفّاكُمْ بسِرٍ أتاني ... وسلاح كنزته للحروب
يالها نشوة ، أطارتْ صوابي ... حين شارفتُكمُ . ويا للكروب
كلما قارب الجواد خطاكم ... كفكفتْه حوافزُ التقريب
كم كبا فجأة ، وألْقيتُ أرضا ... وسألتُ القِداح كشف الغيوب
خانني القِدح والجواد ثلاثا ... أسلمتْني إلى التماس الهروب

***

قيل (ما تبتغي اذن) قال عفوا ... وادّكارا لمطمحي المحروب
قيل (ياهذا ، ما ترى في لباس ... من سِواري كسرى.. نفيس قشيب ؟)

والباساءُ . . . وانثنى يسأل النفس — سؤال المقامر المخلـــوب
هل تصح المنى ، وأى منى هــذى — الدعاوى ، وأى عُجْبٍ عَجيبِ
أنا لا أكْبرُ السوارين اكبـــاري — اصطيـــاد الأســود بالتشبيب
صيد كسرى وعرشـه وجيوشـا — حولـه ، ما لبأسها من ضريـــب
يالَه من فتى ، حماه أبو بكـر — من الشمس ، والطـوى ، واللغوب
يـزدهينى بسـلب كسرى ، وانى — جِـدٌّ راضٍ بأيْنُـقٍ وعسيـــب

***

أين عيناكَ يا سراقةُ لمـــا — فتـح الله مُقفَلات الشــعوب
دكّتِ (اللهُ أكبرُ) الظلمَ دكّا — وتمشّى الضعيف غـير هَيُـوب
لو ترى يا ابن مالك عرش كسرى — وحُــلاه نهبا ، وما من نهـوب
لـو ترى الفاتحين عبر الصحـارى — ينثرون الغنى ، وعـبر السهـوب
وأبا حفص العظيمَ ينـــادى — في جموع الــورى نداء الخطيـب
حانت القسمـة العتيـدة لكــنْ . . . — أين أمسى اخـو الطّماح الطلّوب
أين أضحى سراقــة يا صحـابى — فلـه في السهام أوفي نصيـــب
تـاج كسرى له ، ومِنْطَقَةُ الـمُلْـ — ـك . . وفاءً لعهدِ « طه » الحبيب
ألبستْهُ النبـوة الملك تاجـــا — ونطاقا ، فيالَه مـن كَسـوب
أين أنت الغداة يا ابن البــوادى — يا بشير الفتوح ، يا ابن الـدروب
ألف لبيك يا خليفـة « طــه » — ألف لبيك يا أمير القلـــوب
كبرِّ اللهَ يا سُراقةُ واخْطِــر — بسوار ابن « هرمز » المغلـــوب
واحمـد اللهَ مُلبَساً تاج كـسرى — بـدويـا خدين شـاة وذيـــب
لا مليكــا ، ولا سـليل ملــوك — رَبَبَتْهُ معاهـــد التربيـــب

بقية الدعوة الاسلامية والذين عارضوها

المسيح عليه السلام ، لأنه ناداهم أن ينبذوا احقادهم ، وان يعيشوا فى محبة ، والا تكون عبادة المال وانتهابه بكل وسيلة هي هدف حياتهم . وقد عاندوه وخاصموه الى السلطة الرومانية . وكذلك صنعوا مع انبياء سبقوا السيد المسيح حتى أن تنكيلهم بدعاة السماء فيهم كان جزءا من تاريخهم .

فهل يسمحون لهذا النبي الجديد ، بأن يتابع دعوته ، وقد وفد فى الديار التىأقاموا فيها وأثروا وأقاموا الحصون واصطنعوا الرقيق ؟!!

قبل كل شيء لقد ظهر هذا النبي من الاميين أى الامم غير بني اسرائيل . فهل يجوز أن تكون هناك نبوة خارج نطاقهم ؟ هذا ما رفضوه ابتداء .

ثم ان هذا النبي العربى له من قوة التأثير ومن الدأب على تبليغ دعوته ، ما جعله يتابعها فى مكة ثلاثة عشر عاما ، ثم انه يشق لها الآن طريقا يبدو أنه أكثر تمهيدا .

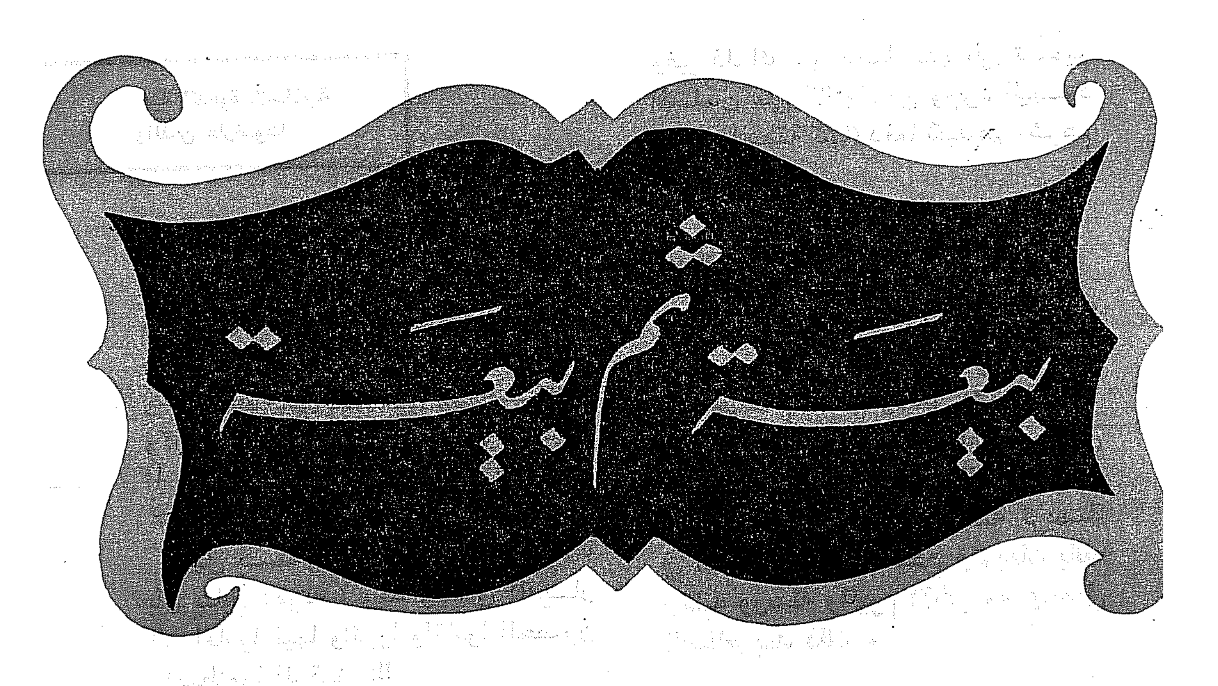
ورتب اليهود طريق معارضتهم .. بدأت بالجدال العقائدى . وقد أنفق القرآن الكريم فى جدالهم وقتا طويلا . وعنف معهم عنفا بالغا فى بعض الاحيان. ولما رأى اليهود أن هذا الحوار لم يفد شيئا اذ تابع العرب الاقبال على الدين الجديد ، أخذوا يجربون أسلوبا آخر وهو تحريض القبائل والاتصالات الخبيثة مع قريش وغيرها ، كما جربوا أسلوب الاغتيال بالسم واسقاط الاحجار فوق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك .. مما أدى الى تصميم المسلمين على الانتهاء من وجود اليهود فى هذه المنطقة كلها، دفعا لكيدهم وشرهم الذى لا ينتهي .

اسناد الدعوة :

ولقد كان واضحا فى سير الدعوة أنها لا تطمع أن تلين لها قناة قريش وحدها ، ولا العرب وحدهم ولكنها مدت آفاقها الى الناس جميعا حيث يقيمون .. فكل انسان فى نظرها هو خليفة الله فى أرضه .. ووسيلته الى حياة مطمئنة كريمة فى الدارين ، هو الاسلام والايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر .. والعمل الصالح بعد ذلك .

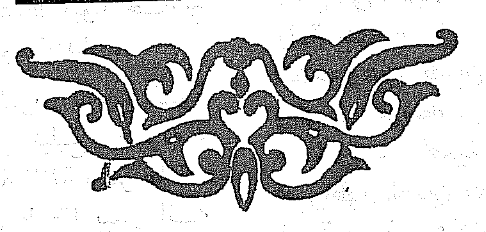
ولهذا ما أن جاء العام السادس من الهجرة حتى كانت كتب رسول الله تصل الى الملوك والحكام فى كل مكان . وثمة جهة وصل اليها واحد من هذه الكتب وهين الصين . فقد كشف هـ.ج. ويلز فى تاريخه عن هذه الرسالة من مصادرها الصينية . وقد أكرم امبراطور الصين هذه البعثة واذن لها فى اقامة مسجد والتبشير بالدعوة ، فكان أول مسجد أقيم خارج الحجاز فى ذلك التاريخ .. وقد حاول هرقل أن يقلد المسلمين بعد هزيمته فى اليرموك وجلائه عن الشام ، فأرسل بعثة تدعو أهل الصين الى المسيحية ، وقوبلت أيضا مقابلة حسنة . وربما كان بعض أفراد البعثة المسيحية هم الذين نقلوا طرفا من نشاط المسلمين هناك .

هذه هي دعوة الحق ، ولمحات عنها فى عيد هجرة الرسول عليه أزكى صلاة وسلام .



بقلم الاستاذ الشيخ محمد الغزالى

مراقب عام الدعوة بوزارة الاوقاف ـ القاهرة



فى سبيل تحقيق السمو النفسي والاجتماعي لا يفرق الاسلام بين جهاد المرء لبلوغه الكمال فى خاصة نفسه ، وجهاده لتوطيد الحق فى أرجاء المجتمع الكبير .

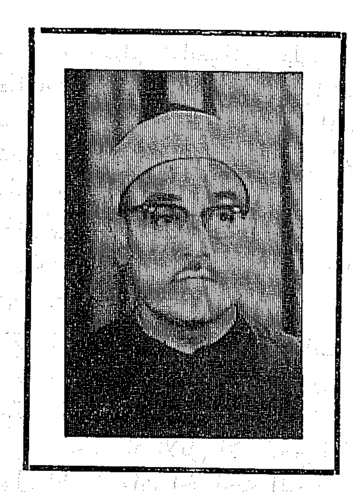
فان الدعوة إلى الخير لا تسوغ من عليل القلب مضطرب السلوك ، كما ان سليم القلب شريف السيرة لا يسكت على بيئة مضطربة الضمير مهتزة الخلق .

والحضارة الحديثة تفرق بين السلوك الشخصى ، والسلوك العام ، وربما قبلت من الرجل ان يكون له جانبان . أحدهما ردىء فى حياته الخاصة ، والآخر حسن فى حياته العامة .

وهذا الانشطار فى النفس الانسانية غير مقبول ولا معقول من الناحية الدينية.

وقد كان الاسلام بعد عشر سنين على ظهوره فى مكة يعاني آلام الغربة الروحية والحصار الاقتصادى والاستضعاف الشائن ، وكان المسلمون جديرين بقبول النصرة من أى يد تمتد بها .

وجاء من يثرب وفد أنعش الآمال فى



فرج يبدد هذا الضيق ، وضياء يكشف تلك الغمة . ولكن الرسول الكريم استقبل هذا الوفد ، ليعلمه قبل كل شيء أصول العقيدة السليمة ، ويمسكه بمعاقد العمل الصالح .

ان الانبياء لا يكافحون بمرتزقة يحملون السيف في ايديهم ، وانما يحاربون برجال يستبطنون الايمان والشرف في قلوبهم وسلوكهم .

وهذا ما تنضح به الكلمات والوصايا والخطب التي وعاها التاريخ في بيعتي العقبة الصغرى والكبرى .

في البيعة الاولى جاء الرجال الذين شرح الله صدورهم بالاسلام .

وقد لقيهم النبي بالعقبة ، وعقد معهم بيعة على الايمان بالله وحده ، والاستمساك بفضائل الاعمال والبعد عن مناكرها .

عن عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله ليلة العقبة الاولى الا نشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزني ولا نقتل اولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه ، بين ايدينا وارجلنا ، ولا نعصيه في معروف .

قال : فان وفيتم فلكم الجنة . وان غشيتم من ذلك شيئا ، فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له . وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله .

ان شاء عذب وان شاء غفر ، هذا ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعو اليه وكانت الجاهلية تنكره عليه .

أيكره هذه العهود الا مجرم يحب للناس الريبة ، ويود للارض الفساد ؟ ؟

أتم وفد الانصار البيعة ، ثم قفل عائدا الى يثرب ، فرأى النبي أن يبعث معهم احد الثقاة من رجاله ليتعهد نماء الاسلام في المدينة ويقرأ على أهلها القرآن ويفقههم في الدين ، ووقع اختياره على « مصعب بن عمير » ليكون هذا المعلم الامين .

ونجح « مصعب » أيما نجاح في نشر الاسلام ، وجمع الناس عليه ، واستطاع ان يتخطى الصعاب التي توجد — دائما — في طريق كل نازح غريب ، يحاول أن ينقل الناس من موروثات ألفوها الى نظام جديد يشمل الحاضر والمستقبل ويعم الايمان والعمل ، والخلق والسلوك .

ولا تحسبن « مصعبا » كأولئك المرتزقة من المبشرين الذين دسهم الاستعمار الغربي بين يدي زحفه على الشرق . فترى الواحد منهم يقبع تحت سرير مريض ليقول له : هذه القارورة تقدمها لك العذراء وهذا الرغيف يهديك اياه المسيح .

وربما فتح مدرسة ظاهرها الثقافة المجردة أو ملجأ ظاهره البر الخالص ، ثم لوى زمام الناشئة من حيث لا يدرون ، ومال بهم حيث لا يريدون .

هذا ضرب من التلصص الروحي . يتوارى تحت اسم الدعوة الى الدين

والذين يمثلون هذه المساخر ، يجدون الجرأة على عملهم من الدول التي تبعث بهم ، فاذا رأيت اصرارهم ومغامراتهم فلا تنس القوى التي تساند ظهورهم في البر والبحر والجو .

أما مصعب فكان من ورائه نبي مضطهد ، ورسالة معتبرة ضد القانون

السائد ، وما كان يملك من وسائل الاغراء ما يطمع طلاب الدنيا ونهازى الفرص كل ما لديه ثروة من الكياسة والفطنة قبسها من محمد صلى الله عليه وسلم واخلاص لله ، جعله يضحى بمال اسرته وجاهها فى سبيل عقيدته ... ثم هذا القرآن الذى يتأنق فى تلاوته ، ويتخير من روائعه ، ما يغزو به الالباب فاذا بالافئدة ترق له ، وتتفتح للدين الجديد .

وعاد « مصعب » الى رسول الله بمكة قبيل الموسم الحافل يخبره بما لقى الاسلام من قبول حسن فى « يثرب » ويبشره بأن جموعا غفيرة دخلت فيه عن اقتناع مس شغافهم وبصر أنار أفكارهم وسوف يرى من وفودهم بهذا الموسم ما تقر به العين .

بيعة العقبة الكبرى

ان الرجال الذين اعتنقوا الاسلام عرفوا — دون شك — تاريخه القريب والصعاب الهائلة التى لقيها وحز فى نفوسهم ان يستضعف اخوانهم فى مكة وان يخرج نبيهم وهو يدعو الى الله ، فلا يجد الا آثما او كفورا .

ولذلك تساءلوا — وهم خارجون من المدينة قاصدين البيت العتيق — حتى متى نترك رسول الله يطوف ويطرد فى جبال مكة ويخاف ؟

لقد بلغ الايمان أوجه فى هذه القلوب الفتية . وآن لها ان تنفس عن حماسها وان تفك هذا الحصار الخانق المضروب حول الدعوة والداعية .

قال جابر بن عبد الله : فرحل اليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شعب العقبة ، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ قال صلى الله عليه وسلم تبايعوننى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل ، والنفقة فى العسر واليسر ، وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وان تقوموا فى الله ، لا تخافون لومة لائم ، وعلى ان تنصرونى فتمنعونى — اذا قدمت عليكم — مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم . ولكم الجنة .

فقمنا اليه ، واخذ بيده « اسعد بن زراره » — وهو اصغر السبعين بعدى — فقال : رويدا يا اهل يثرب فانا لم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله ، وان اخراجه اليوم مناوأة للعرب كافة وقتل خياركم وان تعضكم السيوف .

فاما انتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه ، واجركم على الله ، واما انتم قوم تخافون من انفسكم خيفة فذروه .. فبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله

فقالوا يا « سعد » اعطنا يدك فوالله لا نذر هذه البيعة ، ولا نستقبلها فقمنا اليه رجلا رجلا فبايعناه .

وعن كعب بن مالك : نمنا تلك الليلة — ليلة العقبة — مع قومنا فى رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا فى الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ، ومعنا امرأتان من نسائنا ، نسيبة بنت كعب واسماء بنت عمرو بن عدى .

موقف للعباس

فلما اجتمعنا فى الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا العباس ابن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، الا انه أحب أن يحضر أمر ابن اخيه ، ويستوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم قال : يا معشر الخزرج أن محمدا منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من

قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو فى عزة من قومه ومنعة فى بلده ، وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون انكم وافون لــه بمــا دعوتموه اليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك . . وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم من الآن فدعوه ، فانه فى عزة ومنعــه من قومه وبلده .

قال كعب : فقلنا له : قد سمعنا مــا قلت ، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما أحببت ، فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ، ودعا الى الله ، ورغب فى الاسلام ثم قال : أبايعكم على ان تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

قال كعب : فأخذ البراء بن معرور بيده وقال : نعم ، فوالذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع أزرنا ، فبايعنا رسول الله ، فنحن ـ والله ـ أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر .

فاعترض هذا القول ـ والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ابو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال ـ يعنى اليهود ـ حبالا وانا قاطعوها .

فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ، ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، انا منكم وانتم منى ، احارب من حاربتم ، واسالم من سالمتم .

وأمرهم رسول الله صلى الله عليــه وسلم ان يخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا يكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم النقباء . تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وانا كفيل على قومى .

تلكم بيعة العقبة . وما أبرم فيها من مواثيق ، وما دار فيها من محاورات .

ان روح اليقين والفداء والاستبسال سادت هذا الجمع وتمشت فى كل كلمة قيلت ، وبدا ان العواطف الفائرة ليست وحدهــا التى توجه الحديث او تملى العهود كلا . فان حساب المستقبل روجع مع حساب اليوم ، والمغارم المتوقعة نظر اليها قبل المغانم الموهومة .

مغانم ؟ اين موضع المغانم فى هــذه البيعة ؟؟ لقد قام الامر كله على التجرد المحض والبذل الخالص .

هؤلاء السبعون ، مثل لانتشار الاسلام عن طريق الفكر الحر والاقتناع الخاص .

فقد جاءوا من ((يثرب)) مؤمنين اشد الايمان ، وملبين داعى التضحية ، مع ان معرفتهم بالنبى كانت لمحة عابرة ، غبرت عليها الايام ، وكان الظن بها ان تزول .

بيد انها لم تزل ، بل ربت على مــر الايام ، وما زادتها الأحداث الا صلابة وتألقا ... والمعروف ان بيعة العقبــة انقذت الاسلام من جبروت الوثنية فى مكة ، ومهدت للهجرة التى بدأ بها تاريخه الطويل .

الا ان هذه البيعة ـ الى جانب ذلك ـ كانت نداء الانقاذ الذى نجا به الاسلام من المآزق المتضايقة .

ففى غزوة حنين ، عندما فر الطلقاء والضعفاء للجولة الاولى ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس ، وكان جهير الصوت فنادى يمنة ويسرة : يا اصحاب العقبة ، فثاب الرجال المؤمنون الى صاحب الرسالة ينعطفون نحوه ، وقد هاجت فى مشاعرهم اقدس الذكريات فكانت الجولة الاخرى وجــاء بعدهــا النصر .

الا ما أجل عهــود الشرف فى تاريــخ الدعــوات .

لماذا هاجر الرسول وأصحابه

محمد مؤذن

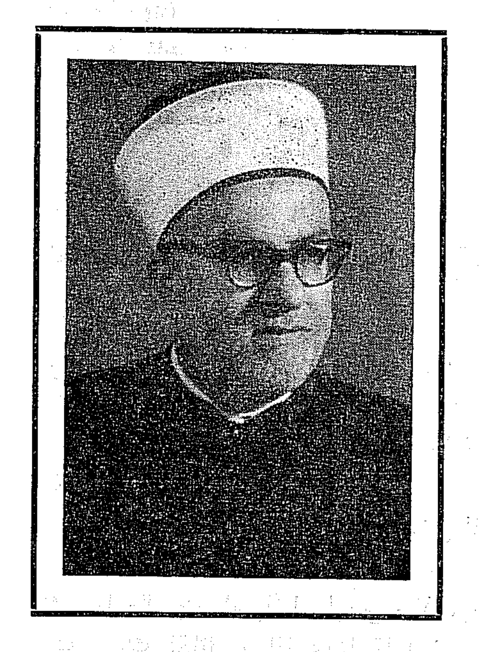
ليست الهجرة هجرة واحدة ، بل هي هجرة النفس لما تأباه ، وهجرة القلب لما ينكره ، وهجرة العقل لما يفسده ، وهجرة الارواح لما لا ينسجم معها .

هذه نسميها هجرة معنوية ، وهناك هجرة مادية ، وهي هجرة الجسم من بيئة فاسدة ومجتمع مسمم ، انتشر فيه الالحاد ، وظهر فيه الفسوق والعصيان ، وتغلبت فيه عناصر الشر والخسران .

ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، رفع شعلة الهداية ، فاضاءت لها قلوب ، وانصاعت لها نفوس ، وانشرحت لها صدور ، وابتسمت لها أرواح ، وتمكنت فيها قواعد الهداية ، ورست فيها اسس الاصلاح ، فهجروا ما عليه القوم من عبادة الاوثان ، وتقديس الاصنام ، الى توحيد الله عز شأنه ، وجل سلطانه ، والعمل على مرضاته ، واعتبروا أنفسهم دعاة للحق ، وجنودا للرحمن ، وسعاة للخير ، ما خلقوا الا لهذا ، وما وجدوا على ظهر البسيطة ، الا ليؤدوا رسالة ، ويحفظوا أمانة ، فاذا حالت قوى الظلم

لفضيلة الشيخ عبد الحميد السائح

رئيس محكمة الاستئناف الشرعية ــ القدس



والشر والطغيان ، دون تبرئة الذمة ، وتأدية المطلوب ، ورفع راية الحق، واقامة قسطاس العدل ، هاجروا بأبدانهم ، لبيئة اصلح ومجتمع اكثر استعدادا للخير ، حتى يتمكنوا من تأدية الرسالة .

من أجل هذا هاجر الرسول وأصحابه من مكة المكرمة ، للمدينة المنورة ، هاجروا من الوطن وهجروه ، لا فرارا من تنكيل وتعذيب ، ولا خوفا من أذى وعدوان ، ولا ضعفا فى العزيمة ، ولا خورا فى النفوس ، ولاتفاديا من الموت فى سبيل الله ، ولا طمعا فى مال ، ولا سعيا وراء جاه أو منصب . وانما هو الايمان الذى ملأ نفوسهم وقلوبهم ، أبى عليهم ان يقلهم بلد تهدد فيه الدعوة ، وتمنع فيه كلمة الحق ان تعلو وتظهر ، وعوامل الشر متوافرة ، وزبانية الفساد متغلغلة ، تحول دون اظهار عزة المؤمنين ، وتمنع اعلان رسالة الاصلاح ان تبلغ الاسماع ، او ان تذيع فى الاصقاع، خوفا على باطلهم المزيف ان يفتضح ، وقوتهم المصطنعة ان تنهار ، وزعامتهم الخادعة ان تتهدم .

أيها القارىء الكريم

لقد تهيأت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه الاكرمين اسباب الهجرة الى المدينة بهجرة نفوسهم أولا ، ونفرة قلوبهم ، من كل ما أحاط بهم من اباطيل ، واستنكار ما هم عليه من عقائد فاسدة وتقاليد واعراف لا تمت الى رسالة الخير والاصلاح بصلة، ورضوا بهجرة الاوطان ، لصيانة العقائد والمبادىء ، فاذا صانوها استطاعوا ان يصوغوا النفوس المجاهدة ، والقلوب المناضلة المكافحة ، وان يبنوا امة تتحمل التضحيات فى سبيل مثلها وحماية ذمارها ، وحفظ كرامتها واستعادة أوطانها .

ولهذا فان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، لما تمكن فى المدينة اقام دولة الاسلام العتيدة ، لتحمى الايمان

وتشريعاته ، وتصون الحقوق ، وتنصر الضعفاء وتكون النفوس المكافحة المؤمنة.

ولما اطمان لقوة العقيدة وسلامتها كون من الامة جيشا ، كل فرد فيه جندى مخلص ، متفان فى سبيل عقيدته ومثله ، وتنافس القوم فى التضحية ، وتباروا فى الفداء ، ولما استشارهم يوم بدر ، قال المقداد بن عمرو : يا رسول الله امض لما أمرك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون .

ثم قال سعد بن معاذ صاحب راية الانصار : لقد آمنا بك وصدقناك،وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك مع ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أمرت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، وما تخلف منا رجل واحد .

أيها القارىء الكريم

حينما بدأ المسلمون بالهجرة الى المدينة فطنت قريش لنتائج الهجرة وآثارها البعيدة ، فبذلت كل ما تستطيع من جهد فى سبيل صرف المسلمين عنها ، واستعملت كل وسائل التنكيل والتعذيب والحبس والتشريد ، حتى فصلت الزوجة عن زوجها اذا كانت قرشية ،

ولما أراد صهيب الرومي أن يهاجر ، وكان صاحب مال وفير ، وقف له صناديد قريش ، وقالوا له:اتيتنا صعلوكا حقيرا ، فكثر مالك عندنا ، وبلغت الذى بلغت ، ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك ، والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي؟ فقالوا نعم ، فقال جعلت لكم مالي ، فتركوه حتى قدم على رسول الله ، فقال له : ربح بيعك .

فتلك النفوس السامية تعلقت بمثلها العليا واهدافها الكبيرة ، واستهانت فى سبيل ذلك بالمال وغير المال .

لذلك يجب علينا حينما نذكر الهجرة ان نذكر ما كان فيها من تضحيات بعيدة المدى ، تخلى الواحد منهم عن ماله ، وعن زوجته وعن أهله ،وأخيرا تخلي عن وطنه، ولكن لماذا هذا كله ؟ ليحمي ايمانه وعقيدته ، واذا سلم ذلك استطاع ان يصنع الاعاجيب ، ويسترد الاوطان ، وينقذ الكرامة ويحفظ الشخصية ، ويؤمن الحرية .

وحينما نذكر الهجرة،نذكر ان الرسول واصحابه ما هاجروا من وطنهم ليعبدوا ربهم فى سرهم وما هاجروا ليقبعوا فى مسجدهم يرددون آيات الله،وما هاجروا لينطووا على أنفسهم ، وانما هاجروا ليعلنوا دعوة ربهم ،ويرفعوا راية الاصلاح فى شتى الميادين .

ولهذا فان الرسول لما اذن لاصحابه فى الهجرة للحبشة ، وهاجر من هاجر منهم ، اراد ابو بكر ان يلحقهم ، فخرج من مكة حتى بلغ موضعا يسمى برك الغماد ، على خمسة أميال من مكة ، لقيه

ابن الدغنة ، وكان سيد جماعته ، فقال له اين تريد يا ابا بكر ؟ فقال اخرجني قومي ، وأريد ان اسيح فى الارض واعبد ربي ، فقال له ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، انك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ، فانا لك مجير امنع من يؤذيك، فارجع واعبد ربك فى بلدك ، واعلم ابن الدغنة اشراف قريش بما أجار ، فوافقوا على أن يعبد ربه فى داره ، لانهم خافوا ان يفتن نساءهم وأبناءهم حين يطلعون على حقيقة الاسلام ، وبنى ابو بكر مسجدا صغيرا بفناء داره، وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فيجتمع عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، ويتزاحمون مصغين لقراءة ابى بكر ، فأفزع ذلك اشراف قريش ، وأرسلوا الى ابن الدغنة يطلبون منه أن يتقيد ابو بكر بعبادة ربه فى داخل داره ، أو يسترد أمانه ، فلم يقبل أبو بكر هذا الشرط ، ورد عليه امانه ، وقال : ارضى بجوار الله وحمايته ، وكان هذا من أسباب الهجرة الى المدينة .

اذن انما هاجر الرسول ليغير عقائد كانت فاسدة ، ويبدل تقاليد كانت ضارة بالية ، فأقام الدولة الاسلامية تتكفل بالتشريع فى جميع نواحي الحياة ، من أحوال شخصية ومدنية وغيرها وعلاقة الفرد بربه ، وعلاقة الفرد بغيره ، وعلاقة الدولة بغيرها من الدول .

وأقام تلك الدولة على مبادىء الاخوة فى الله ، والتضامن الانساني العام، واقامة الحرية ومحاربة الظلم والطغيان ، ورفع راية العدل فى جميع افراد الامة ، وكان من مبادئها وقواعدها : الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله .

ولذلك فان التفكير فى فصل الدين عن الدولة أو الدولة عن الدين هو من مستوردات الغرب ومصادم للاسلام ، فالتشريع جزء من الاسلام ، الذى هو دين ودولة وعقيدة وعمل (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

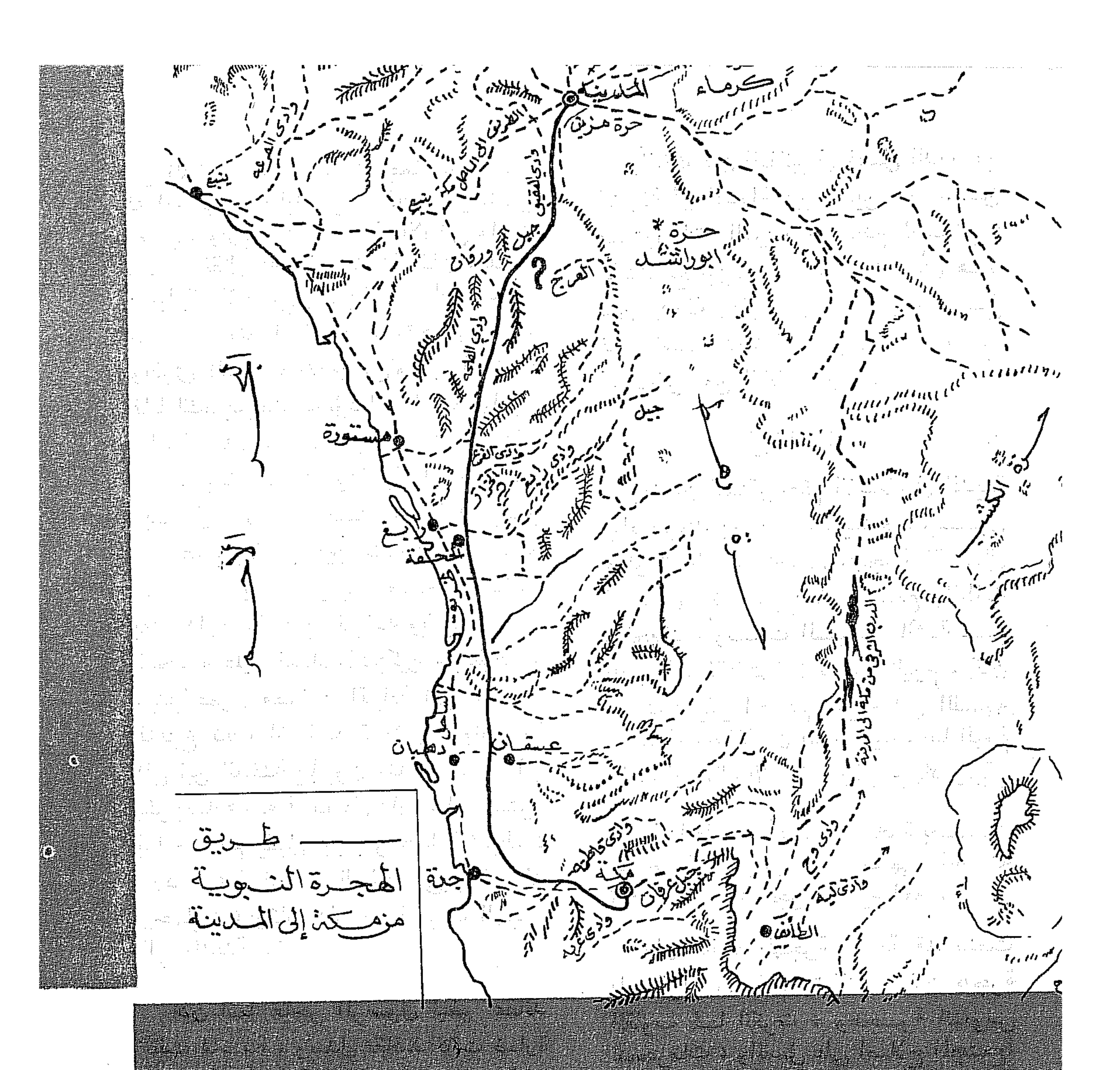
أيها السادة

بعد ان استقر حكم الاسلام فى المدينة جاء مجالد بن مسعود يبايع الرسول صلوات الله عليه على الهجرة فقال الرسول : لا ، نبايع على السمع والطاعة والجهاد ، وسئلت السيدة عائشة عن الهجرة ، فقالت : لا هجرة اليوم ، كان المؤمنون يفر احدهم بدينه الى الله ورسوله مخافة ان يفتن عليه ، اما اليوم فقد اظهر الله الاسلام ،ولكن جهاد ونية.

وفى احاديث أخرى لا هجرة بعد الفتح والمهاجر من هجر مانهى الله عنه واعظم الهجرة هجر ما حرم الله .

وان كانت الهجرة المادية قد منعت باستقرار الاسلام وتمكنه ، فان هجرة القلوب لما انكرت ، وهجرة النفوس للمحرمات ، والعمل على اصلاح المجتمع، وتنقيته من الادران ، وتوافقه مع احكام الاسلام ، لا يزال كل ذلك واجبا محتما ، والتسامح فى ذلك يعرض للفساد والدمار والمسئولية العظمى امام الله . واذا كنا نحتفي بذكرى الهجرة فعلينا ان نذكر ما عليه كثير من المجتمعات فى العالم الاسلامي من بعد عن الاسلام ، وتنكر لاحكامه واستخفاف بتراثه الفكرى ، وكنوزه التشريعية واعراض عن الاستفادة منها والرجوع اليها .

البقية على ص ٥٧



المدينة
كرماء
ينبع
مستورة
رابغ
عسفان
جدة
مكة
الطائف
جبل ورقان
طريق
الهجرة النبوية
من مكة إلى المدينة

الطريق إلى

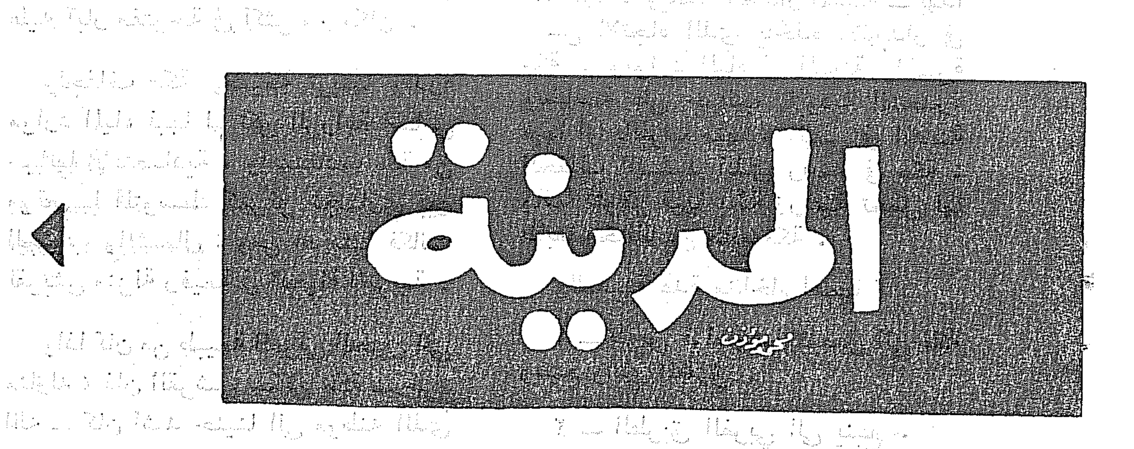
للدكتور عبد العزيز كامل
استاذ الجغرافيا المساعد بكلية الآداب بجامعة القاهرة

ان من أول ما يسترعي الانتباه فى الهجرة أنها كانت ((عربية)) لم يترك فيها النبي عليه الصلاة والسلام الجزيرة كما فعل أصحابه عندما أذن لهم فى الهجرة الى الحبشة ، وانما كان انتقال قاعـدة الاسلام من واحة الى واحة بحيث يظل المنطاق الاسلامي عربيا .

ومع وقوع مكة والمدينة على محور الواحات الممتد بين الشام واليمن الا ان هناك فروقا واسعة ــ طبيعية وبشريـة ــ تقتضي دراسة مقارنة بين البيئتين تأتي سابقة لوصف الطريق بينهما .

مكة

تقع مكة فى واد ضيق يبعد نحو ستين كيلو مترا عن شاطىء البحر الأحمر . وينحدر الوادي من الشمال ــ حيث المعلاة ــ الى الجنوب ــ حيث المسفلة ــ وترتفع الجبال على جانبي الوادي وتحيط بـه بحيث تحدد مداخله تحديدا دقيقا . ويبلغ ارتفاع بطن وادي مكة نحو ٣٦٠ مترا فوق مستوى سطح البحر . والى شرقه يرتفع جبل قعيقعان ، والى الغرب جبل ابى قبيس . وسفوح الجبال جرداء تتناثر فيها غيران تتباين عمقا واتساعا . وعند حضيض أبي قبيس ترتفع ربوة صغيرة هي الصفا تقابلها فى الجنوب الشرقي ربوة أخرى هي المروة. وفى منتصف الطريق بينهما تهبط الارض فى بطن الوادى، والى جنوب قعيقعان وغرب أبي قبيس يرتفع جبل عمر وكان اسمه العاقر فى الجاهلية . ويطلق على الجزء الشمالي من قعيقعان جبل الهندي لسكنى الهنود فيه .



هذه هي الجبال الرئيسية المشرفة على مكة . واذا رجعنا الى الأزرقى فى أخبار مكة وجدناه يذكر اسماء كثيرة لجبال أخرى أقل أهمية ، بعضها أجزاء من الكتل الرئيسية او امتدادات لها .

وأدى هذا التوزيع الى تحديد مداخل مكة الرئيسية الثلاثة :

١ ــ المدخل الغربي بين جبل قعيقعان وعمر وهو الموصل الى جده .

٢ ــ المدخل الجنوبي فى مسفلة مكة ويسمى طريق اليمن .

٣ ــ المدخل الشمالي من المعلاة ويوصل الى منى وعرفات والطائف .

وتؤدي هذه المداخل ــ أو الطرق الى بطن مكة وبينها اتصالات اهمها يوصل الى المدينة .

وأشهر موارد المياه فى مكة بئر زمزم فى الحرم، وقد أحصى الجغرافيون العرب موارد مياه المنطقة وأهمها عند جبل عرفات ، ويصل الى مكة بمجرى جوفي عليه آبار مفتوحة فى أكثر من مكان .

ولجفاف مكة وطبيعة تربتها وندرة موارد المياه فيها لم تكن الزراعة اساس حياتها الاقتصادية . واستفادت مكة من موقعها المتوسط كمركز تجاري بين الجنوب والشمال ، ومن حرمتها فكانت لقريش منزلة رفيعة فى الحياة العربية .

واذا كان من طبيعة العربي الحنين الى منازله ، فان القرشي ساكن مكة ــ حرم الله ــ كان أشد حنينا الى موطنه الذي يضم الميراث الممتد فى أعماق التاريخ ، وتدين له العرب .

على هذا نستطيع ان ندرك ان الهجرة لم تكن مجرد تغيير موطن بموطن ، او ان ارتباط النبي والصحابة بمكة كان ارتباطا لا يصل الى أعماق نفوسهم . لقد كانت فيهم العاطفة الدافقة نحو مكة ، بل لعلهم كانوا أشد أهل مكة احساسا بمنزلة مكة الحقيقية والدور الذى ينبغي ان تقوم به فى الحياة العربية فى ظل الاسلام .

المدينة

واذا كانت مكة تمثل بدء طريق الهجرة فان المدينة تمثل غايته و هدفه . وتبعد عن ساحل البحر الاحمر بنحو (١٦٠) كيلو مترا . وعن مكة ــ فى خط مستقيم ــ نحو (٣٣٥) كيلو مترا ، وان كان طول طريق الهجرة نحو اربعمائة كيلو مترا . وتشغل المدينة جزءا منخفضا من سهل مرتفع تحيط به المرتفعات من ثلاث جهات اما الجنوب فأكثر استواء وان كانت به بعض التلال .

والانحدار العام فى المدينة نحو الشمال الغربي واليه تجرى عدة أودية تتجمع فى وادى العقيق ــ ويطلق على الاجزاء المرتفعة فى الجنوب الشرقي العوالي أو عالية المدينة ، وعلى الجزء الشمالي سافلتها . ويتخذ انحدار المدينة ــ بهذا عكس الاتجاه الذي يأخذه الانحدار فى مكة . وموارد المياه فى المدينة وافرة وبخاصة على جوانب الأودية المنحدرة فيها أو بالقرب منها ، وليس فى المدينة الجفاف الشديد الذي رأيناه فى مكة ، وانما تتوفر فيها بيئة زراعية تجعل لها طابعا مختلفا عن طابع مكة .

وللمدينة عدة مداخل أهمها :

١ ــ طريق قباء وهو الموصل الى مكة ويتبع وادي العقيق .

٢ ــ الطريق الغربي الى ينبع .

٣ ــ طريق نجد الذي يخترق حرة واقم شرق المدينة .

٤ ــ طريق الشام المتجه شمالا .

ويهمنا فى مجال المقارنة طريق نجد وطريق قباء .

ولقد اجتذبت المدينة بوفرة مائها وامكانياتها الاستقرار فيها ووقوعها على محور الواحات بين اليمن والشام .. اجتذبت بهذا كله انظار عرب الجنوب من الأوس والخزرج ، كما اجتذبت أنظار اليهود الذين جاءوها من الشام ولم تجتمع المدينة على رجل واحد ، ولم تعتمد ــ فى الجاهلية ــ على حرمة دينية كمكة ، فكثرت فيها الحصون والآطام يمتنع بها أهل الحي عندما يتعرض لهم عدو من المدينة أو من خارجها . وكان اكثر هذه الحصون فى العوالي حيث وفرة المياه وجودة الأرض . وقسم له اهميته منها كان تحت يد اليهود .

وعندما فتحت المدينة قلبها للرسول فى بيعة العقبة ، وبدأت تستقبل أصحابه حذرت قريش من خروج الرسول الى المدينة وتشاوروا بدار الندوة ثم اتفقوا على قتله ، يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه ، وبهذا تحدد وقت الهجرة بعد أن تحدد هدفها .

مجال الهجرة

كانت الهجرة فى صيف عام ٦٢٢ ميلادية . وكانت ــ على الراجح ــ فى أوائل ربيع الأول . فى العام الثالث عشر من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام . ومع أن الجفاف والحرارة هما الطابعان الغالبان على الجزيرة العربية الا ان العربي كان يفضل وقت اعتدال الجو اذا ترك له الخيار من أمره .

وللطريق من مكة الى المدينة مميزات جغرافية لها ارتباطها بالتقسيم التقليدي الذي درج عليه العرب فقد كانوا يقسمون الجزيرة العربية الى تهامة والحجاز ــ وفيهما كان المجال الجغرافي للهجرة ــ واليمن ونجد والعروض . وأطلقوا عليها هذا الاسم لاعتراضها الطريق بين اليمن وفارس .

وتهامة اصطلاح له دلالة تضاريسية ومناخية فالتهمة هي الأرض المتصوبة الى البحر ، والتهم شدة الحر وركود الريح . اما الحجاز فهو ما حجز بين تهامة ونجد . وربط بعض الكتاب بين موقع الحجاز وبين التكوينات البركانية (الحرار) هناك ، قال الاصمعي : اذا عرضت لك الحرار بنجد فتلك الحجاز .

ولهذه الظاهرات الجغرافية تأثيرها على طرق الاتصال بين أجزاء الجزيرة العربية ، ويعنينا منها الطرق فى الحجاز وتهامة وبخاصة ما بين مكة والمدينة .

١ ــ فهناك طريق الساحل فى تهامة . ويستطيع سالكوه أن يعتمدوا على موارد المياه فى بطون الأودية المتحدرة من الحافة الغربية لجبال الحجاز نحو البحر الاحمر ، ومن قديم عرف العرب هذا الطريق وسلكته قوافلهم . وكانت قوافل قريش تسلكه اذا أرادت ان تتجنب المرور بالمدينة . ولا زال الطريق الرئيسي بين مكة والمدينة يتبع السهل الساحلي ما بين جدة حتى بدر ، ثم ينحرف بعد هذا الى الشمال الشرقي مخترقا الجبال ليدخل المدينة من جنوبها الغربي .

٢ ــ أما الطريق الثاني فيطلق عليه الدرب الشرقي أو طريق نجد . ويتبع الحضيض الشرقي لحرة رهط وهي اكبر الحرار بين مكة والمدينة .

وبهذا نستطيع أن نميز فى أرض الحجاز ــ بمدلولها الواسع ــ بين السهل الساحلي ثم الجبال الساحلية ثم تنخفض الارض مرة اخرى لتعود الى الارتفاع فى الجبال والحرار الداخلية وتنحدر حافاتها الشرقية الى نجد . وتتبع القوافل اما طريق الساحل أو الطريق الشرقي بين الحرار .

وقد قامت المساحة المصرية السعودية وشركة ارامكو بدراسات مفصلة لهذه الاجزاء ولكنها ــ رغم اهميتها ــ لا تعنى عناية اساسية بتوقيع المعالم الجغرافية والاماكن التي ارتبطت باحداث التاريخ الاسلامي ، الا ما كان له قيمة بشرية ظاهرة .

ومن ثم بقيت ثغرات واسعة فى طريق الدراسة تحتاج الى دراسات ميدانية مفصلة توقع ــ على خرائط ــ هذه المعالم التي ذكرها الجغرافيون العرب فيما خلفوه من معاجم ومؤلفات . وبدون هذه الخرائط سيظل الاساس الجغرافي أو المكاني فى دراسة التاريخ الاسلامي غير عميق . وستظل فلسفة المكان غير محددة القسمات فى وصف وتحليل أحداث هذا التاريخ . نحن فى حاجة الى « اطلس الاسلام » فهل تتعاون الجامعات والهيئات العلمية فى الوطن الاسلامي على انجازه ؟ .. أمل أرجو ان يتحقق ..

ولنعرض بعد هذه المراحل طريق الهجرة .

من مكة الى الغار

رأينا كيف أن لمكة ثلاثة مداخل رئيسية : طريق الغرب وطريق الشمال وطريق المسفلة الجنوبي نحو اليمن . ويبدو لاول وهلة أن الطريقين الاول والثاني أقرب الى المدينة من الطريق الثالث . ومع هذا فقد كان خروج النبي عليه الصلاة والسلام للهجرة عن طريق المسفلة . أى أنه توجه تلقاء الجنوب ليتابع بعد هذا سيره الى الشمال . وغار ثور الذي لجأ اليه الرسول يقع على نحو خمسة كيلو مترات ونصف الى جنوب شرق مكة وارتفاعه ٧٥٩ مترا فوق سطح البحر . والطريق الى الغار شاق حتى ان الرسول لم يبلغه الا بعد ان دمت قدماه .

وكان من المنتظر ان يبدأ البحث عن الرسول فى الاجزاء الشمالية والغربية من مكة وهي المؤدية الى المدينة . وألا يتبادر الى الذهن ان يسلك الرسول طريق اليمن بينما المدينة هدفه .

وبقى الرسول فى الغار ثلاثة أيام ومعه أبو بكر . وكان خروجه من مكة ــ على الراجح ــ فى اوائل ربيع الأول . ولا نجد تحديدا دقيقا متفقا عليه فى أمهات كتب التاريخ الاسلامي ليوم خروجه من مكة (يراجع ابن هشام وتاريخ الطبري) . وان كان الاتفاق على يوم بلوغه قباء ودخوله المدينة ..

كان بلوغه قباء يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتد الضحى (الطبري ٦ : ٣٨١ المعارف) وكان دخوله المدينة يوم الجمعة الذي يليه (نفس المرجع ٦ : ٣٨٣) .

ولو أخذنا بأن خروج الرسول كان يوم الاثنين، فسيكون الخامس من ربيع الاول ، فاذا طرحنا منها ثلاثة ايام بقيها فى الغار لبقيت عندنا أربعة ايام عليه أن يقطع فيها اربعمائة كيلو مترا .. أى أن متوسط الرحلة اليومية مائة كيلو مترا .. وهو رقم واضح الارتفاع ، بينما لو كان خروجه من الغار يوم اثنين لانخفض الرقم الى نحو ستين كيلو مترا .. وهو قريب من المنطق فى ظروف الهجرة ..

ونظم الرسول في الغار أمرين أساسيين :

١ ـ ان يكون على علم بمجرى الحوادث في مكة وما تقوم به قريش ويرتبط بهذا تدبير حصوله من مكة على طعامه وشرابه وزاده عند السير .

٢ ـ ان يكون طريق الهجرة أمامه مفتوحا الى المدينة .

اما عن الامر الاول فكان عبد الله بن ابى بكر يبيت عندهما فى الغار اذا اظلم الليل ثم يعود فى الفجر الى قريش فيظن أهل مكة أنه كان معهم. ويمضى نهاره بينهم يسمع ما يقولون ويرجع الى الغار ليخبر الرسول بما علم . وكانت اسماء بنت ابى بكر تأتيهما بالطعام . اما آثار الأقدام التي يتركها سير اسماء وعبد الله فتكفل بها عامر بن ابى فهيرة مولى ابى بكر ، فيروح على الغار باغنامه بعد ان يرعى نهارا فيأخذ الرسول وصاحبه ما شاءا من البانها ولحومها ثم يتابع سيره بالقطيع دون ان يترك وراءه أثرا على سير انسان ..

وأما الشطر الثانى فكانت لأبى بكر راحلتان دفعهما الى عبد الله بن أريقط وكان دليلا ماهرا ليأتيهما بهما عندما ينقطع الرصد والبحث عن الرسول وصاحبه .

ورغم هذا الاحكام فقد استطاع قصاصوا الأثر ان يصلوا الى فم الغار بعد أيام أمضوها فى البحث ، ولكنهم لم يتابعوا البحث فيه وحفظت عناية الله الرسول وصاحبه .

على الساحل

وخرج الرسول من الغار بصحبة ابى بكر ورافقهما عامر واتجه الدليل غربا الى طريق الساحل . وتمثل الأودية المتحدرة من السفوح الغربية ، للجبال نحو البحر المعالم الرئيسية فى الطريق . ثم اتجه شمالا متجنبا مناطق الاستقرار أو التجمع ، مستفيدا فى نفس الوقت من موارد المياه الموجودة ، وان مر فى طريقه ببعض الرعاة . وتابع سيره شمالا مارا بالطريق أسفل عسفان . وهي بلدة صغيرة باقية . ومر بعد هذا بأمج ـ ولم يرد على الخرائط الحديثة ـ وهو واد يأخذ من حرة بني سليم وينتهي الى البحر ثم أجاز قديدا وهي قرية صغيرة على وادي ستارة ثم سلك الخرار وهو موضع بالحجاز ذكر ياقوت انه قرب الجحفة (معجم البلدان ٢ : ٣٥ ط بيروت) ولم يرد هذا الوادي على الخرائط الحديثة .

هذا هو القطاع الساحلي من طريق الهجرة ويبلغ امتداده نحو مائة وسبعين كيلو مترا . ولم يتبع فيه الرسول الجادة المطروقة وانما كان يتجنبها ليكون فى مأمن ممن يحاول ان يقفو أثره . وقد حاولها سراقة بن مالك .. ذهب طامعا وعاد ليصرف الناس عن تتبع الرسول .

من الساحل الى المدينة

وعند الجحفة سلك الرسول طريق الخرار ـ او طريق الحرار ـ الأول الوادي والثاني جمع حرة ـ وهو غير الطريق المعتاد بين مكة والمدينة . وكما تجنب الرسول الجادة المطروقة فىالسهل الساحلي ، تجنبها كذلك عند سلوكه الجزء الجبلي من الطريق . وتذكر كتب السير الثنيات والعقبات والأودية التي مر بها (ابن هشام ٢ : ١٣٦ ـ ١٣٧ ط الحلبي بمصر) ويتبين منها انه حتى مع اختياره هذا الطريق ، كان يتجنب معالمه المعروفة اختصارا للوقت وزيادة فى الحيطة ، حتى انه سلك فيه واديا كان به قاطعا طريق ـ رغم علمه بذلك ـ وأسلما على يديه . واجتاز ثنية ركوبة عند العرج وهى عقبة شاقة شديدة المرتقى يضرب بها المثل .

الطريق الى المدينة

وبعد أن عبر عدة أودية هبط بهما الدليل العرج ثم هبط وادي العقيق . وهذا الوادي تسجله الخرائط الحديثة. امـا المعالم التي سلكها الرسـول بين الساحل ووادي العقيق فلا نجد توقيعا لها على هذه الخرائط .

وقد تتبع الرسول وادي العقيق الى قباء وهي قرية صغيرة الى جنوب المدينة وأقام بها أربعة أيام وأسس فيها مسجدا، ولحق به فيها علي بن ابي طالب رضى الله عنه بعد أن نام فى فراش الرسول ليلة الهجرة ليصرف الأنظار عـن تتبع الرسـول حتى الصـباح ثم قام يرد الودائع .. ودخل الرسول المدينة يوم الجمعة فى الخامس عشر من ربيع الأول ويبلغ الجزء الجبلي من طريق الهجرة نحو مائتين وثلاثين كيلو مترا .

وصفوة القول

ان الهجرة كانت عربية ، وأن الطريق الذي سلكه الرسول فى هجرته بدأ باتجاه جنوبي مع أن هدفه المدينة شمالا ، ثم اختبأ فى الغار ثلاثا وتتبع طريق الساحل غـير سالك منازلهم المطـروقة ثـم سلك الخرار متجها الى الشمال الشرقي متتبعا طرقا جبلية وعـرة حتى هبط العرج فوادي العقيق الى قباء ومنها الى المدينة . واتخذها دار هجرته وقاعدة لنشر الاسلام .

قالوا فى الهجرة

يفوق الخيال

قصة هي أضخم قصص الحيـاة جميعا ، لانها تروى أضخم احداث التاريخ جميعا ، على انها قصة لم يلفقها الخيال، ولم يبتكر لها الابطال ، ولم يخترع لها الوقائع اختراعا ، ولم يبتدع لها النتائج ابتداعا ، ومع هذا فهي اجمل ما روى أصحاب القصص وأبدع وأفخم ما حاك خيال الروائيين وأروع ، هي قصة اذا لم تكن من نسج الخيال ، فان الحقيقة فيها سمت على محلق الخيال !

هي شيء لولا انه وقع ، لما صـدق احد انه يقع ، ولولا انه كان ، لما ارتاب أحد فى انه لا يمكن أن يكون . ولقد جرت حوادث هذه القصة فى صـدر القـرن السابع لميلاد المسيح عليه السلام ، واما موضوعها فالصراع بين الحق والقوة ، واما مكانها فمكة ، فيثرب ، ثم مكة ، واما ابطالها فمحمد بن عبد الله ، وأما اشخاصها فصحبه من ناحية ، وقبائل قريش من ناحية أخرى .

هي قصة طويلة جدا ، فقد استهلكت حوادثها العنيفة الرائعة نيفا وعشرين سنة ، وهي مبسوطة مفصلة ، فى كتب التاريخ ، وفى كتب السير .

وبعد ، **فليت هؤلاء الذين غصب عليهم حقهم ، والذين خرجوا أو اخرجوا ظلما من ديارهم ، ليتهم يبنون انفسهم على الصبر ، ويروضونها على شـدة الاحتمال فى سبيل الحق ، ففي حديث الهجرة أصدق الخبر ، وفيه احسـن العظات وأبلغ العبر .**

عبد العزيز البشرى

بقية : لماذا هاجر الرسول وأصحابه

أذكر حينما كنت قاضيا فى القدس منذ عشرين سنة ، عرضت على حادثة ، طالبت فيها مطلقة مطلقها بخمسمائة ليرة عثمانية ذهبا ، مؤجل صداقها ، وقد كان التعامل بالذهب ممنوعا ، واختلف الفريقان فيما يجب على المطلق أن يدفع، هل قيمة الليرة يوم العقد ، أو قيمتها يوم الاستحقاق أو قيمتها يوم الخصومة، وراجعت فى المراجع الفقهية الاسلامية فوجدت انهم استعرضوا الاحتمالات الثلاثة ، ورجحوا اعتبار يوم الاستحقاق، وأبرز الى حينئذ حكم صادر من مجلس الملك فى لندن فى حادثة حقوقية مماثلة وقعت فى محاكم فلسطين، وقد استعرض مجلس الملك آراء الفقهاء الاسلاميين ، وغيرهم من الفقهاء ورجح ما رجحه فقهاء الاسلام .

واذكر هذه الحادثة الجزئية للدلالة على ان الغربيين كانوا ولا يزالون يستفيدون من كنوزنا ويستقصون ما فيها من تراث عظيم ، نحن أجدر بجعله أساسنا فى التشريع ، وملاذنا فى الاتجاه وعمدتنا فى التقنين .

واذا لم يحرص المسلمون والعرب على مصادر اعتزازهم ، ومدار فخارهم ومقومات شخصيتهم ، فانهم يندمجون فى غيرهم ، ويذوب وجودهم ، ويبقون فى كل شيء عالة على غيرهم .

ولئن ساغ للبلاد العربية الاسلامية ان يعتمدوا فى التشريع على القوانين الغربية والمصادر الاجنبية فى عصور كان للانتداب والاستعمار والميوعة والانحلال الاثر الكبير فيها ، فلا يجوز أن يكون فى عصور الاستقلال واليقظة ، والانطلاق من قيود الاجنبي .

واني اتساءل هنا عن القومية العربية، التي دعت او تدعو اليها جميع الدول العربية ، هلا تعنى الاحتفاظ بشخصيتنا كأمة ذات تشريع خالد ، وثروة فكرية عظيمة ، ساهم فى الاحتفاظ بها وشرحها المسيحيون المخلصون لعروبتهم ، كما ساهم فيها المسلمون ، باعتبارها ثروة قومية ترفع من شأن العرب وتضعهم فى ذروة القمة فى الامجاد .

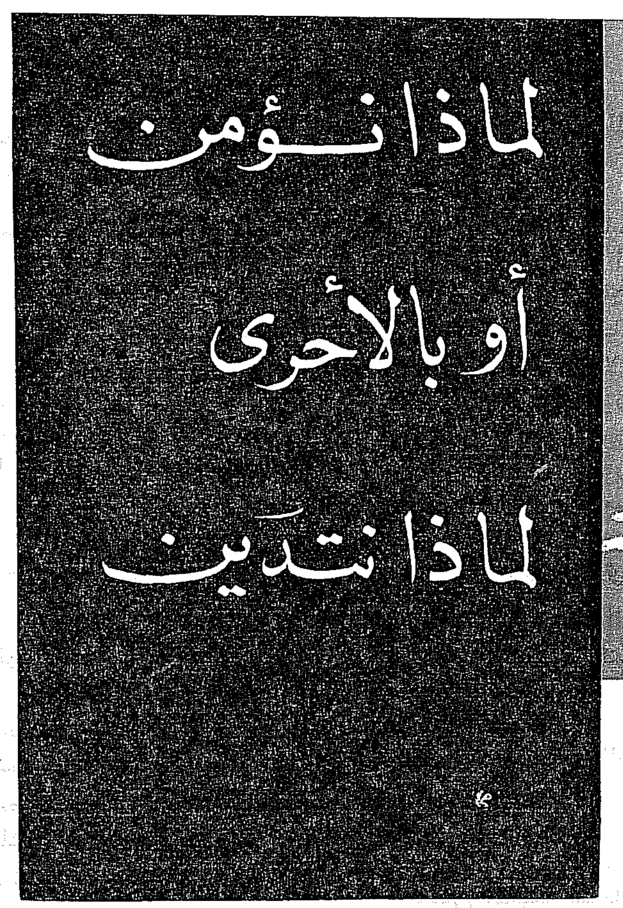
أيها القارىء الكريم

لعله يتراءى لك أني بعدت عن الهجرة وما يتعلق بها ، ولكني أقول أنه يجب أن نهجر كل ما يتنافي مع شرائعنا وتقاليدنا كأمة عربية مجيدة ، ونجدد العزم على هذا فى حديثنا عن الهجرة ، فلا فائدة من الاحاديث والحفلات والخطابات اذا لم تمس مشاعر الناس فى عصرهم ، وتربط بين حاضرهم وماضيهم ، وتجعل من الماضي المجيد مشعلا يهدينا فى حاضرنا وحافزا يدعونا الى العمل الجدى المثمر .

واني فى حديثي عن الهجرة أهيب بالعرب والمسلمين فى سائر الاقطار أن يعملوا جادين على غسل العار ، والاخذ بالثأر ، وانقاذ الكرامة ، واستعادة ما غصب من فلسطين الحبيبة ، ولا سبيل لذلك الا التضامن والاعداد والقوة ، وان نستفيد من ماض لنا حافل بالامجاد وأسباب العزة والمنعة .

وليس القصد ان نتغنى بتلك الامجاد ونستعيد تلك المفاخر ، وانما القصد أن نسير سير البطولات ، ونتمثل فى أعمالنا بحقيقة التضحيات ، ونتخلى عن الارتماء فى أحضان الغير ، ونتخلص من مركب النقص فى نفوسنا ، ونشعر فى فخر بعزة المؤمنين ، وحينئذ تكون بحق خير أمة أخرجت للناس .

الإسلام ورسوله وتعاليمه بلغة العصر



بقلم الاستاذ احمد حسين المحامي

مناقشة مفتوحة للنظرية المادية

الدين أى دين لا يخرج فى جوهره عن ان يكون نظرية شاملة لتفسير الوجود والكون وتكييف العلاقات الانسانية على أساس من هذه النظرية وتطبيقاتها ، والمحور الاساسي لاى نظرية دينية هو الايمان باله خالق لهذا الكون من طبيعة مثالية تغاير المادة وتعلو عليها ، اله يمثل الكمال المطلق الذى يرنو اليه الانسان ، اله حكيم عادل رحيم .

والمعارضون لفكرة التدين والايمان بالله ، يقولون ان لا شيء فى الوجود يغاير المادة المنظورة المحسوسة الملموسة، ولا شيء يعلوها او يهيمن عليها الا نواميسها الخاصة ، ثم راحوا يرتبون

● النظرية المادية هي مأساة البشرية فى القرن العشرين

● لقد عجزت النظرية المادية فأفلست عـــن أن تفسر للانسان شيئا فضلا عن ان تفيده بشيء .

● الامتناع عن استخدام الافيون فى حالات الضرورة افراط فى تعذيب الانسان والقسوة عليه .

علاقات الانسان وتطورات التاريخ على هدى من هذه النظرية وهذا الاعتقـاد ، بحيث انتهى التفكير المادى الى اقامـــة ما يمكن ان يوصف بأنه دين المادية فى مواجهة اديان البشرية كلها ومعتقداتها التى ترتد كلها الى فكرة المثالية ، اى وجود مثل أعلى يعلو على المادة ويهيمن عليها .

أى طريق يختار الانسان ؟

ويصبح السؤال الآن ، أليس مـــن الجائز ان يكون هذا الدين المادى اهدى سبيلا ، وأكثر نفعا للانسان كما يقـول الدعاة اليه ؟ الا يجوز ان يكون الدين المادى اكثر قدرة على مواجهة مشاكل الانسان المعنوية والمادية ، وأنه يفسر ما يستعصي تفسيره على العقل ، ويمكن من القضاء على ما يعانيه البشر من متاعب وآلام ؟ .

وعندنا ان طرح السؤال على هـذا الوجه ومحاولة الرد عليه ومناقشته ، هو فرض واجب على كل انسان مفكر واع ، فالايمان اصدق الايمان لا يكون الا بدليل ، ولا يكون الا ثمرة الاقتناع العميق ، واذا كان الانسان نزاعا بطبيعته الى تحقيق اكبر قدر من الخير لنفسه ، فحتم عليه ان يرتاد كل المظان والاحتمالات التى يمكن ان تحقق له هذا الخير ، وتفسر الوجود . فلو أن هذا الدين الجديـد يقدم لنا نموذجا اصلح واكمل من النماذج الاجتماعية التى عرفها البشر حتى الآن .. لو انه قدم لنا مجتمعا يخلو مـــن القهر والاعنات والظلم والالم ، مجتمعا تسوده الوفرة والرفاهية ويرفرف عليه الحب ، لكان هو الاولى بالاتباع والاعتناق ، بل لوجدت البشرية نفسها مسوقـــة لاتباعه تلقائيا . أما اذا خرجنا مـــن البحث ، بأن هذا الدين المادى ، لا يقدم لنا تفسيرا جديدا لما عجزنا عن فهمـه وادراكه ، ولا يزودنا بمجتمع يفوق ما عرفه البشر حتى الآن من مجتمعات ،

بل اذا ظهر من البحث ان هذا الدين الجديد قد اضاف الكثير الى آلام البشر وتعاستهم ، فانه يكون قد أهدر مبرر وجوده ، وضاعف فى ان يزداد المؤمنون ايمانا على ايمانهم ، ويصبح حقا عليهم ان يتصدوا للقضاء على هذا الدين الجديد الذى لم تقف آثاره الضارة عند حد معتنقيه ، بل امتدت حتى الى مخالفيه .

النظرية المادية وتفسير نشأة الوجود

تقول الاديان ويؤمن المؤمنون أن هذا الوجود كما قدمنا ـ من خلق اله يعلو على المادة ويهيمن عليها ، فتساءل الماديون والملاحدة والمنكرون ، ومن الذى خلق الله ؟ فيقول المؤمنون وحاملو رسالات الاديان : ان الله قديم كان منذ الازل ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

فيقول الماديون: هذا كلام غيبي لا غناء فيه، وفرض لا يستسيغه العقل،وخروج عن جادة العلم اليقيني الذى يجب الا يتعدى حدود المحسوس والملموس .

فيقول المؤمنون : ولكن كيف يقوى العقل ــ وهو جزء مخلوق ــ ان يدرك اسرار الخالق ، اننا نسلم ان العقل الانساني يعيا عن ادراك حقيقة الله ، ويجب أن يظل هذا البحث خارج نطاق البحث العقلي وحسبنا ان الوجدان والعقل ذاته يؤديان بنا الى وجود الله ، اما بالنسبة لماهية الله فمسألة تستعصي على العقل .

فيقول الماديون : نحن لا نعرف سوى العقل سبيلا للادراك ، وكل حديث لا يتقبله العقل يكون ضربا من ضروب الاوهام والاساطير والغيبيات .

فيقول المؤمنون : اذن هاتوا ما عندكم ان كنتم صادقين ، أرونا كيف تفسر النظرية المادية ما يستعصي على العقل ادراكه .

فيقولون: ان الامر أبسط من البساطة، فليس ثمة خالق أو أصل لهذا الوجود سوى المادة المحسوسة الملموسة التى نراها مبثوثة فى الكون وفى انفسنا ، وهي التى تتطور ، وهي التى تتفاعل ، فكان هذا الوجود .

فنقول : آمنا وصدقنا ان المادة هي اساس كل شيء فى هذه الطبيعة ، فمن الذى خلق هذه المادة ؟ . وزودها بهذه القوانين والنواميس التى تتطور من خلالها ، لتبدع كل هذا الابداع وتخلق كل هذا الخلق ؟

فيقولون لنا : ان المادة قديمة ، هكذا وجدت منذ الازل ، وفيم نشغل انفسنا بهذا السؤال (الميتافيزيكي) أى المتعلق بما وراء الطبيعة ، ان العلم لا يشغل الا بكل ما هو مادى ومحسوس وملموس، ولا شأن له بالذهاب الى ما وراء الطبيعة .

ومعنى ذلك ان النظرية المادية لا تقدمنا خطوة واحدة فى تفسير نشأة الوجود ، وكيف كان . فالقول بأن المادة قديمة هو ذات القول بأن الله قديم ، والقول بأن التساؤل عن كيفية وجود المادة ، خروج عن نطاق العلم ، هو نفس القول بأن العقل يعيا عن ادراك ماهية الله وكيفيته .

وهكذا نرى انفسنا بعد طول جهد ومشقة قد فسرنا الماء بالماء .

النظرية المادية وتفسير تصاريف القدر

واذا كانت النظرية المادية تعجز عن

تفسير نشأة الوجود ، فهل تراها على تفسير حوادث الوجود وتصاريفه أقدر وأكفأ ؟

ان الماديين لا يجدون ما ينكرون بـه وجود اله حكيم عادل رحيم ، الا ان يشيروا الى ما يعانيه الانسان احيانا من ظلم وبؤس وشقاء ، فيقول المؤمنون ان هذه الدنيا ليست سوى دار ابتـلاء واختبار ، وهي معبر لحياة اخرى أكمل منها وأفضل ، تخلو من النقائص التى يعاني منها الانسان ، ويعوض فيها عن حرمانه فى هذه الدنيا ، وينال كل ذى حق حقه .

فيقول الماديون : أوهام وخرافـات ، وتعلق بالغيبيات ، وهروب من مواجهـة الواقع ، ومع ذلك فان الملاحظـة التى يوجهها الماديون ، بالنسبة لما تنطوى عليه الحياة الانسانية احيانا من بؤس وشقاء ، نتيجة الشذوذ والانحرافات تظل قائمة تبحث عن جواب .

فما دامت الحياة تسير وفق سنن ونواميس محددة وقوانين صارمة ، لا يمكن ان تخطيء ، أو أن تتحول ، فلماذا نرى هذه النوامس أحيانا تختل وتضطرب لغير سبب مفهوم او علة ، فنراها لاتوزع عطاياها على بني الانسان على السواء ، بل تعطى وتسرف فى العطـاء احيانا ، وتمنع وتشتد فى المنع احيانا اخرى . فترزق اقواما بالبنين والبنات بلا عدد ولا حساب ، وتمنع النسل عن آخرين ، وتعطي ذكورا حيث المطلوب اناثا ، وتعطي اناثا حيث المراد ذكورا ، ما بال هـذه النواميس تفرق بين شقيقين تكونا فى رحم واحد ، ورضعا من ثدى واحد ، ثم يكون احدهما علما على الذكاء والنبوغ ، والآخر علما على الغباء والغفلة . لماذا ـ والخلايا تنقسم وتتكاثر طبقا لناموس الحياة ـ تتوقف هذه العملية او تنحرف فاذا الجنين يولد ناقص التكوين ، أو بغير عينين أو بأكثر من رأس وأكثر من يدين .

ما الذى يجعل مولودا صحيحا قويا معافى ، يموت بعد ولادته .. ومولودا كسيحا ناقص التكوين يحيا ويعيش . لماذا يتساقط الاقوياء احيانا تحت منجل الموت المفاجيء فى الوقت الـذى يعيش فيه المشلولون والضعفاء ؟.

اين نواميس المادة ودقتها واطرادها ، ما الذى يحرفها ويعرقل سيرها ؟

فيرد الماديون بأن هذه الانحرافات ، انما تتم بدورها وفق قوانين وسنن ، نجهلها فى الوقت الحاضر ، ولكننا سنعرفها فى المستقبل ، عندما نزداد علما بأسرار الحياة .

ومرة أخرى لا نجد انفسنا تقدمنـا خطوة واحدة ، فما من مؤمن الا وهو يعتقد ان وراء الاحداث ايا كان انحرافها وشذوذها ، حكمة ربانية وهي ان خفيت عن بعض العقول ، فسوف تعرف فى يوم قريب عندما يكشف الحجاب عن البشر .

جنة فى الارض بدلا من جنة السماء

ويمضـي الماديـون فى الاحالة علـى المستقبل ، والتعلق بالعلم وقدرته على تحقيق ما نتصوره اليوم مستحيلا الى حد التبشير بجنة أرضية ، تكاد تكون صورة طبق الاصل من الجنة السماوية ، فسيجيء وقت ـ عندهم ـ يختفى فيه عن ظهر الارض كل مظاهر الاستغـلال والاستبداد والقهر ، سيجيء وقت تنعدم فيه الحاجة الى الشرطة أو السجون ، فضلا عن الجيش والدولة نفسها .

فسوف تسير الامور تلقائيا فى هـذا المجتمـع اللاطبقي من خـلال التعاون والتفاهم والمحبة الانسانية ، ولن يكدح

الانسان او يشقى ، فسوف تتولى الآلات والعلم خدمته ، ومده بكل حاجاته فى وفرة . ولن يكون مرض ، ولن يكون جوع ، بل قد يمكن العلم الانسان من التحكم فى الحياة والقضاء على الموت نفسه . ويعيا العقل بالمقاييس المادية البحتة ان يتصور كيف يمكن ان تتحقق هذه الجنة الارضية ، فالطبيعة الانسانية كما نعرفها ، والتى جعلت من الانسان انسانا ، انما تقوم على هذه العواطف الانسانية والاهواء والغرائز،بل والنقائص، وهى التى تجعل الانسان يتنافس ويتقاتل ويتحاسد ويتباغى ، ويحب ويكره ، ويتسلط ويستعلى ويستبد . والحضارة الانسانية والمدنية والعلم وكل ما حققه الانسان أو يمكن أن يحققه انما هو فى نظر العقيدة المادية قد انبثق من الصراع والتفاعل ، فكيف تقوم حياة انسانية خلت من الغرائز والحوافز والصراع ؟

وحيث تقوم الحياة اصلا بل الطبيعة كلها على التنوع واختلاف المستويات ، والتناقضات والتردد بين الحالة وعكسها، فكيف يمكن للعقل ان يتصور امكان حياة لا عمل فيها ولا كد من أى نوع كان ، حيث لا مرتفعات ولا منخفضات ، حيث لا مد ولا جزر ، وانما حياة سوية تسير على نمط واحد ونسق متكرر .

هنا ويقول الماديون ان عقولنا فى الوقت الحاضر تعيا عن تصور هذا المجتمع (اللاطبقي)لاننا لا نزال متأثرين برواسب الماضى وأدران الحاضر ، اما الاجيال التى ستولد فى ظل المجتمع الجديد فستكون اقدر منا على العيش فى هذا النعيم بعقول جديدة ونفوس طاهرة .

تفوق جنة السماء

وعندنا ان جنة السماء تتفوق على جنة الارض من الناحية العقلية البحتة ، او هى تنقل الجنة من هذه الارض بنواميسها الى السماء حيث تحكم نواميس غير النواميس ، وتسود اوضاع غير الاوضاع المألوفة على هذه الارض ، وما دام الانسان يرتدى هذا الثوب المادى الكثيف .. فمن المستحيل على العقل ان يتصور حياة غير هذه الحياة المألوفة، ولكن عندما يتحرر من قيود المادة ، عندما ينعتق من هذه الحياة الدنيا ، وينتقل الى الحياة الثانية فى السموات العلى، فستكون نواميس غير النواميس ، وقوانين غير القوانين . ولن يجد العقل صعوبة فى تصور حياة اكمل من حياتنا ، ما دامت ستكون خاضعة لنواميس غير نواميسنا، وأما الصعوبة التى تصل الى حد الاستحالة ، فهى تصور حياة اكمل وأفضل ، حياة لا يشوبها مرض ولا موت ولا الم فى ظل النواميس التى نعرفها . وها هي ذى الايام تكشف ، وقد بدأ الانسان يشق طريقه الى الفضاء الخارجي، وينعتق من الجاذبية الارضية، انه سيواجه احوالا غير الاحوال المعتادة ، وأوضاعا غير الاوضاع المألوفة ، ستقلب مفاهيمنا فى كثير من المسلمات بعد أن رأينا الانسان يسير فى الفضاء ، فلا يسقط هنا أو هناك ، ورواد الفضاء يحدثوننا عن الابتهاج والمسرة التى يحسون بها فى الفضاء، والعلماء يحدثوننا عن شفاء الامراض وطول الحياة فى الفضاء وفى الكواكب الاخرى .

وهكذا يصدق حس الانسان ، عندما يتطلع دائما صوب السماء ناقلا اليها الجنة التي تحكمها نواميس غير النواميس الارضية ، وهو في ذلك اهدى من النظرية المادية ، التي ربطت بين الانسان والارض واعتبرتها أصله ونهايته .

الجنة من نصيب من ؟

ولا يقف تفوق العقيدة الدينية على العقيدة المادية ، عند حد التفسير المنطقي لامكان قيام الجنة ، بل انها تتفوق اكثر من ذلك كله ، في جعلها الجنة من نصيب العاملين ، من نصيب الكادحين الصابرين المحتسبين ، من نصيب المظلومين والمحرومين في كل زمان ومكان منذ وجد الانسان الى أن ينتهي ، فالجنة السماوية هي من أجل هؤلاء ، وهي موعدهم ، وهي تعويضهم عما عانوه في هذه الارض .

اما الجنة المادية الموعودة ، هذا المجتمع اللاطبقي الذى يبشرون به ، فستكون من حظ من ؟؟

انها ستكون من حظ اجيال لم تولد بعد ولا يعرف متى تولد ، من حظ اجيال ستجد نفسها تلقائيا وسط هذه الجنة وهذا النعيم الذى لم تبذل جهدا من أجل تحقيقه ، وعلى الذين يدينون دين المادة ويؤمنون بنظريتها في أيامنا هذه في المجتمعات التي لم يصلوا فيها الى السلطة ان يشقوا ويكدحوا ، ويعرضوا انفسهم لمعاداة المجتمع والسجن والتشريد ، وأن يتآمروا ويثوروا اذا لزم الامر ، ويقاتلوا ويقتلوا بغير أمل في ان يشهدوا هذه الجنة الموعودة ، او حتى يتنسموا ريحها ، لان الجنة او المجتمع اللاطبقي الذى ينتفي منه القهر والاعنات ، وتظله الوفرة ، ويجد فيه كل انسان حاجته بغير كد ولا عناء ، ستكون من حظ الاجيال التي لم تولد بعد ، والتي لا تزال في عالم الغيب .

والحق أن مثل هذه الدعوة ، هي ذروة من ذرا التصوف والتجرد الذى ينكرونه على معتنقي الاديان وهي درجة قل من يصل اليها من المؤمنين بالله انفسهم ، فالكثرة الساحقة من البشر المتعبدين ، انما يتعبدون من أجل الحصول على الجزاء والمكافأة في الجنة الموعودة ، وليس اعجب من دعوة مادية تدعو معتنقيها الى أن يشقوا ويتألموا ويجوعوا ويضحوا ويموتوا اذا لزم الامر ، من أجل معنى صوفي مجرد وهو سعادة الاجيال المقبلة التي لم تولد بعد . وعندنا ان النظرية المادية انما تعلن افلاسها بمجرد التخلي عن المحسوس والملموس ، ثم التعلق بالافكار الغيبية والمعاني المجردة لانها تثبت بذلك علو الافكار والمعاني على المادة وهو ما يقول به المؤمنون المثاليون .

النظرية المادية على ضوء التجربة

لم يبق بعد ذلك الا أن نتساءل ، اذا كان هذا هو حظ النظرية المادية ، من الناحية النظرية البحتة سواء في تفسير الماضي السحيق . أو المستقبل البعيد ، أيكون حظها من التجربة والواقع احسن وأوفر ؟ .

ومن حسن الحظ ان النظرية المادية قد اتخذت اساسا للحياة ، ودينا رسميا في أوسع رقعة من رقاع العالم ، وأغزرها موارد ، وقد انقضى على بدء هذه التجربة نصف قرن ، وهي مدة كافية بمقاييس القرن العشرين وطاقاته لهدم العالم كله واعادة بنائه ، فقد اعيد بناء دول خرجت من الحرب العالمية الثانية ، وقد سويت مدنها بالارض وشرد شعبها ، وفككت مصانعها ، وجردت من وسائل مواصلاتها ، بل ومن علمائها وعمالها الفنيين ، ومع ذلك فقد استطاعت في أقل

من عشرين سنة ان تعيد بناء نفسها ، بل وتصبح علما على الفنى والازدهار والتفوق .. فالخمسون سنة اذن ليست بالشيء القليل فى القرن العشرين وهي كافية للحكم على نجاح أو اخفاق اية تجربة .

ولن نتحدث عن ملايين الضحايا التى تكبدتها هذه المجتمعات ، بل ولن نتحدث عن الآلام التى عانتها شعوب هذا الجزء من العالم ، فقد أغنانا عن ذلك قادة هذه المجتمعات فليرجع الى اقوالهم وخطبهم من يشاء .

وانما من حقنا ان نتساءل تساؤلا موضوعيا علميا مجردا من كل هدف الا الوصول الى الحقيقة عما حققته هذه المجتمعات بعد نصف قرن من العمل والانتاج ، وبعد احتمال ابنائها ما احتملوا من مشقات وآلام وحرمان ، هل تحقق شيء مما وعدت به النظرية المادية ، هل زال سلطان الدولة على مجتمعها او على الاقل ضعف سلطانها بالنسبة لغيرها من الدول ، هل ألغى نظام الشرطة واغلقت السجون وانتفى القهر ووسائل الاكراه ، هل استغنى المجتمع عن الجيوش وعن انتاج اسلحة الدمار ، هل يتمتع الناس بالوفرة التى لا يتمتع بها غيرهم فى المجتمعات الاخرى ممن لا تدين بدين المادة وتتخذه اساسا لحياتها ، ألهم مساكن خير من مساكن الآخرين ولهم اطعمة أوفر من مطاعمهم ؟ أخلا مجتمعهم من الجرائم والامراض والاحقاد والانحرافات ؟

وتقول لنا التقارير الرسمية ان الهدف المرتجى من هذه الناحية لم يتحقق بعد بل وتسلم أنها دون بعض المجتمعات الاخرى ، ولكنها تعد أن التفوق سيتحقق فى المستقبل القريب . ولنا الواقع المحسوس الملموس ما دمنا فى نطاق الايمان بالمادة ونواميسها ، والواقع يؤكد ان وجه المجتمع الذى اتخذ من النظرية المادية دينا رسميا ، لا يختلف فى جوهره عن غيره من المجتمعات الاخرى المتقدمة صناعيا .

مراجعة بعض تطبيقات النظرية

ولعل هذه الحقيقة هي التي حدت بزعماء هذه المجتمعات ان يراجعوا بعض التطبيقات النظرية المادية ، ويصل الامر بهم الى حد الدعوة الى الاخذ بمبادىء كان مجرد التلفظ بها منذ عشرين سنة يعتبر كفرا وخيانة ، ومروقا يؤدى بصاحبه الى النفي ان لم يكن الموت ، كالمبدأ القائل بضرورة تقوية الحافز الفردى ، او المبدأ القائل باتخاذ الربح كوسيلة للكشف عن مدى نجاح بعض الاعمال ، وليكون هاديا ومرشدا لتحديد الانتاج .

وهكذا نرى انفسنا نعود دائما الى نقطة الابتداء ، نعود دائما الى ذات المبادى والاسس التى قامت النظرية المادية للاعتراض عليها ، فقد قام الجانب الاقتصادى فى النظرية المادية على اعتبار الربح هو لعنة البشر .

التصالح مع العقائد والاديان

وحيث لم يكن من عمل للحكومة فى المجتمعات التى تدين بالمذهب المادى ، الا ان تحارب الافكار المثالية والدين بصفة خاصة ، باعتباره افيون الشعوب ، وأن تبذل جهدها لتوعية الشعب ، ورفع الغشاوة عن عينه للتحرر من لعنة الدين ، وأن تدعم ذلك باغلاق الكنائس ومطاردة رجال الدين ، أصبح ما يجرى الآن فى هذه المجتمعات هو عكس ذلك ، فالدعوة الآن لترك الشعوب حرة فى مزاولة معتقداتها الدينية ، حيث لا تعارض بين تطبيق النظم الاقتصادية الجديدة والايمان بالله ، وعلى ذلك فقد فتحت الكنائس والمساجد ودور العبادة من جديد ، وأصبحت تغص بروادها ، لا من الاجيال القديمة فحسب ، بل ومن الاجيال الصاعدة والناشئة فى ظل المجتمع المادى البحت .

ومعنى هذا أنه قد ثبت فوق ثبوت « ان ليس بالخبز وحده يحيا الانسان » . وان النظرية المادية لم تستطع ان تروى ظمأ الانسان للتعلق بالغيب والمجهول ، فرأت ان تقصر ميدانها على الاقتصاد .

تفوق العقيدة الدينية

والحق انه ما كان لنظرية مادية ، تجعل الحياة

قاصرة على هذه الدنيا ، وتؤمن بأن نهاية أى انسان هي حفنة من التراب ولا زيادة ، ما كان لنظرية هذا شأنها ان تتفوق على نظرية تقول بأن وراء هذه الحياة بنقائصها حياة أخرى اكمل واحسن ، وأن فى هذا الكون الها حكيما رحيما عادلا يتدخل دائما لصالح المظلومين والمحرومين والمكروبين .

ولو لم يكن فى هذه العقيدة الا انها تزود الانسان بالامل لكان ذلك كافيا لاثبات تفوقها ، فالانسان لا يمكن ان يحيا بغير أمل ، وحيث لا أمل فلا عمل ، واذا انعدم الامل من نفس الانسان فلا يبقى امامه الا أن يموت .

وما اكثر ما قال الماديون فى معرض التنديد بهذا الامل انه شبيه بالافيون ، ونحن نعلم انه من الناحية العلمية البحتة توجد حالات من الالم لا يجدى فى علاجها سوى استعمال الافيون . ويكون الامتناع عن استخدام الافيون فى هذه الحالات لا يعنى شيئا سوى تعذيب المتألم والافراط فى القسوة عليه .

والمتألمون الذين لا يجدون ما يخفف آلامهم يضعون حدا لآلامهم بالانتحار ، وليس ينتحر من يكون فى قلبه ذرة من الايمان لانه لا يفقد الامل فى الله أبدا .

أما الذين خلت قلوبهم من هذا الايمان، فما اسرع ما يضعون حدا لحياتهم كلما حزبهم أمر من الامور ، وحسب الانسان ان يلقى نظرة على عدد المنتحرين فى المجتمعات المادية ليرى ان هذا العدد يتزايد عاما بعد عام طبقا للاحصاءات الرسمية . ولا غرابة فى ذلك ، فأى عزاء تقدمه النظرية المادية للام التى فقدت وليدها ، أو للحبيب الذى فقد حبيبه ، ما دام هذا الفراق لن يكون بعده لقاء ؟!

أى عزاء لمريض فى ان يقال له انه ليس امامه الا ان يتألم حتى يموت ، لان العلم لم يكتشف علاجا لمرضه او لوضع حد لآلامه ؟!

أى عزاء فى ان يقال لمظلوم او مضطهد، ان لا حيلة لانقاذه لان قوانين المادة ليست فى جانبه فى هذه اللحظة ؟

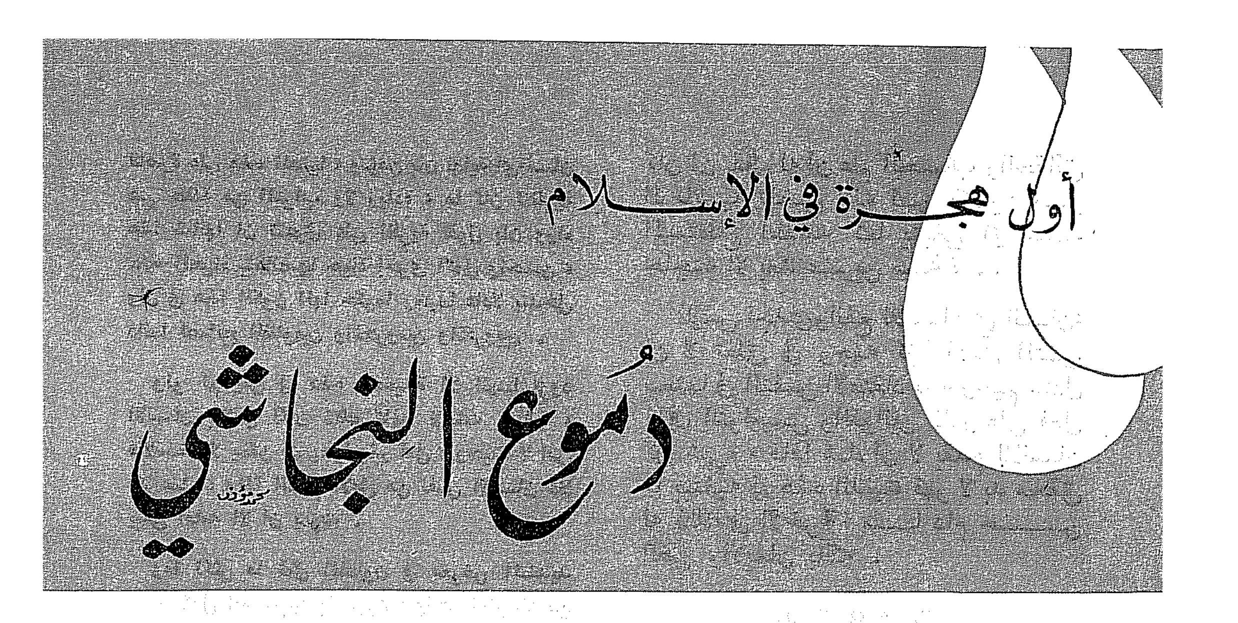
أى عزاء لجائع او محروم من أى نوع كان ان يقال له أن علم الحساب والحقائق الرياضية تقضي بأنه لن يكون من المستطاع اطعامه كما يتبغي او سد حاجته الا بعد عشرين سنة ؟ ..

أليس اجدى وانفع للانسان أي انسان، ان لا تغلق فى وجهه كوة الامل التى يبعثها فى النفس الاعتقاد باله رحيم عادل فوق النواميس والقوانين قادر على فعل كل شيء ، فاذا شاء أن لا يقدم للانسان ما يبتغيه فى هذه الدنيا، فهو لا بد محقق له ذلك فى الآخرة ، ما دام حسن الظن والايمان بالله .

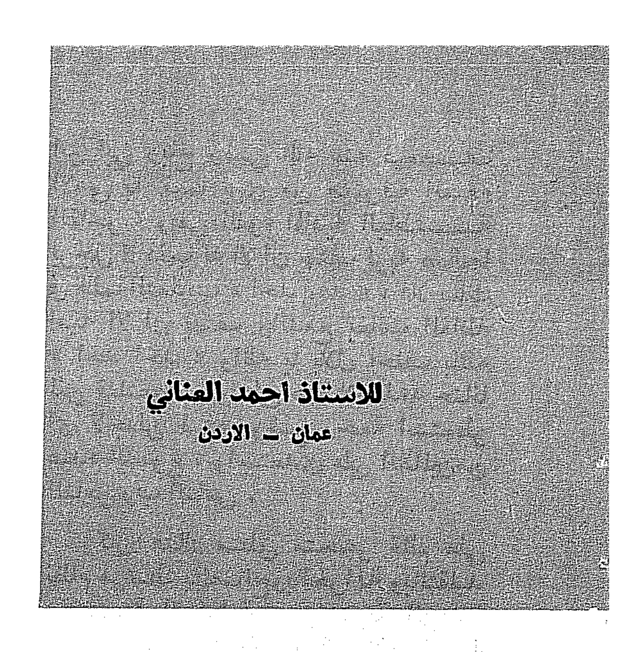
مأساة البشرية

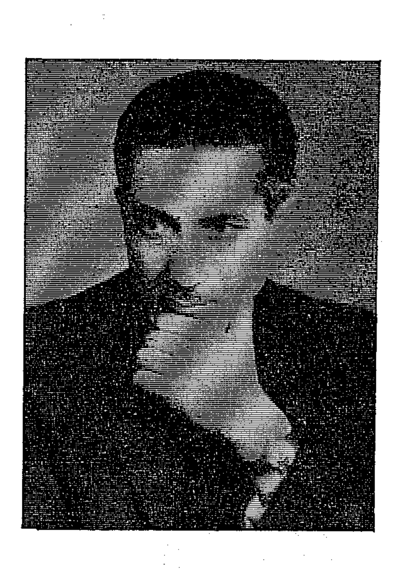
الحق ان سلب هذا اليقين من افئدة البشر ،وعدم تقديم بديل عنه الا الايمان بالصراع والمادة العمياء الصماء التى لا هدف لها الا ان تدور وتدور ، وتطحن وتطحن فى غير وعي ولا ادراك ، هو مأساة البشرية فى القرن العشرين ، وهو ما جرد الحياة الانسانية من ظلالها ومائها وتوازنها واسلمها للقلق والجدب والهجير . وقد حدا ذلك ببعض علماء المادة انفسهم ان يقولوا لنا ((ان الله ضرورة عقلية)) وقال بعض آخر ((ان الله ضرورة اجتماعية)) . وقال بعض ثالث ((لو لم يوجد الله لوجب على الانسان ان يوجده)) .

وهكذا انتهى بنا البحث الموضوعي البحت الى اثبات عجز النظرية المادية وأفلاسها عن أن تفسر للانسان شيئا ، فضلا عن أن تفيده بشيء .. ولعل هذا يرد على السؤال الذى جعلناه عنوانا لهذه المقالة وهو لماذا نتدين .. فنحن نتدين ونؤمن لان الدين يفسر كل شيء ويرتب الحياة الانسانية والعلاقات بين البشر أحسن ترتيب . أما كيف يحقق الدين ذلك فهذا ما سوف نعرض له فيما بعد .



- ماهية الهجرة فى الاسلام
- ظروف الهجرة الى الحبشة
- لماذا الحبشة وليس غيرها ؟
- مهاجرون وهجرتان
- العناية الالهية وموقف النجاشي
- مصير المهاجرين ، كلمة ختامية .





أراني فى صدر هذا المقال حقيقا بالمجاهرة بمبدأ خطير من مبادىء الاسلام قبل الدخول فى التفاصيل ، أو سرد الروايات وحشد المعلومات ، فلست والحمد لله ممن يبهرهم الشكل عن المحتوى ، او يزدهيهم مظهر العارفين فيلهيهم عن روح الرسالة .. ولم يكن أحد من أهل هذا العصر مع المهاجرين فى الحبشة ، ولا شهد الموقف فى بدر أو أحد ، وكل من يكتب فى الاسلام ويعيد ، انما يغترف من نبع هذه المصادر والسير المحدودة المعروفة ، ونحن نكتب حين نكتب متوسلين الى القلوب التى لم تنطفىء فيها مصابيح البصائر ، والعقول التى لم يزلزل يقينها بهرج التمدين او زور المظاهر ، معتقدين أن اللباب هو وجه العبرة .... وما يمكن ان يعكسه الماضى على الحاضر .

واذا كانت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وما اكتنفها من حوادث هي جزء لا انفصام له من رسالة الاسلام، وجانب لا يتزحزح من أسس هذه العقيدة الاسلامية ، فانه لا يقل عن الحادث شأنا ادراك اهدافه، والعناية بالمواعظ المندرجة فى اسراره .

ولقد كانت الهجرات فى الاسلام حوادث تجسم للعيان الى نهاية الزمان مبادىء معينة فى هذا الدين لعلي أوفق فى تلخيصها بالرقم كما يلي : ــ

أولا : ــ يفترض فى المسلم أن يجاهر بعقيدته ، وأن يمارس باصرار عباداته ، وأن ينطلق فى المنافحة عن دينه وقرآنه ونبيه ومقدساته الى النقطة التى يشعر عندها أن الكثرة الكاثرة الباطشة من حوله توشك ان تصفي حياته بالالحاح الباغي ، والتصميم الصارم على القتل . وفى هذا بيان ابدى الدلالة لكل أقلية مسلمة حيثما وجدت على الارض .

ثانيا : ــ حين تنصب الفتنة بسياط عذابها على المسلم بمايهدد صبره بالانهيار، أو حياته بالزوال فان المخرج الطبيعي هو التماس الامان فى بلد أينما كانت مسافته فى البعد ، وكيفما كانت المشقة

فى الخروج اليه .. ومعنى هذا أن الوطن الطبيعي للمسلم حيث يستطيع أن يواصل ممارسة الصلة بينه وبين خالقه ، والتجاوب مع اخوانه فى الدين .

ثالثا : ـ حين تعترض هذه الحاجة للفرار الى الله دعوة الحياة المألوفة الحبيبة فى أكناف الوطن ، ومرابع الاهل ، وذوى القربى ، وحين تعترض صور المساكن الطيبة ، أو التجارة النافقة ، أو صور الاهل والولد ، ما يكون لمسلم خيرة فى أمره ، فالله جل وعلا أجل واحق وأولى ، ولقد واجه صهيب رضي الله عنه مثل هذا الموقف حين هاجر من مكة ليثرب فيما بعد ، خلى لمكة المال الذى كسبه فيها عن طواعية واختيار ومهر به حريته فى القدرة على الهجرة .

رابعا : ـ لا يتحقق معنى الوطن بغير معنى القدرة على اقامة شعائر الدين ، وحرية التصريح بالايمان ، والا فوطن المسلم هو وطن دينه .

خامسا : ـ يصح بالقياس أن تكون هناك هجرات اخرى على مقاييس متباينة ، يهاجر المرء من ملاذ النفس ، ويهاجر من علاقة عائلية أو مصلحية أو كائنا ما كان الامر حين يتهدد المبادىء التى اسلفت ذكرها خطر من أى من المصادر المذكورة ، مهما يكن التصاقها بالنفس وثيقا والفصال عنها شاقا أو متيسرا .

ان ظروف هجرة المسلمين الى الحبشة فى خامس سنة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام هي أشق من أن يصورها القلم مهما يبلغ من قوة التعبير .

كانت هناك تحديات رهيبة ، وأهوال مذهلة .

كان أمية بن الصلت وهو من متحنثة الأحناف يشهد تعذيب بني جمح لبلال ابن أبي رباح رضي الله عنه فيعصف الاسى به فيما يرى من صنوف السفه الفاجر ، وبغي القوة المادية الباطشة برجل لا ذنب له الا ان يهتف لربه صائحا فى ظلمة التعذيب « أحد أحد » ، فلا يملك أمية الا أن يهتف والدمع يغالب ألفاظه « احد احد » والله يا بلال أحلف بالله لئن قتلتموه وهو على هذا لاتخذته حنانا أى لاجعلن قبره موضع رحمة استمطر عنده الدموع ، واستعدى على الظالمين من الناس رب الناس .

وكان هناك منطق متحجر قائم على نظام مرتبط بالمصالح وبالخرافة وبالتقليد وبعصبية الجاهلية ، وبعنترية الزعامة المتكبرة يريد ان يفجره الاسلام بالكلمة الطيبة ، وبالبيان الحق ، وكانت المهمة عسيرة صلدة عاتية متماسكة ، يقول رجل أدهشه القرآن ومع ذلك لم يزدد فى كفره الا عتوا ، يقول لابي جهل « يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعته من محمد ؟ » .

« ماذا سمعت ؟ » « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، اطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فاعطينا حتى اذا تجاذبنا على الركب ، وكنا كفرسي رهان قالوا « منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه! » .

ذلك المنطق المستميت يعطيك صورة العناد الباغي الذي تمت فى ظروفه هجرة المسلمين الى الحبشة .

ويروى ابن هشام فى تصويره للموقف اذ ذاك عن ابن اسحق ما يلي : انهم « أى كفار قريش) عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه ، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر .. الى آخر الرواية « ثم يقول ابن هشام رواية عن زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن اسحق ايضا « فلما رأى رسول الله

صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء ، وما هو فيه من العافيــــة لمكانه من الله وحماية ابي طالب اياه ، بينما هو (اى الرسول عليه الصلاة والسلام) لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم « لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

لماذا الحبشــة ؟

وهنا يتبادر للذهن ســؤال يثــيره منطق الاشياء لماذا اختيرت الحبشة وهي بمنأى عن مكة ، ومن دونها اليمــن ، واقرب منها اطراف الجزيرة والخليج ؟ الانها وهي النصرانية دينا وملكا أجدر بأن تساهم فى حماية الجار النزيل الذى يترفع عن عبادةالاصنام ، واذا كان كذلك فلماذا لا تكون نجران هي مكان الهجرة وهي أقرب ، أو أطراف الشام حيث الغساسنة ؟

فى رواية ابن اسحق عن الرســول صلى الله عليه وسلم السبب الحاسم المباشر لاختيار الحبشة ، فايه يؤخذ من مجمل الروايات التاريخية عن هذا النجاشي أنه كان ذا شخصية واضحة المعالم ، قوية لم تساورها اللوثات والعقد ، وليس مرد ذلك شرف الاصل فحسب ، وانما هو رجل كان تمرس بالآفات والثورات ، ولاقى مــن تآمر المتآمرين ، وحســد الحاسدين ما لاقى ، وقد نصره اللــه مرارا وتكرارا فى مواقف تشبه الاساطير ، يشتد من حوله الهول ، وتنعقد سحب الحقد فى خطط محبوكة ماكرة لاغتصاب ملكه ، ولكن الله ينصره فى اللحظة الحرجة الحاسمة ، حتى ليزداد عمق الرجــل ونظــره فى الاشياء ، وتقديره الموزون لقيمة الولاء من الناس ، وحتى ليقر فى نفسه بالتجربة العملية الغالية التكاليف ان الظن لا يغنى عن الحق شيئا ، وأن العزة والنصر هما بيد الله يؤتيهما من عباده من اعتز بخالقه وجعل لله ولاءه ،

وكان هذا الظرف رائعا ، وسواء أكان تقدير الرسول للموقف وحيا يوحى أو رأيا يتغلغل فى خفايا الادراك الواعي ، فلقد كان ذلك التقدير هو عين الصواب من المصطفى زينة بني آدم وسيدهــم صلى الله عليه وسلم .

كانت الهجرة الى الحبشة اذا اختيارا سليما للحل الانسب من بين متناقضات عجيبة .

فلقد اثبتت الايام ان اختيار اليمن لو تم لكان خطأ كله ، فاليمن كانت تحت حكم الفرس ، والاكاسرة كانوا اســوأ مستقبلين للاسلام من الاجانب . وهم فيما بعد بعثوا الى ((باذان)) عاملهم باليمن لكي يسير جنودا فى زعمهم يقبضون على محمد ، ثم اغرى الله بينهم العداوة والبغضاء على العرش حتى كانت فترة ائتمارهم على الرسول أسوأ فترة عرفها عرش فى الدنيا شدة تطاحن على الملك وتذابح على الولاية ، يدوم كسرى الجديد او ورثته له امرة شهورا أو أياما ثــم يأتمر به اقرب الناس اليه فيقتل او يخلع ، وما زالت تلك الملهاة او المأساة مستمرة حتى طلــع على ليلهــا فجــر الاسلام الصادق .

وكذلك لم يكن ممكنا اختيار اللجوء الى اى من الطائفتين الكتابيتين المتنازعتين على ملء الفراغ العقائدى فى جــزيرة العرب ، سواء منها من كانت فى نجران أو يثرب ، وقد اثبتت الايام فيما بعد حرصهما على محاربة الاسلام حين بدت أمارات انتصاره . أما مراكز القبائــل العربية واطراف الشام والحيرة ، فهي بالاضافة الى بعدها كانت على صلــة بمصالح مكة التجارية ، وقد كــان فى حكاية الطائف فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اثبت هــذه الحقيقة .

لقد كان الظرف البديع المواتي هو شخصية النجاشي ، ذلك الرجل المتكامل الايمان والشخصية ، ولولا صدق الصلة

بين ذلك الرجل وخالقه ، ولولا ما أبداه بحق من رجولة مؤمنة لا تساوم فى الحق اذا استبان لها ، لكان المسلمون جديرين بأن تنقلب الحبشة عليهم سجنا بدلا من أن تكون لهم مأوى .

هناك غير رواية واحدة عن دقائق التفاصيل المختصة بالهجرتين الى الحبشة .. ومن الناس من يعتبرهما هجرة متلاحقة واحدة ، ولكني وجدت تفسير صاحب « امتاع الاسماع » لهذا الالتباس تفسيرا وجيها ، فهو بعد ان يذكر هجرة الرعيل الاول من المؤمنين فى رجب ، يقول انهم اقاموا بالحبشة شعبان ورمضان فبلغهم مبلغ أن قريشا اسلمت فعاد منهم قوم ، وتخلف قوم ، فلما قدم الذين قدموا الى مكة علموا ان نبأ اسلام قريش كان باطلا فدخلوا مكة مستخفين أو مستجيرين ، ولكن الفتنة ظلت مستمرة ، وازداد أوارها فخرجت جماعة جديدة الى الحبشة منهم جعفر ابن ابى طالب رضي الله عنه . ثم عاد قوم وبقى قوم حتى كان آخر العائدين من الحبشة فى السنة السابعة للهجرة .

وأيما كان الحال فلا تختلف الروايات الا ابسط اختلاف فى عدة من هاجر لأول مرة ومجموع من هاجروا على كل حال ، فالمهاجرون الأولون : عشرة رجال وأربع نساء ، وعدة من هاجر ثانيا ثلاثة وثمانون رجلا ومعهم من النساء سبع عشرة سوى من خرج من الاولاد .. كما ولد بالحبشة عدد من ابناء المسلمين . وكان فى طلائع الهجرة الأولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو حذيفة والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف ، وكان المسئول عن امر هذا الرعيل الأول عثمان بن مظعون رضي الله عنهم جميعا . اما فى الهجرة الثانية فقد كان جعفر بن ابى طالب ، وهو الذى كان الناطق باسم المهاجرين امام أصحمة النجاشي .

لم تكن الهجرة امرا سهلا ، ولا بلاء هينا وحين يقرأ المرء فى المأثور من شعر الحنين للمهاجرين ، ويطلق عنان الخيال للمقارنة بين احوال من يلجأون اليوم الى غير اوطانهم وما يلمس على رغم المعونات لهم من لواعج احزانهم، وبين اولئك الفتية المؤمنين من فقراء المهاجرة الابرار يستطيع ان يعلم اية شحنات يملأ بها الأرواح هذا الاسلام .

ثم كانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى يثرب ، من بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية ، حيث وضع الاساس الذى بنيت عليه بداية النهاية للكفر والجريمة .. ثم جاءت بدر بمعجزتها الباهرة فلا تسل عن غيظ قريش وأحقادها ومحاولاتها .. لقد أصبح الخطر الماحق للكفر حقيقة ، ولم يعد ألهية لاه ، ولا حديث سامر ، ولم يكن بد لقريش ان تنظم حملتها ضد المسلمين فى الحبشة .

اذ ذاك كان ارسال عمرو بن العاص وعبد الله بن ابي ربيعة المخزومي(١) الى النجاشي وغيره من رجالات الحبشة والتحريض على المهاجرين . وبعقلية تجارية ماكرة لم تركن قريش الى وجاهة الموضوعات التى سيثيرها وفدها ، ولا الى حصافة الموفدين الذكيين ، ولكنها

(١) نقل احمد دحلان فى كتابه السيرة النبوية فى الآثار المحمدية ج ١ ص ٢٥٧ طبعة المكتبة التجارية أن المحققين على أن عمرو بن العاص سافر الى الحبشة قبل غزوة بدر يصحبه عمارة بن الوليد المخزومي ومعهما الهدايا للنجاشي وحاشيته ، وقد سافر عمرو مرة أخرى بعد غزوة بدر ، وكان يصحبه فى هذه السفرة عبد الله بن أبى ربيعة .

اشفعت ذلك بالهدايا لحاشية النجاشي ، ثم له هو ايضا وباتت تتربص ما يكون . ولو قضى فى الامـور بمنطـق المصـالح المتبادلة لكانت قريش جديرة بالنجاح .

ولو قضى فيها بمنطق المقارنة بين مكة بقضها وقضيضها وتجارتها وجاهها وبين هؤلاء النفر من الفقراء المهاجرين لكانت النتيجة حرية أن تكون شيئا آخر .

ولو قضى فيها بمنطق الرشوة وذمم النفعيين الفاسدة لانتهى الحال الى غير ما انتهى اليه .

ولكن هذه الارض وما عليها ومن عليها هى لله الواحد القهار .

واذا خفيت عن الأبصار العشواء بدائع أحكامه الصائبة المتريثة فانها لا تخفى على نيرات البصائر .

وان المرء ليحس التشفى بهزيمة الشر احساسا لعل له شبيها فى فرحة المؤمنين بدخول الجنة .

فرب ذى طمرين باليين حين لا ظل الا ظل الله تفتح له ابواب الجنة على صراخ كل متكبر فى الارض او مفسـد فيـه تتلقمه النار .

لقد بذل عمرو بن العاص جهدا متواصلا متقنا ، وكانت الظروف مواتية ومحكمة، والحاشية قد شبعوا بما يكفي لقولـة الباطل ، وتزكية الشر ، والمسرح كمـا يقولون اليوم مهيـأ لانتصار ساحق لقريش .

ولكن ما الحيلة وهذا الرجل الرباني، اصحمة النجاشي ، يعرف الحق فى كلام جعفر بن ابي طالب فتفيض عينـاه بالدموع مما عرف من الحق .

أشياء كثيرة تهز الاحساس هـزا فى هذه المعركة .

لكن أروعها بلا ريب اصرار جعفـر والمسلمين على أن يقولوا للنجاشي قولة الحق فى عيسى بن مريم كمـا جاءت فى القرآن الكريم .

مكيدة لم تنجح

لقد فطن عمـرو بن العاص بدهائه العجيب ان هـذه النقطة الحرجة التي يرتكس فيها الود بين المسلمين والنجاشى فى آخر لحظة .

فبعد أن فشلت الرشوة ، وبعد اقتناع النجاشي باخلاقيـة الدين الذى يدين به نزلاء بلاده المهاجرون ، ولا يتزحزحون عنه بالهجرة أو سواها لم تبق الا فكرة عرض خلاف الاسلام والمسيحية فى أمر عيسى بن مريم عليه السلام ، وكان عمرو يعلم أن بني قومه من المسلمين لايزحزحهم شيء فيدفعهم الى الكذب فان نبيهـم بالصدق جاء وبالحق نطق ، وهم لـولا الحق والصدق ما ذاقوا مرارة التشريد .

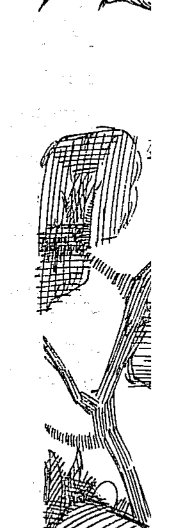
وحين جاءت الساعة الحرجة تلا جعفر ابن أبي طالب مبدأ الاسـلام فى أمـر المسيح كما جاءت فى التنزيل الكريم من سورة مريم .

ويا للمعجزة !! فبـدلا من أن يثور النجاشى فيعرض تلك الرقاب عـلى السيوف ، بكى واستبكى كـل قلب شريف مما عرف من الحق ، ورد هدية قريش وهو يتأثم منها .

سـلام على أولئك الطيبين المهاجرين وسـلام على النجاشي الشجاع المكين ، سلام عطر كريم الى يوم الدين .

الله

في كل شيء



مِلْ بى وراءَ الدَّوْحِ غير بعيدِ | في ظلِّ فردوسٍ به ممـــدودِ

نَشْهدْ جلالَ الله في ملـكوتـه | وبديعَ صُنْـعِ الخالقِ المعبـود

أأنامُ ، والأطيار ذاتُ ملاحن | تشدوا بِقُدْسِ الواحد الموجود!

والكونُ وحيُ اللهُ يُلْهَمُ بالذى | يَحْكى من التسبيح ، والتحميدِ

انى رأيتُ الله جلَّ جـلالُـه | في كلِّ شيءٍ في الورى موجودِ

ظهرتْ يداهُ بما يُجلُّ صَنيعَـهُ | في الرَّوْض بين قلائدٍ وعقـودِ

شاهدتُ ربِّى في خمائلِ فِتْنَةٍ | وعرفتُهُ في رقَّةِ الأملُـودِ

مدَّ الحياة به ، وشَعْشَعَ ماءَهُ | وصفاءه في الرِّفْد ، والمرفودِ

وجلوتُ من سرِّ الوجود حقيقةً | عُلْيَا ، بها نادى الزمانُ ، ونُودِى

من أنشأ الجنَّاتِ فهى حدائقٌ | وأزاهرٌ ، وجنى ، وحَبٌّ حصيد؟

من أيقظ الحدَقَ العِذَابَ تَهَلَّلَتْ | عبراتُهَا ، باللؤلؤ المنضـود ؟

من للضِّفاف تضُمُّ أعطافَ الجنَى | والزهرُ لمَّاحٌ بأنضر عـودٍ ؟

من لِلْهضابِ الشُّمِّ خَلْفَ تلاعِها | ذاتُ الدَّوِىِّ ، تُصِمُّ كلَّ عنيد

هى رحمةٌ لله يُومضُ برقُهـا | خَلْفَ الذَّرا ، ويُمِدُّ كلَّ صَعيد

***

أرأيتَ وَجْه الشمس حين تَهلَّلَتْ | بالأفْقِ ، واقْتحمتْ سماءَ البيد

للاستاذ محمد هارون الحلو

قطر النّدى بيمينها ، تسقى به ... ما شاء ربّى من ظَمٍ ، وشريد

أرأيتها ، والبحر يُطْفِىء جمرةً .. ... منها بِحرٍّ لاهبٍ ، وشديـد

نَشَر السّحائبَ دونَهَا فتحجّبَتْ ... من دونِـه بشفائفٍ ، وبُرود

وإذا تُطِلُّ عليه تسكبُ سِحْرَهَا ... في بسمةٍ منها ، ولفتةِ جيد

والله قدّرها سراجًا للورى ... وحبا الورى منها بأعظم جُود

***

آياتُ ربِّك في السموات العُلا ... تسمو بأفْقٍ للخيالِ مديد

تاهتْ عقولُ الناسِ في أسرارها ... وبِهَا أُحلّقُ في سماءِ قصيدى

أنى أتابعُ ما يضىء جوانحى ... منها ، على التّعظيم ، والتّمجيد

فأرى لواءَ الحقّ نورًا ساطعا ... ومداهُ منطلق بغيرِ حدودِ

مَنْ ذلك الانسانُ يكفُر ربّهُ ... ونسيمُه من زَنْبقٍ ، وورودِ؟

أوَ مَا يقلّبُ فِكْرَهُ فيرى ويُبْصِرُ ، وهو يُلْقى الرأىَ غيرَ سديد

الليلُ يغشاه ، ويدركُ يومَهُ ... غَدُهُ ، وفودٌ ، الحقَتْ بوفودِ

ويدورُ بالخلْقِ الزمانُ ، فماترى ... من والدٍ يَبْقَى ، ولاَ مَوْلودِ

ما رنّ عودٌ دونَ أنّة ثاكلٍ ... ما قرّ بِشْرٌ في حياة سعيد

والله يُنْبى عن جلالةِ قدرِهِ ... وعِمَادِهِ في مُلْكِهِ المشدود

— البقية على الصفحة ٨٥ —



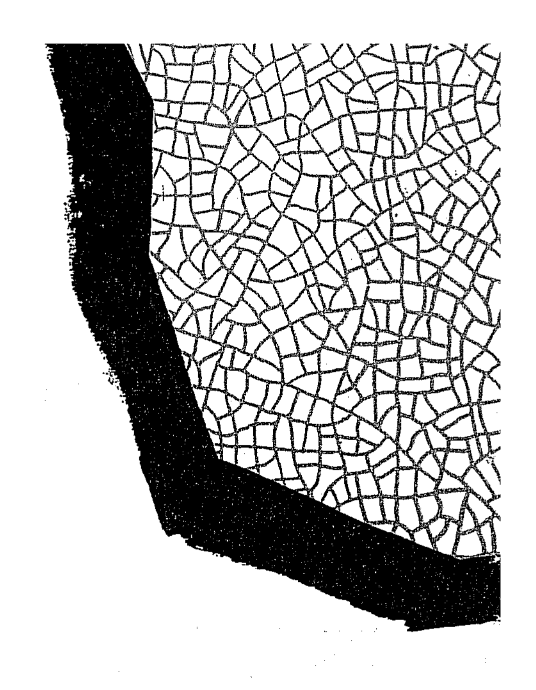
للاستاذ احمد محمد جمال
عضو مجلس الشورى / بمكة المكرمة

من حق المسلمين المؤمنين كلما زلزلوا زلزالا شديدا وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، واحاط بهم الاعداء من كل جانب كيدا للاسلام ومكرا بدعاته وحماته وحملة رسالته ، من حق هؤلاء المؤمنين ان يتساءلوا متى نصر الله ؟ كما تساءل آباؤهم وأجدادهم من قبل فأجابهم الله تبارك وتعالى ((ألا ان نصر الله قريب)) .

ولكى يطمئن المسلمون المؤمنون الى نصر الله لهم وحفظه لدينه ـ يجب عليهم ان يعيشوا ابدا على ذكرى من تاريخ الدعوة الاسلامية ، منذ ابتدائها حتى اليوم ، وهو تاريخ جميع الدعوات الدينية كلها .. من دعوة ابراهيم الى دعوة محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى جميع انبيائه ورسله الكرام .

أجل ... انه تاريخ كل دعوة دينية وكل رسالة سماوية ، حيث تقابل بادىء الرأى بالتكذيب والاعراض ، وباضطهاد حملتها ودعاتها وحصارهم دون العمل على نشرها واذاعتها لهداية الناس الى الطريق القويم .

ثم يأتي نصر الله وتأييده لكل نبي وكل رسول وكل داعية مصلح فتنشرح أنوار الحق وتمتد ظلال الخير ، ويتعاون





الناس على البر والتقوى ويأمن بعضهم بعضا على الاعراض والاموال والحرمات.

ولكن رؤوس الفتنة ترتفع مرة اخرى بل مرات عديدة ، ويعود شياطين الانس الى حصار دعوة الحق والخير والكيد لاصحابها والمكر بهم ، وتجدد المعركة ويتكرر الاصطدام بين الحق والباطل ، وبين الشر والخير ، وبين الهدى والضلال ، وتتعدد الضحايا ، ويتكاثر الشهداء ، وتسيل الدماء لتنبت غروسا جديدة وتنمو وتكبر وتستوى على سوقها استعدادا لجهاد جديد مع أئمة الكفر وقادة الضلال .

ان تاريخ الاسلام هو هذا التاريخ .. جهاد وثبات وتضحية تجاه حصار واضهاد ومكر .

والحديث عن هذا التاريخ وعن حلقاته ومراحله بين الكر والفر وبين النصر والهزيمة وبين هوان المسلمين تارة واستعلائهم تارة اخرى ــ الحديث عن ذلك يعرض ويطول ويحتاج الى اسفار كثيرة ، بل هو مرصود فى هذه الاسفار الكبار فليرجع اليه المسلمون المؤمنون الواثقون بانهم (الاعلون) وبأن نصر الله قريب .

وانما حسبي هنا فى هذا الحديث أن اتصدى لتذكير المسلمين المؤمنين بالحصار الاول لدعوة الاسلام وتنشيطهم لمقاومة الحصار الاخير .

لقد لقى نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم منذ بعثته فى مكة المكرمة من انكار قومه واذاهم وهجر قولهم وفحشه ، وتعذيب اصحابه الذين سارعوا الى الايمان بالله ورسوله ــ الوانا وصورا تدمي القلوب وتروع المسامع ، وتسوء الابصار .

والحصار الاجتماعي الذى فرضته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اهله وعشيرته والمؤمنين بدعوته ــ صورة واحدة ولون واحد من تلك الالوان والصور الاضطهادية التى ووجهت بها دعوة الاسلام .

فى السنة السابعة من بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم نفذت قريش هذا الحصار الاجتماعى للرسول وصحبه واهله ، مدفوعة اليه بتعصبها لتقاليدها

الوثنية الموروثة وحرصها على أرزاقها وتجارتها وحظوظها من السلطان والسيادة والحرية والاباحية الخلقية .

ومهدت لهذا التنفيذ بمفاوضة عجيبة مع عم الرسول ابى طالب فجاءه وفد من كبارها يقولون له ان ابن اخيك افسد نساءنا وأبناءنا ونحن مجمعون على قتله .. فهل لك فى دية مضاعفة على ان يقتله رجل من غير قريش ؟ .

فأبى بنو هاشم هذا العرض اللئيم وظاهرهم عليه بنو المطلب . وعزموا ــ مؤمنهم وكافرهم ــ على حماية الرسول صلى الله عليه وسلم ، مهما كلفهم ذلك من عناء وعذاب وتضحية .

وهنا نفذت قريش خطتها فى حصار الرسول وبنى هاشم وبنى المطلب فى الشعب ، وكتبوا صحيفة تتضمن هذه القطيعة الاجتماعية ، وعلقوها بالكعبة لتكون اكثر قيمة واكبر اعتبارا ، واضمن انتشارا بين العرب الوافدين الى البيت الحرام فى مواسم الحج .

وكان معنى هذا الحصار الاجتماعي الذى أحيط به الرسول وأهله وعشيرته وصحابته ــ ان تمتنع بطون قريش عن معاملة هؤلاء المحاصرين بالبيع والشراء والزواج والاختلاط بهم ، وامدادهم بما يحتاجون اليه من طعام وشراب وكساء .

وظلت هذه القطيعة الاجتماعية الشنيعة سنوات ثلاثا متتابعة ابتداء من المحرم من السنة السابعة لبعثة الرسول الى السنة العاشرة .

ولقد حرصت قريش كل الحرص ، على تنفيذ هذا الحصار اللئيم ، فكانت اذا قدم بعض التجار الى مكة تحمل عيرهم سلعا وارزاقا قام قائمها ــ ابو لهب وامثاله ــ يدعو الناس الى المغالاة فى أثمانها ، على اصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا منها ، ويلبى الكفرة الفجرة هذه الدعوة الشريرة ، فيزيدون فى اسعار السلع اضعافا مضاعفة حتى يعود أصحاب الرسول الى أهليهم وأولادهم فى الشعب وليس معهم ما يطعمونهم به .

وحدث مرة ان لقي حكيم بن حزام ، ومعه غلام يحمل قمحا الى عمته خديجة زوجة الرسول ، وهي معه فى الشعب ــ لقي أبا جهل فمنعه هذا وقال له : اتذهب بالطعام الى بنى هاشم ؟ وحضر المحاورة ابو البخترى ، فزجر ابا جهل قائلا : « اتمنعه ان يأتي عمته بطعام . خل عنه » فابى ابو جهل واشتد بينهما الخصام حتى أخذ ابو البخترى لحى بعير فضرب به ابا جهل فشجه ووطئه وطأ شديدا .

وكان ابو طالب عم الرسول شديد الخوف على ابن أخيه .. فكان يأمر الرسول ان يأتي كل ليلة فراشه المعتاد حتى يراه من يريده بشر، فاذا نام الناس امر ابو طالب أحد بنيه او اخوته او بنى عمه أن يضطجع على فراش الرسول وأمر الرسول ان يأتي بعض فرشهم لينام عليها . وكان ابو طالب يقول دائما لقريش أثناء الحصار لا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا .

لقد ظلت وثيقة الحصار كما أسلفنا ثلاثة أعوام تباعا نافذة المفعول ، وظلت قريش قاسية فى مراقبة تنفيذها خلال هذه السنوات العجاف التي عانى الرسول صلى الله عليه وسلم فيها هو واهله وعشيرته وصحابته حرمانا شديدا من الاختلاط بالناس ومن الابتياع منهم ، والبيع عليهم ، ولم يشفع عند قريش ان هؤلاء الذين حاصروهم ومنعوهم الطعام والشراب والاتصال بالناس ، انما هم أخوانهم وأصهارهم وأبناء عمومتهم .

وكان هناك خمسة نفر ضاقت صدورهم بهذه القطيعة الباهظة الفادحة التي نزلت ببنى هاشم وبنى المطلب وعلى رأسهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فقام أحدهم ــ وهو هشام بن عمرو

العامرى ـ وحدث زهير بن ابي امية فى ذلكمستثيرا عطفه وحميتهومروءته «أقد رضيت ان تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث علمت لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح اليهم ؟؟ » ثم تعاهدا على تمزيق وثيقة الحصار ، وانضم اليهما المطعم ابن عدى وزمعة بن الاسود بن المطلب ، وابو البخترى العاصى بن هشام .

وذهب زهير بن ابى امية الى البيت الحرام ليطوف بالكعبة . فطاف بها سبعا ونادى فى قريش : « يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب ... وبنو هاشم هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا اقعد حتي تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة » .

وقام ابو جهل ـ كدأبه الماكر العنيد ـ ينكر على زهير ما قال فسارع اليه هشام بن عمرو يؤيد زهيرا ، كما نهض المطعم بن عدى ليشق الصحيفة القاطعة الظالمة فوجد (الارضة) قد أكلتها الا فاتحتها « باسمك اللهم » .

وبذلك اتيح للنبي صلى الله عليه وسلم ورفاقه فى الحصار ان يغادروا الشعب (١) وان يعودوا للحياة العادية ، فيختلطوا بالناس بائعين ومبتاعين ، وان كان الخصام بينهم وبين قريش لم يزل على حاله تتربص بهم شرا ، وتتمنى عليهم نصرا ... حتى اذن للرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الى المدينة المنورة، وكانت له بداية النصر والانتصار ، حيث لقى فيها الحماة والانصار ، ثم كانت العودة الى مكة فتحا مبينا تبعته فتوح وفتوح .

هذه خلاصة قصة الحصار الاجتماعي الذى ضربته قريش علىالدعوة الاسلامية فى بداية عهدها . وقد تلته حصارات سياسية أخرى خلال مراحل التاريخ الاسلامي كما أسلفنا الاشارة الى ذلك فى صدر هذا الحديث .

.. نكتبها لمناسبة صدور هذا العدد الممتاز من مجلة (الوعى الاسلامى) فى المحرم ١٣٨٦هـ ـ وذكرى لحادث القطيعة التى وقعت للمسلمين الاول فى المحرم ـ ايضا ـ من السنة السابعة لبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

وعودا على بدء، وانتفاعا من هذه الذكرى ـ نقول: ان الاسلام اليوم يعانى اكثر من حصار واحد .. انه يقاسى حصارا اجتماعيا ، وحصار اقتصاديا ، وحصارا سياسيا ، وحصارا ثقافيا ، وحصارا اخلاقيا . وقد تآمرت على هذا الحصار العام الشامل تجاه الاسلام والمسلمين جميع قوى الصليبية والصهيونية المتعاونة المتضامنة على تهديم الكيان الاسلامى وتخريب ذمم المسلمين وضمائرهم وقيمهم الاخلاقية .

وان من المؤسف المؤلم لكل قلب مؤمن وكل نفس مخلصة ان يستعين الثنائي الغادر الماكر (الصليبية والصهيونية) ببعض السادة والكبراء من المسلمين ليكونوا عملاء ووسطاء فى التخريب المقصود والتهديم المراد .... لكيان الاسلام وتراث المسلمين .

فالمذاهب الاقتصادية والاخلاقية والثقافية ووسائل الاعلام من كتب وصحف واذاعة وتلفزيون ، والجمعيات النسائية والرياضية ـ ومناهج التربية والتعليم كلها فى البلاد الاسلامية متأثرة متتبعة لتوجيهات ومخططات ذلك الثنائي اللئيم .

فهل لنا من ذكرى وهل لنا من يقظة وهل لنا من اعتبار .

---

(١) هو المكان المعروف الآن بشعب على، ويذكر فى كتب التاريخ باسم (شعب بنى هاشم ـ أو شعب أبى طالب) وهو جزء من حى معروف باسم (سوق الليل) ويقع فى الجنوب الشرقى من مكة المكرمة . وفى هذا الشعب مولد الرسول ومولد على .

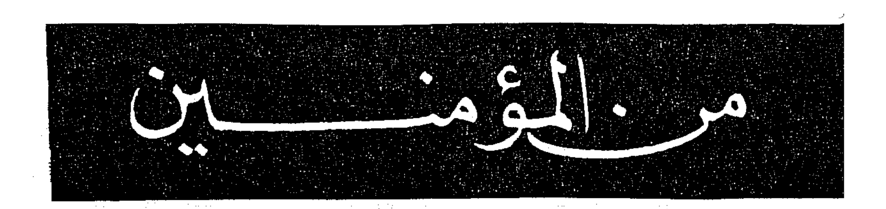


« إيمان وهجرة »

منذ أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته فى مكة وزعماؤها المتسلطون على الرأى العام فيها يرون فى مبادىء الدعوة الجديدة خطرا على كيانهم، وتهديدا لوثنيتهم ، وقلبا لاوضاعهم الاجتماعية ، وذلك بما تبثه من توحيد للخالق واحترام للانسان ومساواة بين الناس .. وكان من الطبيعي ان يهب سدنة الوضع القديم الذين طابت لهم الحياة فى ظله ، والذين انتهت اليهم الرياسة والزعامة والثروة، كان من الطبيعي ان يهبهؤلاء ويستنفروا أتباعهم لخنق أنفاس الدعوة والداعي ، ومطاردة كل من يتحدث بها ، أو يميل اليها ومحاولة القضاء على كل من يعتنقها .

آمن بها نفر قليل .. ولكنهم كانوا معرضين للابادة على يد الطغاة من أهل مكة .. فالرسول لا يستطيع أن يحميهم من أعدائهم وهو نفسه معرض للخطر .

ماذا يكون الموقف والتيار جارف ؟ هل يقفون أمامه فيقضي عليهم أو يتركون له الطريق ؟ .. ولكن الى أين .. الى أى مكان فى الجزيرة ؟ ان كل من فى الجزيرة عباد صنم لا يؤمن جانبهم ، وهناك فى أطراف الجزيرة مسيحيون ، ولكن لا يؤمن



جانبهم فلهم بالعرب صلات وجوار .. فالى أين اذن يتجهون ؟ .

كان ذلك ما شغل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد سنوات من بعثته .. وانتهى تفكيره الى ايثار الهجرة والفرار الى الحبشة .. التى يدين ملكها وشعبها بالمسيحية ويحاربون عبادة الاصنام .. حيث الاتفاق فى الاتجاه والهدف الذى جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يأمن لاجله على أصحابه ويقول « فان فيها ملكا لا يظلم .. وان اللــه سيجمعكم مرة ثانية » . كانت تجربة شاقة خاضها نفر من المسلمين لا جريا وراء كسب مادى ، أو هدف شخصي .. خاضوها ايمانا منهم بدينهم واطمئنانا لتوجيه رسولهم .

لم تكن رحلة يسيرة بل كانت محفوفة بالاخطار ، أخطار التخلص من مطارديهم فى مكة .. وأخطار البحر الذى سيركبونه ، ثم أخطار البيئة الجديدة التى سينزلون اليها غرباء عنها ، ولا يعرفـون مصيرهم فيها وهم رجال ونساء ، لكنه الايمان .. يعلو على الاخطار .

فقد كان هؤلاء يقومون بتجربة خطرة فى سبيل الاحتفاظ بعقيدتهم ، ويقدمون على تضحية جسيمة فداء لايمانهم .

فمن هم هؤلاء الذين قاموا بدور الطليعة فى هذه التضحية ؟

من هم أولئك الذين كانوا أول من ركب البحر من أتباع محمد وأول من وطئت أقدامهم أرض افريقيا من المؤمنين بالدين الجديد .. الوليد .

تعرف عليهم ـ أخي القارىء ـ فى صفحــة الشرف والمجد التى ضمت المؤمنين والمؤمنات والتى نقدمها هنا اليك : ـ

هجرة الحبشة الاولى

المهاجرون : عثمان بن عفان ، أبو سلمة . أبو سبرة . عامر بن ربيعة . أبو حذيفة بن عتبة . عبد الرحمن بن عوف . عثمان بن مظعون . مصعب بن عمير . سهل بن البيضاء . الزبير بن العوام .

لوحة الشرف

المهاجرات : السيدة رقية بنت الرسول زوج عثمان بن عفان . السيدة أم سلمة زوج أبى سلمة. السيدة أم كلثوم زوج أبى سبرة . السيدة ليلى زوج عامر بن ربيعة . السيدة سهلة بنت سهيل زوج أبى حذيفة بن عتبة .

هجرة الحبشة الثانية

وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجرى الحبشة رجعوا الى مكة مرة ثانية حيث لم تطب لهم الاقامة هناك ، ولما ضاقت الحيل بكفار قريش أجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبنى المطلب والتضييق عليهم فلا يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمدا للقتل ، وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها فى جوف الكعبة ، فلجأ رسول الله وقومه الى شعب بنى هاشم ، وأمام هذه العاصفة العاتية من عداء قريش أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يهاجروا للحبشة مرة ثانية حتى لا يبادوا فهاجر منهم نحو ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة ، فكانت هذه هي الهجرة الثانية للحبشة .

من المهاجرين : جعفر بن أبى طالب . عمرو بن سعيد بن العاص . خالد بن سعيد بن العاص . عبد الله بن جحش بن رئاب . عبيد الله بن جحش بن رئاب . قيس بن عبد الله . معيقيب بن أبى فاطمة . أبو موسى الاشعرى . عتبة بن غزوان . يزيد بن زمعة بن الاسود . عمرو بن أمية بن الحارث . طليب بن عمير بن وهب . سويبط بن سعد بن حريملة . جهم بن قيس . عمرو بن جهم . خزيمة بن جهم . أبو الروم بن عمير بن هاشم . فراس بن النضر بن الحارث . عامر بن أبى وقاص . المطلب بن أزهر . عبد الله بن مسعود . عتبة بن مسعود . المقداد بن الاسود. الحارث بن خالد التميمي . شرحبيل بن حسنة . عثمان بن ربيعة . خنيس بن حذافة . عبد الله بن الحارث . هشام بن العاص . قيس بن حذافة بن عدى . عبد الله بن حذافة بن عدى . أبو قيس بن الحارث بن عدى . الحارث بن الحارث بن عدى . عمرو بن عثمان بن كعب . شماس بن عثمان المخزومي . هبار بن سفيان المخزومي . عبد الله بن سفيان المخزومي . هشام بن أبى حذيفة المخزومي . سلمة بن هشام بن المغيرة . عياش بن أبى ربيعة . معتب بن عوف . قدامة بن مظعون . عبد الله بن مظعون . السائب بن عثمان بن مظعون . حاطب بن الحارث بن معمر . محمد ابن حاطب بن الحارث . الحارث بن حاطب بن الحارث . خطاب بن الحارث بن معمر . سفيان ابن معمر . جابر بن سفيان بن معمر . أبو عبيدة عامر الجراح . عمرو بن أبى سرح بن أبى ربيعة . عمرو بن الحارث بن زهير . سعيد بن عبد قيس . السائب بن الحارث بن عدى . معمر بن الحارث بن عدى . بشر بن الحارث بن عدى . سعيد بن الحارث بن عدى . سعيد بن عمرو التميمي . عمير بن رئاب . محمية بن جزء الزبيدى . معمر بن عبد الله العدوى . عروة بن عبد العزى . عدى بن فضلة بن عبد العزى . النعمان بن فضلة بن عبد العزى . عبد الله بن مخرمة العامرى . عبد الله بن سهيل بن عمرو . سليط بن عمرو . السكران بن عمرو . مالك بن ربيعة . أبو حاطب العامرى . سعدة بن خولة . سهيل بن بيضاء . عياض بن زهير بن شداد بن أبى ربيعة . عثمان ابن عبد غنم . الحارث بن عبد قيس .

من المهاجرات : أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب . فاطمة بنت صفوان زوج عمرو بن سعيد . أمينة بنت خلف الخزاعي زوج خالد بن سعيد . أم حبيبة بنت أبى سفيان . بركة بنت يسار زوج قيس بن عبد الله . أم حرملة بنت عبد الاسود زوج جهم بن قيس . رملة بنت أبى عوف زوج المطلب بن أزهر . ريطة بنت الحارث زوج الحارث بن خالد . فاطمة بنت المجلل زوج حاطب بن الحارث . فكيهة بنت يسار . حسنة زوج سفيان بن معمر . سودة بنت زمعة زوج السكران بن عمرو . عمرة بنت السعدى زوج مالك بن ربيعة . دعد بنت جحدم .

ويصف جعفر بن أبى طالب مقامهم بأرض

الحبشة ، وما كان بينهم وبين النجاشي ، وما كان من ملاحقة قريش لهم فيقول : ـ

لما نزلنا بارض الحبشة جاورنا خير جار أمننا على ديننا، وعبدنا الله تعالى ، فلمابلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي وبطارقته لكي يسلمونا لهم فارسلوا فى أثرنا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص ، فقالا للنجاشي قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت .. جاءهم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ، ولم يتبعه منا الا السفهاء ، وقد بعثنا اليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم .

فقال البطارقة : صدقوا أيها الملك . قومهم أعلم بهم ، فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم . فغضب النجاشي وقال : لا أسلمهم وقد جاوروني ونزلوا بلادى حتى أدعوهم فأسالهم عن حقيقة أمرهم .

قال جعفر : فارسل الينا النجاشي ، فلما دخلنا عليه سلمنا ، فقال من حضره : ما لكم لا تسجدون للملك قلنا : لا نسجد الا لله تعالى، فقال النجاشي : ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا فى ديني قلنا أيها الملك . كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا . نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته ، فدعانا الى توحيد الله ، وخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الارحام ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به، فعدا عليناقومنا ليردونا الىعبادةالاصنام واستحلال الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ،وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك .

فقال النجاشي لجعفر : هل عندكم شيء مما جاء به ؟ قلت : نعم ، قال : فاقرأ على ، فقرأت عليه صدرا من سورة مريم . فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، ورد عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص مبعوثي قريش أقبح رد ، وعاش المهاجرون فى جوار النجاشي آمنين مطمئنين حتى استتب الامر للمسلمين فىالمدينة فأخذوا فى الرجوعاليها .

المبايعون فى العقبة

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يلتمس المعين والنصير ويعمل جاهدا لفتح آفاق جديدة للاسلام فانتهز فرصة مجيء العرب من كل ناحية للحج وكان المشركون يحجون للبيت فى أيام الجاهلية فكان يخرج اليهم ويتحدث معهم عن الدعوة التى أرسله الله بها ويدعوهم للاسلام . وكان زعماء الشرك يتابعونه أينما سار ليفسدوا عليه خطته ويحولوا بين الدعوة وبين الناس . ولكن الله سبحانه كان يدخر فضلا عظيما لاهل المدينة ، فقد أقبل جماعة منهم لموسم الحج وتحدث الرسول معهم عن الاسلام فشرح الله صدرهم له وأسلموا ، وكان عددهم ستة ، كلهم من قبيلة الخزرج ، وتفتحت بذلك بارقة أمل جديد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان من الطبيعي حين رجع هؤلاء للمدينة أن يتحدثوا عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام ويتحمسوا له بعد أن اعتنقوه ويروجوا له بين قومهم .. فكانوا بذلك النواة الاولى الطيبة للاسلام فى المدينة ووضعوا بذلك الحجر الاساسي للعظمة والقداسة التى تمتعت بها بعد ذلك .

فقد زاد عدد القادمين لموسم الحج فى العام القادم الراغبين فى الاسلام ولقيهم الرسول وتحدث معهم ، فأسلموا .. وكان عددهم اثنى عشر من قبيلة الخزرج ورجلين من قبيلة الاوس . واجتمعوا مع الرسول سرا بين جبال العقبة حول جمرة العقبة أو الجمرة الثالثة الكبرى . وبايعوا

لوحة الشرف

الرسول على الاسلام فسميت هذه البيعة بيعة العقبة الاولى .

بيعة العقبة الاولى

من الاوس : أبو الهيثم بن القيهان . عويم بن ساعدة .

من الخزرج : أسعد بن زرارة . عوف بن الحارث . معاذ بن الحارث . رافع بن مالك . ذكوان بن قيس . عبادة بن الصامت . يزيد بن ثعلبة . العباس بن عبادة . عقبة بن عامر قطبة بن عامر .

وعاد هؤلاء للمدينة ومعهم مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم من قبل الرسول ليتعهدا المسلمين الجدد هناك بالتعليم والتفقيه فى أمور دينهم ، ويدعوا الآخرين الى الاسلام ــ وكان حقلا جديدا خصبا أتاحه الله للاسلام حتى أصبح حديثه على لسان أهل المدينة وشاغلهم ، وزاد عدد الداخلين فى الاسلام وفيهم بعض زعمائهم فلم يحل موعد الحج فى العام الثالث حتى كثر عدد المرتحلين الى مكة ليقابلوا رسول الله .

وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وتواعد معهم على اللقاء سرا فى منعطفات جبال العقبة بعد أن يتموا حجهم .. وتولدت فى هذا الجو المتفتح بالبشر والامل فكرة انتقال الرسول للمدينة . وفكر الرسول ... لماذا لا يترك مكة للمدينة بعد أن كثر عدد المسلمين فيها ، وأصبحت بيئة صالحة لنشر الاسلام وحماية الدعوة . ومكة فى مدى ثلاث عشرة سنة لم يسلم فيها قدر من أسلم فى المدينة ، ولا زالت تقف للاسلام بالمرصاد حتى لم يعد فيها أمل .

وهناك فى ستر من الليل اجتمع بهم الرسول ومعه عمه العباس ليأمن على ابن أخيه فيما هو مقدم عليه وبايعوا الرسول على أن يهاجر اليهم ويحموه ويحموا دعوته وكانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأتين .. فكانت هذه هي بيعة العقبة الثانية .

وعادوا للمدينة يحملون خطة جديدة ويحملون معهم للمستقبل نصرا للدعوة .. ورأى الرسول أن ينظم أمرهم هناك حتى يلحق بهم فجعل عليهم اثنى عشر نقيبا يتعهدونهم فى أمر دينهم وفيما أخذوا مواثيقهم عليه ..

بيعة العقبة الثانية

عدد المبايعين (٧٣) رجلا وامراتان وهم : ــ

من الاوس : أسيد بن حضير ، سعد بن خثيمة رفاعة بن عبد المنذر . (وهؤلاء من النقباء) أبو الهيثم بن التيهان . سلمة بن سلامة . ظهير بن رافع . أبو بردة بن دينار . فهير بن الهيثم . عبد الله بن جبير . معن بن عدى . عويم بن ساعدة

من الخزرج : أسعد بن زرارة . سعد بن الربيع عبد الله بن رواحة . رافع بن مالك . البراء بن معرور . عبادة بن الصامت . سعد بن عبادة . المنذر بن عمرو . عبد الله عمرو بن حرام (وهؤلاء من النقباء) . خالد بن زيد . معاذ بن الحارث . عوف بن الحارث . معوذ بن الحارث . عمارة بن حزم . سهل بن عتيك . أوس بن ثابت . زيد بن سهل . قيس بن أبى صعصعة . عمرو ابن غزية . خارجة بن زيد . بشير بن سعيد . عبد الله بن زيد بن ثعلبة . خلاد بن سويد . عقبة بن عمرو . زيادة بن لبيد . فروة بن عمرو . خالد بن قيس . ذكوان بن عبد قيس . عباد بن قيس . الحارث بن قيس . بشر بن البراء بن معرور . سنان بن صيفي . كعب بن مالك .

سليم بن عامر . قطبة بن عامر . يزيد بن عامر . كعب بن عمر . صيفي بن سواد . ثعلبة بن غنمة . عمرو بن غنمة . عبس بن عامر . خالد بن عمر . عبد الله بن أنيس . جابر بن عبد الله . معاذ ابن عمرو بن الجموح . ثابت بن الجذع . عمير بن الحارث . خديج بن سلامة . معاذ بن جبل . العباس بن عبادة بن نضلة . يزيد بن ثعلبة . الطفيل بن النعمان . معقل بن المنذر . يزيد بن المنذر . مسعود بن زيد . الضحاك بن حارثة . يزيد بن خزام . جبار بن صخر . الطفيل بن مالك . عمرو بن الحارث . رفاعة بن عمرو . عقبة بن وهب .

من النساء : نسيبة بنت كعب . أسماء بنت عمرو بن عدى .

★ ★ ★

وماج المسلمون فى المدينة ـ من رأى منهم رسول الله من قبل ومن لم يره ـ بالفرحة الغامرة . وأمسوا وأصبحوا ينتظرون قدومه هو وأصحابه المكيين ، وينتظرون مع مقدمه فجر حياة جديدة لهم، يلتئم فيها شمل القبيلتين المتنازعتين باستمرار وتندمل فيها جراحاتهم وتختفي فيها أحقادهم ، ويعودون فى ظل الاسلام أخوة يستريحون من عناء قتال ونزاع شغلا حياتهم .

كان هذا حال المسلمين الجدد فى المدينة أما حال الرسول وأصحابه فى مكة فقد ازداد سـوءا ، لقد علم زعماء قريش بما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أهل المدينة . وتسربت أخبـار البيعة اليهم ورأوا فيها أن الخطر الذى يحاصرونه ليقضوا عليه سيفلت منهم ، ويجد له متنفسا جديدا ورجالا جددا سيتجمعون حوله ويقـوى بهم أمره ويتفاحل خطره : حتى يستطيع بهم أن يهدد مكة وينتصر عليها .

لقد ظلوا نحوا من ثلاثة عشر عاما يحاولون الحد من الدعوة الجديدة وخنقها والقضاء عليها .. وجربوا فى ذلك شتى الطرق وها هو ذا محمد سيفلت منهم ويخرج أمره من أيديهم .. ولا يدرون بعد ذلك ما يكون مصيرهم .. فلا بد اذن من عمل حاسم .

★ ★ ★

وبدأت الحملة الجديدة الجنونية على الرسول وصحابته .. الاضطهاد لم يعد يجدى ولا يحقق الهدف .. فلا بد معه اذن من تفكير فى عمل جديد ، لا بد من القضاء على حياة هذا الداعي الذى أقض مضجعهم كل هذه المدة .. والذى يفكر فى الخروج ليكون بعد ذلك نهاية مصيرهم وكان هذا كله مما دفع الرسول صلى الله عليه وسلم للتعجيل بالهجرة فأمر أصحابه أن يسبقوه الى المدينة .. ومكث هو فى مكة يرقب الحال وينتظر الاذن من ربه .

★ ★ ★

وسارت الايام .. وكل تدبير يقترب من نهاية أمره . المسلمون يهاجرون والمكيون يدبرون حتى اذا هاجر المسلمون كلهم أو كادوا .. وحتى اذا انتهى أمر المكيين وتدبيرهم الى قتل محمد .. جاءه الاذن بالهجرة فخرج فى ستر من الليل .. وبدأ رحلته الرهيبة هو وصاحبه الى المدينة .

ما الذى حمل المسلمين على ترك ديارهم وأموالهم ومصالحهم .. والاقبال على مجهول ليس لهم فيه من عدة لاحتمالاته ؟ . ما الذى جعلهم يقدمون على هذه التضحية وفيهم الرجل وفيهم المرأة ..

انه الايمان .. انها العقيدة التى تزلزل الرواسى وتقتحم الصعاب ، وتهزأ بالاخطار . انها الهجرة للـــه .

وكان هؤلاء وهم يتركون على الرمال وقع أقدامهم

لوحة الشرف

يسجل لهم التاريخ أروع ما قامت به جماعة انتصارا لعقيدتها ويفتح لهم سجلا خاصا بهم من المجد والفخار ..

وكان ممن حفظ التاريخ اسماءهم من المهاجرين والمهاجرات .

المهاجرون الى المدينة

من المهاجرين : أبو سلمة المخزومي . عامر بن أبى ربيعة . عبد الله بن جحش . أبو احمد عبد بن جحش . عكاشة بن محصن . شجاع ابن وهب . عقبة بن وهب . أربد بن جميرة . منقذ بن نباته . سعيد بن رقيش . محرز بن فضلة . قيس بن جابر . مالك بن عمرو . زيد بن رقيش . عمرو بن محصن . صفوان بن عمرو . ثقيف بن عمرو . الزبير بن عبيدة . سخبرة بن عبيدة . عمر بن الخطاب . عبد الله بن أم مكتوم . سعد بن أبى وقاص . زيد بن الخطاب . عبد الله ابن سراقة بن المعتمر . سعيد بن زيد . خولى ابن أبى خولى . اياس بن بكير . عاقل بن بكير . طلحة بن عبيد الله . حمزة بن عبد المطلب . أبو مرثد بن الحصين . أنسة مولى رسول الله . عبيدة بن الحارث . حصين بن الحارث . سويبط ابن سعد . خباب مولى عتبة بن غروان . الزبير ابن العوام . أبو حذيفة بن عتبة . عتبة بن غزوان. ربيعة بن أكثم . تمام بن عبيدة. محمد بن عبدالله ابن جحش . مصعب بن عمير . عمار بن ياسر . بلال (المؤذن) . عمرو بن سراقة بن المعتمر . خنيس بن خذافة السهمي . واقد بن عبد الله التميمى . مالك بن أبى خولى . خالد بن بكير . عامر بن بكير . صهيب بن سنان . زيد بن حارثة. مرثد الغنويان . أبو كبشة مولى رسول الله . الطفيل بن الحارث . مسطح بن أثاثة . طليب ابن عمير . عبد الرحمن بن عوف . أبو سبرة ابن أبى رهم . سالم مولى أبى حذيفة . عثمان ابن عفان . وآخرون .

من المهاجرات : أم سلمة . زينب بنت جحش . حمنة بنت جحش . أم حبيب بنت جحش . جدامة بنت جندل . أم قيس بنت محصن . أم حبيب بنت تمامة . آمنة بنت رقيش . سخبرة بنت تميم .

★ ★ ★

حل هؤلاء المهاجرون الابطال على اخوانهم المسلمين فى المدينة الذين سماهم القرآن « الانصار » ، ومنهم تكونت النواة القوية للمجتمع الاسلامي الاول الذى حمل اعباء الدعوة فى منطلقها الجديد ، واستحق من الله الرضا والمغفرة .

★ ★ ★

« والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم » (١)

★ ★ ★

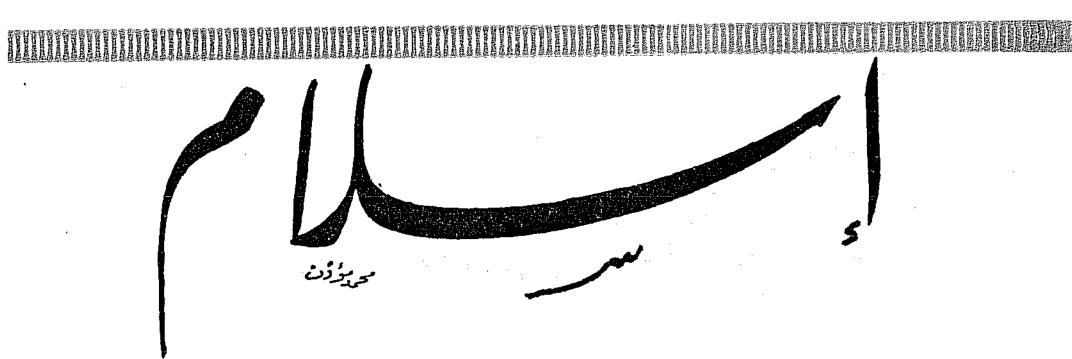
« أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب » (٢) صدق الله العظيم

(١) الانفال آية ٧٤
(٢) الزمر آية ١٨

بقية الله في كل شيء

آمنتُ فيما قد رأيتُ وانني ... لأرى وراء الغيْب طيفَ وجودي
وغداً أعودُ كما بدأتُ، وانني ... لألوذُ من ركْبِ العُلا بخلودِ
أنا ذلك الانسانُ آيةُ ربّهِ ... في الكونِ ، ظلٌّ لوائهِ المعقودِ
أنا نفحةٌ من روحِهِ في آدمٍ ... قد أومضَتْ في الهيكل المفقود
حَسبي إذا أحصيتُ عمرىَ أنّنى ... ما كنتُ شيئاً قبلُ في الموجود
حتى براني الله روحاً ساميا ... في هيْكلٍ متساوقٍ محمود
مدّ الالهُ لآدمٍ من فضله .. ... قبسَ الهدى ، وحباه بالتأييد
ودعا الملائكةَ الكرامَ ليشهدوا ... من مِهْرجانِ الخلْد أكرمَ عيد
الوحْيُ يهتفُ، والملائكُ سُجَّدٌ ... وعلى الضِّفافِ مزاهرُ التغريد
هذا الذى سوّيتُهُ بشراً .. فكان مناطَ خيرٍ للورى ، وسُعُود
دعني ، ودعْ ابليسَ فهومُضَلّلٌ ... قد رُدَّ عن فرْدوسه بوعيد
ومضى يطاردُهُ الزمانُ بلعنةٍ ... هو شرٌّ ملعونٍ بها ، وطريد
القصّةُ الكبرى حياةُ محمّد ... هادى الورى للموقِفِ المحمود
حمَلَ الرسالةَ بالهدى، وكتابُهُ ... بيدِ الزّمان له لِسانُ خلود
وبه استقامَ الدينُ فهو شريعةٌ ... غرّاءُ ، تَهْدى للغَدِ المنشُود
قد جاء خير الخلق يكشفُ للورى ... عن قدْرِ ذاتِ الخالقِ المعبود
صلى عليه الله ، فهو صفيُّه ... ونجيُّهُ في الموقفِ المشهُودِ

للاستاذ سعيد زايد

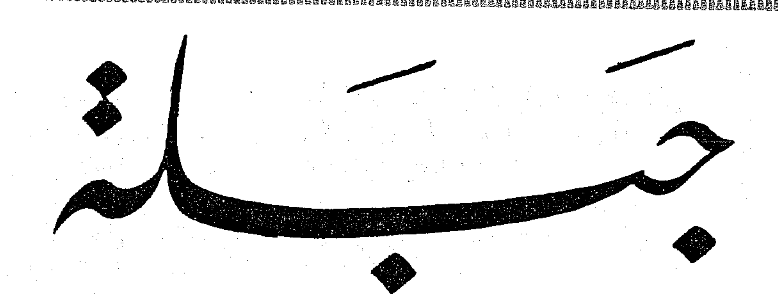


خرج اهل المدينة جميعا يستقبلون ضيف أمير المؤمنين ، وهو قادم يختال فوق جواده الاصهب وحوله ما يقرب من خمسمائة فارس يلبسون ثياب الوشي المنسوج بالذهب والفضة ، انعكست عليها اشعة الشمس الوهاجة فانبعث منها بريق لامع يخطف الابصار ويحيل لون رمال الصحراء الى لون ذهبي رائع .. كان جبلة بن الايهم يختال فوق جواده كالطاووس ويضع فوق رأسه تاجا مثبتا فيه قرط جدته مارية فى أناقة وعجب ، ويلتفت ذات اليمين وذات اليسار فى حركات متئدة مصنوعة ، ويـرد التحية بيده تارة وبايماءة من رأسه تارة أخرى ، وينظر الى ملابسـه وملابس فرسانه فى زهو وخيلاء .

وكان جبلة قد كتب الى عمر بن الخطاب ينبئه برغبته فى الاسلام ، ويستأذنه فى القدوم اليه ، ففرح أمير المؤمنين بذلك فرحا شـديدا هو وجميع المسلمين ، فان اسلام أمير غسان لا بد وأن يتبعه اسلام عدد كبير من الناس، فسرعان ما رد عليه عمر بأن ((أقدم ولك ما لنا وعليك ما علينا)).

وصل جبلة الى المدينة ، ونزل ضيفا على خليفة المسلمين ، ثم نطق بالشهادتين بين جمع غفير من الناس ، تحوطه مظاهر البهجة والسرور . ولما كان موسم الحج على وشك الحلول ، فقد انتظر فى المدينة حتى يؤدى الفريضة . وجاء موعد الحج وخرج جبلة فى صحبة أمير المؤمنين لتأدية الفريضة الخامسة من فرائض الاسلام ، وفرح أهل مكة ايضا باستقبال جبلة مسلما فى أرضهم ، وبهدايته الى السبيل السوى الذى ارتضاه دين محمد صلى الله عليه وسلم ، وتباروا فى اكرامه واعزازه ما وسعهم الاكرام والاعزاز .

وبينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ وطىء ازاره رجـل مـن بني فزارة فحله . فالتفت اليه جبلة فى أنفة وكبرياء ، وقال له ((كيف تجرؤ على وطء ازارى أيها الاعرابي ؟)) ، ولم يلبث ان لطمه على وجهه لطمة قوية هشمت أنفه . فغضب الفزارى وذهب على التو الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وشكا له .. وبعث الفاروق فى طلب جبلة ولما حضر قال له ((ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزارى فهشمت أنفه ؟ ورد جبلة بلهجة فيها من عادات الجاهلية الشيء الكثير قائلا ((انه وطىء



ازارى فحله ، ولولا حرمة هذا البيت لضربته بين عينيه بالسيف)) ونظر اليه أمير المؤمنين نظرة كلها سخرية من هذا الذى أسلم ولم تتمكن منه صفات الاسلام بعد ، ولم تجر فى دمائه روح التسامح ، وأراد ان يلقنه أول درس عملي فى جوهر الدين ، فقال له فى قوة وحزم ((أما انت فقد اقررت ، أما أن ترضيه والا أقدته منك)) وطار صواب جبلة ، فلم يتعود على هذا الاسلوب من قبل ، بل عاش حياته يأمر فيطاع ، ويفعل الاثم فيقر عليه ، ويرتكب الخطيئة فيصورها له النفاق الذى يحيط به بأنها عين الصواب ، وقال موجها الكلام الى أمـير المؤمنين فى جاهلية رعناء ((اتقيده مني ، وأنا ملك وهو سوقة ؟)) وابتسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ابتسامة المدرك انه لا يوجد فى الدين ملك وسوقة ولا أمير وحقير ، وقال ((يا جبلة انه قد جمعك واياه الاسلام ، فما تفضله بشيء الا بالعافية)) وتملكت ثورة الغضب من نفس أمير غسان ، وظل سادرا فى غيه لا يريد ان يفهم ما يصدر عن أمير المؤمنين من روح نقية ولا أن يعرف ان التسامح هو أول صفات المسلم الحق ، وقال ((والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز مني فى الجاهلية)) . فرد عليه الفاروق فى أباء قائلا ((دع عنك ذلك)) ولم يرعو جبلة ، ولم يشأ أن يجارى ابن الخطاب فيما يهدف اليه من معان سامية ، بل قال فى حمق ((اذن أتنصر)) . وهنا نفد صبر أمير المؤمنين ونظر اليه نظرة احتقار ، وقال له بصوت مرتفع وبلهجة حاسمة ((ان تنصرت ضربت عنقك)) .

وشاع الخبر بين العرب ، واجتمع قوم ابن الايهم يتشاورون فى الامر ويفكرون فى رد الاهانة التى لحقت بزعيمهم من وطء ازاره . ومن ناحية أخرى اجتمع بنو فزارة يرسمون خطة يدفعون بها ما لحق برجلهم من اعتداء ، وكادت أن تقوم فتنة .. وأرسل الفاروق الى جبلة ((يسأله عما استقر عليه رأيه فى ارضاء الفزارى ، فقال جبلة ((أخرني الى غد يا أمير المؤمنين ((فرد عليه عمر قائلا ((ذلك لك)) .

وكان ابن الايهم قد بيت فى نفسه أمرا ، فعندما انتصف الليل انسل هو وقومه هاربين الى القسطنطينية ونزل عند هرقل ، وتنصر .. وقد كان فرح هرقل وسروره بذلك شديدا ، فقد وهبه مالا جزيلا وأرضا شاسعة وقصرا منيفا فيه كل وسائل البهجة والترف ، ويحتوى على كل ما لذ وطاب .

ومرت الايام ، وأرسل عمر بن الخطاب رسله الى الملوك يدعوهم الى الاسلام أو المصالحة على دفع الجزية ، وكان من هؤلاء هرقل الذى ارتضى المصالحة على غير الاسلام . ولما أراد أن يكتب جواب عمر ، قال لرسول أمير المؤمنين ((القيت ابن عمك هذا الذى بيلدنا ، والذى أتانا راغبا فى ديننا)) ، ورد الرسول مستفسرا ، فقال هرقل ((جبلة بن الايهم)) قال رسول عمر ((وما شأنه فى هذا ؟)) فقال هرقل فى خبث ((القه ثم ائتني اعطك جواب كتابك)) .

ولعل هرقل كان يريد أن يوقف رسول أمير المؤمنين على النعمة التى يعيش فيها ابن الايهم ، لعله يبهر بتلك الابهة ويبقى الى جواره ويخون الرسالة التى وفد من اجلها ، ولكن هيهات .. وذهب الرسول الى بيت جبلة ، فراعه ما يقف على بابه من كثرة الحجاب والقهارمة كباب هرقل نفسه ، وطلب الاذن بالدخول ، فأذن له بعد فترة من الزمن ، ونظر فاذا بجبلة قاعدا على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من الذهب ورحب ابن الايهم برسول الفاروق وسأله عن المسلمين ، فأنبأه هذا بأنهم قد زادوا عددا وعدة ، ثم سأله عن ابن الخطاب فأنبأه ايضا بأنه بخير ، فظهر الغم على وجهه ودعا جبلة الرسول الى الجلوس بجانبه فوق السرير ، ولكن الرسول عزف عن ذلك ، فقال له جبلة ((لم تأبى الكرامة التى اكرمناك بها ؟)) فقال الرسول ((ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا)) فقال جبلة ((نعم ، صلى الله عليه وسلم ، ولكن نق قلبك من الدنس ، ولا تبال علام قعدت)) .. ودهش رسول ابن الخطاب عندما سمع ابن الايهم يقول ((صلى الله عليه وسلم)) وقال له في قوة وعزم ((ويحك يا جبلة ألا تسلم ، وقد عرفت الاسلام وفضله)) ورد جبلة في حسرة وندامة قائلاً ((أبعد ما كان مني ؟)) قال رسول عمر مطمئنا اياه ومزيلا لحالة اليأس التى عنده ومقويا للامل الذى بدأ يداعب نفسه ((نعم قد فعل رجل من بني فزارة اكثر مما فعلت ، ارتد عن الاسلام ، وضرب وجوه المسلمين بالسيف ، ثم رجع الى الاسلام ، وقبل ذلك منه ، وخلفته بالمدينة مسلما)) ... وعادت أنفة الجاهلية الى نفس جبلة مرة أخرى ، فقال لرسول عمر ((ذرني من هذا ، ان كنت تضمن لي ان يزوجني عمر ابنته ويوليني الامر بعده رجعت الى الاسلام)) فقال رسول عمر ((ضمنت لك التزويج ولم اضمن لك الامرة)) .

وخرج الرسول من عند ابن الايهم ، وقد أخذ منه وعدا بالرجوع الى الاسلام ، أو على الاقل فهم منه رغبة وحنينا اليه ، ولم تنفع معه حيلة هرقل ، ولم تؤثر فى نفسه ، بل زادته ايمانا بالله واستمساكا بدينه وعزوفا عن مظاهر الدنيا الفانية . وذهب الى هرقل وأخذ منه ردا على رسالة أمير المؤمنين يتضمن رأيه فى المصالحة بينه وبينه .

وعاد رسول عمر الى بلاد العرب ، وأخبر الخليفة بما كان من شأنه مع هرقل وجبلة ومن انه دعاه الى الاسلام وضمن له التزويج ولم يضمن له الامرة . ففرح عمر فرحا شديدا ، فلم يكن أحب اليه من أن يزيد عدد المسلمين ويعزز الله جانبهم ، وقال لرسوله ((هلا ضمنت له الامرة ، فاذا افاء الله به الى الاسلام قضى عليه بحكمه عز وجل)) .

وجهز ابن الخطاب رسوله الى القيصر ، وأمره أن يقابل جبلة ويضمن له ما اشترط به ، وقدم الرسول الى القسطنطينية وفى نفسه من الفرح ما فيها ، وتوجه على التو الى منزل جبلة ، واذا به يلمح جموعا منصرفة من حول المنزل ، وسأل عن الخبر ، فأخبر بأن جبلة قد مات واحنى رسول عمر رأسه الى الارض متأملا حكمة الله عز وجل ، وأدرك ان الشقاء قد غلب على جبلة فى ام الكتاب .

مسئوليه التناصح وأساسها في الإسلام

للاستاذ السيد محمد أبو المجد
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

ان الامة الرائدة التي تتفوق على مثيلاتها حضارة ورقيا ومنزلة مرموقة بين الامم هي الامة التي يسود بين افرادها ظاهرة التوجيه والتوعية والتناصح الصريح المضيء الذي تتفتح له القلوب ، فيشيع بين جوانبها عظمة الله وتنزيهه ويرفع مستوى النفوس فتطلب ان هي طلبت معالي الامور ، وتترفع عن سفاسفها . وتنشد المثل الاعلى ، وتتجمل بالمروءة وتشعر بعظيم التبعة التي من شأنها تنظيف المجتمع من المداهنة والمواربة والتصنع فيفعل المرء فى السر ما يفعله فى العلانية ، ويملأه الشعور بأن الله خالقه ، وبأن الله يراه ، وبأن الله يأمره وينهاه فيأتي ما يأتي من الخير ويذر ما يذر من الشر ،لا رغبة ولا رهبة ولكن حبا فى الله ومن احب امتثل واناب واطاع ، وما اجمل ما صور الشاعر من صورة تترقرق فى جوانبها تموجات الطاعة الصريحة والامتثال الشجاع الطليق .

تعصى الاله وانت تزعم حبه
هذا محال فى القياس بديع

لو كان حبــك صادقا لأطعتـــه
ان المـحب لمــن يحب مطيـــع

ان ظاهرة التوعية والتناصح الرشيد ان صدرت عن قلب تنظفت مضغته من الهوى الدنيوى ، وتبرأت من جمحات الطموح الشخصي انعطفت اليه القلوب ، وخلق من حوله الحواريين والانصار ، ولو استدرنا عبر التاريخ نسأله ونستفتيه لارانا ارباب الدعوات وكأن الفرد منهم امة وحده ، بخطو قانتا لله حنيفا فيقتحم ظلمات القلوب ويستل سخائمها ، ويقشع ضبابها ، ولا يتركها حتى يجعل منهـا موئلا للحق ، وكوكبا دريا يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكـاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور . ان ظاهرة التناصح لا تنبت فى ارض سبخة لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاهـا ولكنها تنبت فى أرض لم تمت عليها عزة المؤمنين ، ولم ينقطع بها الدرب لانهـا تاهت بين ركائز الاستعمار وفساد الحكم وبؤس الفقراء وتعطيل طاقات الشعب تحت وطأة الامتيازات الطبقية فـلا يستشعر افراده جسامة المسئولية العامة التي لا تسأل الفرد عن نفسه الا وتسأله فى الوقت ذاته عن اخيه ، وعن امه وابيه وصاحبته وبنيه ، بل وترتفع المسؤولية فى الاسلام الى مستوى عظيم تتجاوز فيه الانسان الى الحيوان والنبات فالجماد . وما أمر المرأة التي دخلت النار فى هرة حبستها فمنعتها عن ان تقوت نفسهـا بخشاش الارض ولم تهيء لها فى محبسهـا لا طعاما ولا شرابا ، ما أمر هذه المرأة ببعيد عن القارىء العزيز لا سيما وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفت الانظار اليه وشدد النكير عليه ، وهنا يتدخل القرآن المجيد ليرسي قواعـد المجتمع وركائزه على أساس راسخ مكين عــن طريق التحريض البالغ اثره فى النفوس ليأخذ الناس بعضهم بعضا بالتواصي بالحق فيقول وقوله الحق مهددا موعدا أولئك السلبيين الذين يقفون من الامراض الاجتماعية وقد استشرت واستترت تحت اقنعه علمية او فنية ففتنت ببريقها ، وخدعت بسرابها ، وهدمت من بعد ذلك اقوى اللبنات فى صرح المجتمع الرشيد العتيد مما جعل القرآن يواجه هؤلاء وجها لوجه ملقيا اليهم هذه الآية التي هي ان فضحتهم فلا تترك لهم مجـالا للخلاص يوم القيامة (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ، وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون) .

ان المسؤولية العامة التي نادى بهـا القرآن المجيد ليست منبثقة الا مــن نواميس المجتمعات الراقية المتحضرة ، وليست الا مولودة من مواليد الفطـرة البشرية ، وليست الا جانبا حيويا خطيرا من جوانب الحياة الحقيقية حياة القلوب والارواح ، حياة الامن والرخاء ، والحياة العزيزة الكريمة للامم جمعاء ، ومن يمن هذه المسئولية العامة التي جعلها القرآن ناموسا من نواميس المجتمع ، ومرآة يرى فيها الفرد نفسه اذا ما اغطش الغرور طريقها فانحرفت ، وعميت عليها السبل فانجرفت الى قرار سحيق . من يمن هذه المسؤولية انها تنير البصـيرة وتهـب صاحبها احساسا يميز به بين الحـق والباطل ، ويهديه سواء السبيل ، ومـا أصدق الرسول صلوات الله وسلامه عليه علما بمجريات الفطرة البشرية واساليب استوائها على نهج صادق رشيد اذ يجعل التناصح هو الدين كله فيقول « الدين النصيحة » قالوا لمن يا رسول الله قال . لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وما قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالتناصح على هذه الصورة المانعة الجامعة الا باعتباره اصلا من اصـول الدين ، وركنا من اركانه ، وترسا مــن تروس دولابه ان تحطم استجابت لـه بقية التروس بالتحطيم ، وما قـــول الرسول الا انعكاسا صادقا لهذه السورة التي على قصرها وايجازها تقيم ميزان الدنيا على سعتها واختلاف اقاليمها ، وهي تناشد المسلمين جميعا فى مشارق

الارض ومغاربها بما يتسمون به مــن وصف الايمان ان يلتزموا حدود الطاعــة وان يستجيبوا لدعوة الله فيتواصــوا بالحق ويتواصوا بالصبر ، وحسب هذه السورة فعالية فى تمتين روابط المجتمع وتنقيته من الشوائب والادواء ان الامام الشافعي قال فيها بعد ان سبر اغوارها واحاط علما بجوانبهاوهو القرشي المضيء عقلا وروحا « لو عرفها المسلمون لكفتهم والعصر ان الانسان لفي خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وان ما تبديه هذه السورة من بارع اللمحات فى بناية الصرح الاجتماعي انها كانت تقليدا من تقاليد الصحابة رضــي الله عنهم ، فكان لا يفترق بعضهم عن بعض الا وهذه السورة تختتم مجالسهم وآخر ما يصدر عن قلوبهم عهدا وميثاقا .

ان المسؤولية العامة التي جعلت من كل فرد حكومة يسأل نفسه ويسأل أخاه عبر عنها الاسلام تعبيرا لا تسلط فيــه ولا جبروت ، ولا انتقاصا لقدر او غضا من قيمة ، ولا غضاضة منه حتى يبقي على النفوس عزتها، وعلى الآدمية كرامتها فجاء تعبيره عن المسئولية مرغبا فيها لا منفرا منها ،وداعيا اليها فاسماها « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وقد تولى القرآن المجيد ابرازها ، وطلب من القادرين عليها اقرارها ، وعلق عليها وحدها امر

استقرار الشعوب وفلاحها فقال وصدق الله العظيم (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

والقرآن المجيد يتابع المسؤولية فى اكثر من موضع ، ويتناولها من مظانهــا تنويها باثرها فى تقييم المجتمع ،وجعلها شأنا من شؤون المسلمين ، واثرا مــن آثار ايمانهم اقيمت به ولاية المؤمنــين بعضهم على بعض فقال عز وجــــل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكــــر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم) .

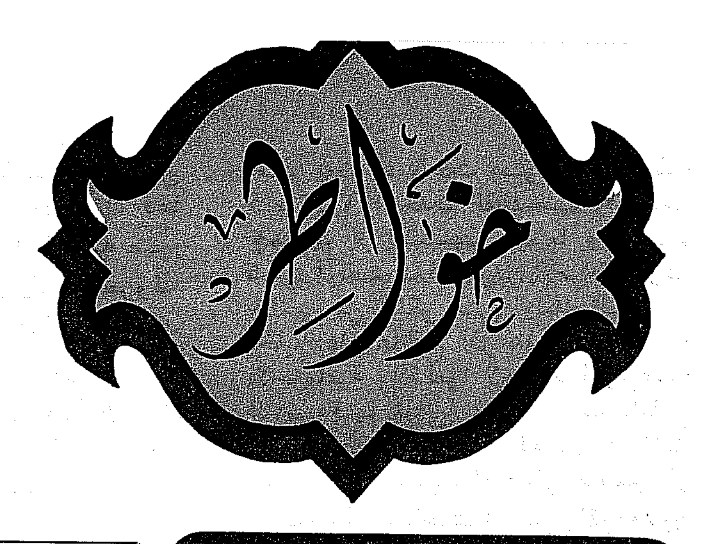
فلننظر ، ولنتابع النظر فى هذه الآية التي اوردت بعض الواجبات صراحة ، وقد وضعها الله وهو اعلم بمن خلق ، وضعا نحتاج معه الى روية وتدبر نكشف معهما كيف ان الله قدم فى الآية الكريمة « الامر بالمعروف والنهي عــن المنكر » وجعل لهما الصدارة لفتا لذوى العقول والابصار . ان تحقيق المسؤولية العامــة ينبثق اولا وبالذات من هذه الركيــزة الاجتماعية التي تعتبر اما لجميع الركائز، واساسا لكل القيم ، ولعظيم اهموتهــا وجلال خطرها كانت قبل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله فهــي منطلق الخير جميعا ، وان ما يوحى به وضع الآية بهذا الاحكام لامر ان وعته النفوس انطلقت اليه ممعنة فى نواله مهما بذلت او شــــقيت ، ان الآيــــة تهيب بالفرد ان يكامن من انانيته ، وان يجعلها تغوص فى القاع من اعماقه ، وأن يقــول اخي وأنا بدلا من ان يقول انا وحدى لان

طلب الشخص الخير لنفسه ابعد من ان يقع عند الله موضع القبول الا اذا دعا الناس جميعا الى ما يريد لنفسه من خير ، وما ينتظر لها من زكاة ومعروف فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ولا يشد بنيان المجتمع بعضه الى بعض ويسد ثغراته الا التواصي بالحق ووضع قول الرسول صلي الله عليه وسلم « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » موضع التطبيق والتنفيذ .

هكذا فهم المسلمون الاولون مبدأ المسئولية العامة فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وقاموا بواجب التناصح والارشاد والتوعية ، فنصح عالمهم جاهلهم ، وارشد كبيرهم صغيرهم بل لقد نصح الصغير الكبير ونصح المرءوس الرئيس ، ونصح المحكوم الحاكم ، وتقبل الجميع من الجميع،وظلوا كذلك متعاونين على البر والتقوى فاستقامت لهم الشئون وتقدمت بهم الحياة وقادوا العالم،واقاموا الحضارة ، وحفظوا تراث الانسانية من الضياع . فلما نبتت معهم على طول الطريق نابتة الشهوة ، وانفتحت عليهم الارض والسماء بما يحملان من كنوز وعطايا فغرقوا فى بلهنية من العيش والرخاء والنعيم ، وأتتهم الدنيا بما زينت لهم وأرتهم ما يتنافسون عليه ويتكاثرون به ، وأعطتهم حلواءها ، وسقتهم صنوفا من الجاه والرياسة سلبتهم سلطة القلب، وساطة الروح، وسلطة الضمير، وجعلتهم كالدمى ان اغرك مظهرها لا ترضيك حقيقتها ، واطفات بين جنوبهم نور التقوى ، وخذلت فى لهاتهم كلمة الحق لتفتح الطريق الى لقمة العيش ، وفرقت كلمتهم،وفتحت عيونهم وأعمت بصيرتهم، واضاعت امرهم بعد ان اضاع بعضهم امر بعض ، وحلت عراهم وربطت شهواتهم، وأوجدت الفرد منهم واضاعت جميعهم « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى »وانصرف الناس عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى اولئك الذين اخذوا على عاتقهم امر هذه التبعة الاجتماعية وانقطعوا لاحيائها وترغيب الناس فيها تفاديا من غضب الناس الذين اصبحت قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة او استبقاء على منصب او استدرارا للقمة عيش،وانطوى المجاهدون على انفسهم يحوقلون ويقولون (وليسعك بيتك) مكتفين بقولهم . فسد الزمان . (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل) . وكأني بالقرآن الكريم يتغلغل مع النفوس البشرية الى جذورها ويتوقع لها هذا الانخذال فى الطريق ، وأن كثيرا من الناس سيتخلى عن رعاية هذه الظاهرة الاجتماعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي الظاهرة التي اودت بمصير الامم من قبلنا ، والتى قص القرآن علينا طرفا من اخبارها حين اغفلت التناصح بين افرادها وتركت الامر بالمعروف والنهي عن المنكر استثارة لنفسية المجاهدين وحرصا على الا يتسرب اليأس الى قلوبهم ، **فقال الله تعالى وهو اصدق القائلين (فلو لا كان من القرون من قبلكم اولو بقية ينهون عن الفساد فى الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) .**

ولما اندثرت ظاهرة التواصى بالحق تولدت بديلا منها ظاهرة التعالى التي تنكر عليك كلمة الحق تبديها ، او منهجا خاطئا ينتهي بالسائرين فيه الى متاهة

ـ البقية على الصفحة ٩٦ ـ



من هنا .... وهناك

يكتبها : ع . النمر

أنظر يا أخي حولك حين يصل هذا العدد اليك وطف بشوارع البلد وقارن بين ما رأيته من المسلمين في رأس السنة الميلادية من مظاهر العناية والاحتفال والاهتمام ، وبين ما تراه منهم في رأس السنة الهجرية وهم الذين تعتبر الهجرة بالنسبة لهم نصرا لدينهم وفجرا جديدا انطلقت بعده اضواء دعوتهم حتى عمت الجزيرة العربية وزحفت منها كما يزحف ضوء الشمس شرقا وغربا ، حتى كان العالم الاسلامي وكانت الامبراطورية العربية الاسلامية التي سادت الدنيا بالعدل والمساواة وقدمت أرقى نموذج للحكم والحضارة والتمدن .

ستخرج مثلي من هذه المقارنة ، بالأسى والحسرة للفتور والبرود او الاهمال الذى نقابل به هذه المناسبة التاريخية الكبرى التي تعتبر بالنسبة لنا رأس مال ضخم لتاريخنا وأمجادنا .

قد يقال ان رأس السنة الهجرية ليس عيدا من اعيادنا الاسلامية اذ ليس لنا الا العيدان المعروفان .. هذا صحيح وصحيح ايضا ان اسلافنا لم يكونوا يحتفلون به ولا يقيمون الذكريات له .. ولكن اساليب العصر فى التذكير والتربية واظهار الشعور نحو الايام الفاصلة فى التاريخ القريب والبعيد للامة جعلت مثل هذه الاحتفالات من مظاهر يقظة الأمة لماضيها وحاضرها وتقديرها لرجالها واصحاب الفضل عليها .

وكلما كان احساس الأمة بمقدار الحادث والرجل فى تاريخها ، وشعورها بنتائجه فى ماضيها ومستقبلها وأثره على كيانها كان تجاوبها النفسي مع ذكرى هذا الحادث او صاحبه .. واعتزازها بهذه الذكرى وكل ما يتصل بها .

والهجرة لم تكن حادثا يمر فينسى وهي التي كانت مفتاحا لهذا المجد الذى تعيش على حسابه وبفضله الأمة التي تنتسب للاسلام فى كل مكان ... وهي وان لم تكن قد وقعت فى المحرم الا ان عمر رضي الله عنه والصحابة حين رأوا ان يضعوا للمسلمين تاريخا يؤرخون به أيامهم وسنيهم واختاروا حادث الهجرة مبدأ لهذا التاريخ اختاروا الشهور العربية ــ أو بلغة العصر الرائجة الشهور القومية بالنسبة لهم ــ شهورا يؤرخون بها ، والمحرم هو بدء السنة العربية فهو بدء السنة الهجرية اذن .. فأصبح كلما دارت السنة دورتها وبدأنا به سنة جديدة يذكرنا بسنة أخرى مرت على هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وببدء عام جديد .

فكيف اذن نستقبل المحرم وهو يذكرنا كلما اقبل علينا بهجرة الرسول واصحابه للمدينة ؟ هل وعينا ان الهجرة كانت مفتاح النصر على المشركين فاحتفلنا بذكرى هذا النصر كما تحتفل الأمم بامجادها ؟ هل عنينا بتذكير اولادنا وتعليمهم معنى الهجرة ولماذا هاجر الرسول وكيف احتمل هو وصحابته صنوف الألم والعذاب ومرارة الاغتراب فى سبيل الدفاع عن العقيدة التي هي اغلى شيء ، او يجب ان تكون اغلى شيء لدى الانسان؟ هل انتهزنا هذه الفرصة فتعلمنا وعلمنا أولادنامن خلال حوادثها روح التضحية والاقدام فى سبيل عقيدة الانسان ، فى سبيل الحق الذى يؤمن به ويدافع عنه ؟ ونحن فى غمار الاحداث الجسيمة التي تمر بنا فى اشد الحاجة الى ان نستلهم هذه المعاني ونربي اولادنا عليها .

هل فكرنا فى مصير هذا الدين على ايدينا وفيما نقدمه له من خدمات او من لكمات وطعنات وقد عرض الرسول وصحابته انفسهم للموت فى سبيل نشره ورفع رايته ؟ .

هل عرفنا انه ميراث ورثناه ويجب ان نحافظ عليه والله شاهد علينا ماذا نفعل به او له ؟ .

كنت وجهت نظر المسلمين فى كلمة مذاعة ، وفى هذا المكان من المجلة أيضا ــ ايام الاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية ــ الى ما يغرقون اويذوبون فيه من تقليد فى الاحتفال بمناسبات غيرهم ، وقلنا هل يجاملكم غيركم ويحتفل بمناسباتكم الخاصة .. ؟ واليوم نعيد السؤال .. ولكن مع كلمة صريحة ومرة .

اننى أتساءل ــ والاسف يعصر قلبي ــ هل رآنا غيرنا نعني بأيامنا وأمجادنا حتى يجاملنا ؟ اذا كان أصحاب المناسبة وأهلها لا يعنون بها فكيف يعنى بها غيرهم ممن لا تهمهم هذه المناسبة ؟ حقا ..

اذا أنت لم تعرف لنفسك حقها   هوانا بها كانت على الناس أهونا

ثم تقويمنا الهجرى أين هو وأين مكانه فى تأريخنا لرسائلنا وأيامنا وحوادثنا ؟.

لقد كان التاريخ المعتمد حين كان المسلمون أقوياء وكانت لهم دولة فلم يكونوا يعرفون التاريخ الميلادى ولا يؤرخون به حوادثهم وايامهم .. والتاريخ الهجرى كلما دوناه فى رسائلنا وجعلناه محددا وضابطا لاحداثنا وايامنا كان دائما مذكرا لنفوسنا بهذا الحادث وكنا على صلة مستمرة بمعانية .

ان تقويمنا الهجرى مرتبط بديننا وعقيدتنا ورسولنا وذلك كله يرتبط به تاريخنا وتقوم عليه حضارتنا وأمجادنا ونستمد منه قوتنا وصلابتنا . فهو ليس مجرد تقويم لذكرى دينية لارتباط لها بحياتنا فى الماضي والحاضر والمستقبل . ان الغرب لم تقم له حضارة مستمدة من دينه كما قامت حضارتنا فى الماضي ونأمل ان تقوم فى الحاضر والمستقبل . فحادث الهجرة اذن جزء لا ينفصل عـن حياتنا .. فكيف ننساه أو نهمله اللهم الا اذا انسلخنا من المعانى التى تربطنا به ، وبنينا حياتنا بعيدا عنه وعما يتصل به؟ انها غفلة او غفوة لا نزال فيها بتخدير الاستعمار وقوته وفرضـه على حياتنا نظاما خاصا .. ولكن ألا نقول اننا صحونا .. استيقظنا .. فلماذا لا نتخلص من كل مخلفاته وآثاره ونعود أمة اسلامية شكلا وموضوعا ظاهرا وباطنا ؟ .

قد يظن بعض الناس ان هذا أمر سهل وأننا نسير مع العالم حيث يسير .. وكان من الممكن ان اقول كما يقولون ولا اشغل نفسي وأشغلهم بهذا الحديث لولا ما اعرفه ويقرره علماء الاجتماع من ان التبعية فى أية ناحية من النواحي مهما تكن صغيرة انما هي من ضعف شخصية التابع ، وأن اهمال اى انسان لخصائصه ومقوماته واحداثه وتاريخه وتقليده لغيره دليل على عدم شعوره بكيانه وشخصيته وقيمته فى الحياة .. وان الذى يتهاون فى الصغير يتهاون فى الكبير ..

فهل نرضى بذلك .. والى متى ؟ ..

تلتبس فيها السبل ، وتعالى الرئيس على مرءوسه ، فلا يسمع منه ولا يلقى باله اليه ، ولا يضع حتى رأى مرءوسيه موضع المناقشة والحوار ، وانه هو وحده الذى بيده مقاليد الفكر والرأى والتوجيه كأن به عنجهية امرىء القيس حين يقول متبجحا :

ما يملك الناس منا حين نملكهم
كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا

وانتشر المرض فى صفوف المسلمين جميعا فلا يسمع صغيرهم لكبيرهم ولا يسمع كبيرهم لصغيرهم ، وزحف هذا المرض الى غرف الدراسة نفسها فأفسد الجيل وخلق فيهم روحا متمردا فى مواجهة الرواد الذين يعطونه خلاصة تجاربهم ، ويقدمون لهم افاويق المعرفة ليحملوا من بعدهم عبء ما حملوا ، فضاع امر المربين وانزوى بيت شوقي الخالد المضيء منطويا على نفسه .

قم للمعلم وفه التجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولا

ومما صح عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى توجيهاته النبوية وقد اخذت الدعوة الاسلامية اهبتها للتطبيق فى نشأة المجتمع الاسلامي الوليد ، تحديثه عن مجتمع عبرت به الايام قد انهارت قوائمه ، واندثرت معالمه حين توالدت بين افراده هذه الظاهرة السلبية التي تتكرر فى كل وقت وتطل براسها بين حين وحين حتى اذا ما غلظت واشتدت واستوت على سوقها لم تترك مرفقا من مرافق المجتمع الا ملاته بجراثيمها ، وامتصت منه فعاليته وايجابيته ، ومما اورده فى هذا المقام هو (انه لما وقع بنو اسرائيل فى المعاصي ودخل النقص عليهم فى دينهم نهاهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ولم يمنعهم العصيان عن مخالطتهم ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ففرق كلمتهم وشتت شملهم وتلا عليه السلام قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) .

هذا ويجب ابراز أمرين اثنين كانا ابدا ودائما وما يزالان مثار لبس ، ومدار تساؤل ، وداعية استفتاء واستفسار ، اولهما ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما كانا يوما من الايام احتكارا لطائفة دون اخرى ولا وقفا على اناس غير آخرين ، وانما هو امر مفروض على كل من يتعرف الى المعروف انه اهين او انزوى او اهمل او انعزل عن مجالات الحياة والسلوك والتعامل ، وان المنكر قد احتل مكانه واعتادته النفوس فلا تغضب لحق اهتضم ولا تثور لظلم ارتكب ، ولا تهب مدافعة حتى نقضى عليه وليس ثمة من انسان حتى ولو كان متبديا لا يعرف المعروف بفطرته او يتعرف عليه ان شاء ، وثاني الامرين ان المعروف والتواصي على الامر به ، وان المنكر

والتواصي على النهي عنه ، امر مستقل بذاته لا يغني عنه في مقامـه صـلاة او صيام او زكاة ، فرعاية الاسرة وحياطتها وتوافر الضمانات لها ، وتنشئة الابنـاء تنشئة تتوازن بها شخصيتهم وينبثق شبابهم عن نفوس تعرف كيف تتحمل التبعات ، وكيف تشق طريقها مستعينة بالله ، مستمدة من هداه وكلمة حق ترد بها ظالما او تشد بها ازر مظلوم ، ورعاية مصالح الناس وتبصيرهم بأسلوب قضاء حوائجهم وافساح المجال لذوى المواهب ان يتصدروا الصفوف الاولى ، او ليس ذلك كله معروفا او ليس الاغضاء عنه والتنكر له منكرا وزورا .

ولو علم القادة والرواد والمربون ، وكل من يتصدى لقيادة الشعوب او يحمل امانة توجيهها ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم اشد لزوما واعظم وجوبا حتى يرتفع الى مستوى منازلهم وما يلون من مناصب او يحرزون من جاه .. لو علموا هذا لعرفوا ان الاسلام يشـدد النطاق حولهم لان الفساد الذى لا يمكن اتقاؤه ، والفتق الذى يصعب رتقه هو ذلك الفساد الذى ينبثق من القمة وينحدر الى السفح ، وقد جعله القرآن وسيلة من وسائل انتقام الله وغضبـه حيث يقول الحق (واذا اردنا ان نهلك قريـة امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرنا تدميرا) .

وبعـد

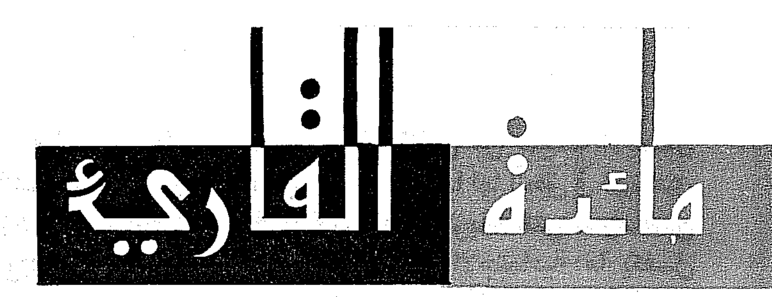
فان مسؤولية التناصح قد اشتقت وجودهـا من الاخوة الانسانية وعـلت صيحتها فى الناس من صيحة الايمـان العليا ، فهي وحدها لها الحق فى ان تنادى فى الناس بالآية الكريمة التي تسرد مـن القيم الانسانية والاجتماعية ما يكفـل وجود المجتمع المثالي الرشيد ، وما يحقق احلام الفلاسفة الذين اتعبوا رئتهم وهم يصيحون بالعالم الافضل والغد الاسعد . يقول الله وهو أصدق القائلين (لا خـير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصـدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسـوف نؤتيه أجرا عظيما) .

الخلق السياسي فى الاسلام

لما نشب الخلاف بين الامـام علي ومعاوية ، ارسل ملـك الروم الى معاوية يستعديه على الامام علي ، فقال : لقد عجبنا مـن جرأة صاحبك عليـك ، وطمعه فيما بين يديك وما هو لذلك بأهل ، فان شئت امددناك بجيش لا يمس عنـدك حتـى يصبح علي ورجاله فى قبضـة يدك .

فرد عليه معاوية ردا أفسد عليه خطة السوء ، وما دبر لـه من شر فقال :

أما بعـد .. فمـا أنا وعلي الا اخـوان نتنافس فضـلا ، ونستبق خيرا ، ولئن عدت الى مثل ما ذكرت لألحقن بصاحبي ، ولآتينك مـن قبلـه على رأس جيش يكون أوله عندك وآخره عنـده ، فـلا أبيت ليلتي حتى أورثـه مـن الأرض مـا تحت قدميك » .



صفة رسول الله

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق هجرته الى المدينة بخيمة أم معبد ، وكان معه ابو بكر ، ورائده عبيد الله بن أريقط فاستراح قليلا ، ثم انصرف ، فلما حضر زوجها ابو معبد قالت له : مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت ، وكيت . قال : صفيه . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاء ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لـم تعبه ثجله (ضخامة البطن) ولم تزر به صقلة (نحولة الجسم) ، وسيما ، قسيما ، فى عينيه دعج (شدة سواد العين فى شدة بياضها ،) وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل (بحة فى الصوت) ، وفى عنقه سطع (طول) ، وفى لحيته كثاثة . أحور ، أزج ، أقرن (مقرن الحاجبين) . ان صمت فعليه الوقار ، وان تكلم سما وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس ، وأبهاه من بعيد ، وأحسنه من قريب . حلو المنطق ، فصل ، لا نزر ولا هذر . كأن منطقه خرزات نظم يتحدرون . ربعة ، لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه العين من قصر . غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدا . له رفقاء يحفون به ، أن قال أنصتوا لقوله ، وان أمر تبادروا الى أمره . محفود محشود (يخدمه أصحابه ويعظمونه) لا عابس ولا مفند .

قال ابو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره بمكة ماذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست صحبته ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا .

ســوارا كســرى

ادرك سراقة بن مالك مبعوث قريش رسول الله فى طريق الهجرة ، فدعا عليه النبي فساخت قوائم فرسه فى الارض ، فطلب الامان فأمنه رسول الله وقال له : كيف بك اذا لبست سوارى كسرى ؟

فلما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه استدعى سراقة فالبسه السوارين ، وقال له : ارفع يديك وقل : الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الاعرابى .

فى ديوانية أبى أيوب

لما هاجر رسول الله الى المدينة أقام فى الطابق الاول من بناية أبى ايوب حتى بنى مسجد الرسول ومساكنه فانتقل اليها .

فقال ابو ايوب : قلت يا نبى الله : بأبى أنت وامي ، اني لاكره وأعظم ان أكون فوقك ، فاظهر انت فكن فى العلو ، وننزل نحن ، فنكون فى السفل ، فقال :

يا أبا أيوب : انه أرفق بنا وبمن يغشانا ان نكون فى سفل البيت .

بين عمر بن الخطاب وأسماء بنت عميس

لما قدمت أسماء بنت عميس من أرض الحبشة، قال لها عمر بن الخطاب : يا حبيشية سبقناكم بالهجرة . فقالت : اى لعمرى لقد صدقت ! كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم، وكنا البعداء الطرداء . أما والله لآتين رسول الله فلاذكرن ذلك له ، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ان رجالا يغمزون علينا ، ويزعمون انا لسنا من المهاجرين الأولين ، فقال رسول الله : بل لكم هجرتان ، هاجرتم الى أرض الحبشة ، ونحن مرهنون بمكة ، ثم هاجرتم بعد ذلك الى المدينة .

مسجد قباء

« .... لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » .

(قرآن كريم)

تاريخ الهجرة

كان وصول رسول الله المدينة — على أرجح الاقوال — يوم الأثنين الثانى عشر من ربيع الأول .

حيلة السيدة أسماء

قالت أسماء بنت أبى بكر لما هاجر أبى مع رسول الله احتمل ماله كله ، فدخل علينا جدى ابو قحافة ، وقد ذهب بصره فقال : والله اني لاراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قلت : كلا يا أبت انه ترك لنا خيرا كثيرا . قالت : فأخذت أحجارا ، فوضعتها فى كوة فى البيت ، ثم وضعت عليها ثيابا ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال ، فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس ، اذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفى هذا بلاغ لكم .

قالت أسماء : لا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت ان أسكن الشيخ بذلك .

الرسول على مشارف قباء

لما أشرف رسول الله على قباء رآه رجل من اليهود ، فصرخ بأعلى صوته . يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء ، فهرول المسلمون يستقبلونه فرأوه صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل نخلة ومعه ابو بكر ، فلما زال الظل قام ابو بكر فأظله بردائه ، فعرفه المسلمون عند ذلك .

حسان يشدو

وقد نزلتْ منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلّتْ عليهم بأسعد
نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وان قال في يومٍ مقالةَ غائب	فتصديقُها في اليوم ، أو في ضحى الغد
ليَهْنَ ابابكر سعادةُ جَدّه	بصحبته ، من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَدِ

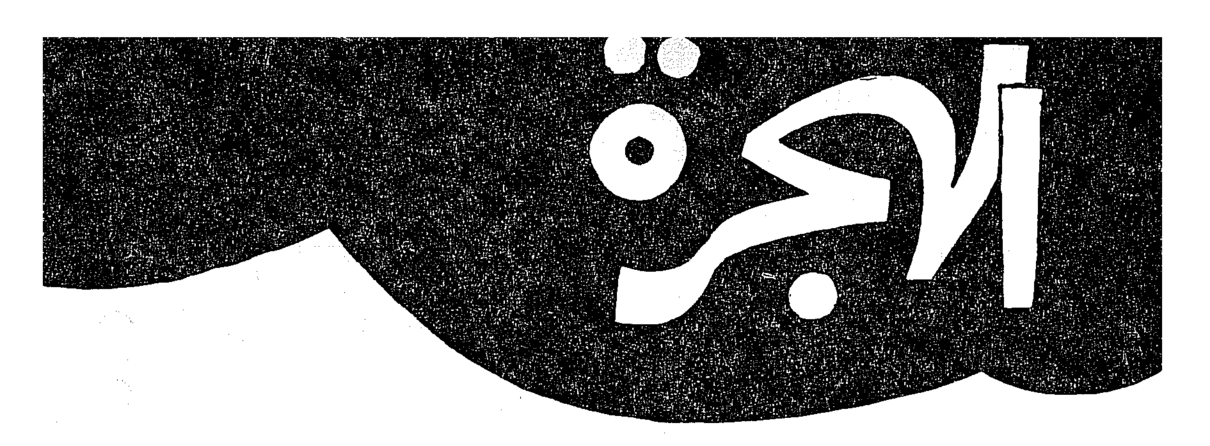


للاستاذ يوسف زاهر

أنقذَ اللهُ مصطفاهُ الأمينا   ويحكمْ يا قريشُ ما تصنعونا ؟ !
قد مكرتمْ به ، ولله مكرٌ   ويَدُ اللهِ فوقَ ما تمكرونا !
وجمعتمْ لقتلهِ كُلَّ جمعٍ   أين ولّى ما كنتمْ تجمعونا ؟ !
أين مَن حاصروا النبي بليلٍ   أين فتيانُ مكةَ الخمسونا ؟ !
جل ربي آمنتُ باللهِ ربي   مَن أذلَّ الطغاةَ والظالمينا
رَمْيَةٌ بالترابِ أرسلها الها   دي أدالتْ قوًى وأعشتْ عيونا
ونسيجٌ من نَسجِ أضعفِ خلقٍ   صار حِصْناً على الرسولِ حصينا
وحمامٌ على فمِ الغارِ حاكى   أسداً يحرسُ الحِمَى والعرينا

* * *

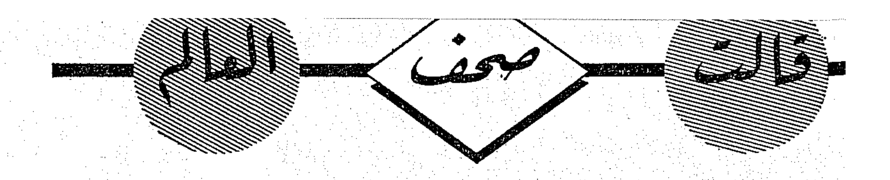
مِلْءُ سمعِ الوجودِ هجرةُ طه   سيِّدِ الخلقِ خاتمِ المرسلينا
ذكرياتُ الجهادِ ينسخها الما   ضي كما ينسَخُ اليقينُ الظنونا
وجهادُ المختارِ يبقى على الدهـ   ـر ، ويزهو على ممرِّ السنينا
ويمر البِلَى عليه ويمضي   خاسئ الطرفِ حائراً مفتونا
وله العذرُ فالشموس اذا ما   أشرقتْ في الضحى بهرنَ العيونا
كيف يقوَى البِلَى على نسخِ ماضٍ   كان نصراً ، وكان فتحاً مبينا ؟!
قبسَ الغربُ نورَه فترقّي   وتحدّى الوجودَ والعالمينا
وعفا الشرقُ عن هداه طويلاً   فسقاه الزمانُ ذُلاً وهُونا



أينما سِـرْتَ آنَـذاكَ تُلاقـي ... ما يُثيرُ الأسى ويُوري الشجـونا
أممـا تعشـق الخمولَ ، وأخرى ... تعشـق اللّـهْوَ ، والهوى ، والمجونا
وشـعوبا تـرى السيادةَ كفـرا ... وشعوبا ترى « الحمايـةَ » دينا ! !
وتَظلُ الزمانَ ترسـفُ في القَيـ ... ـدِ ، وتحنى لآسريهـا الجبينـا
جردتهـا السنون من ثورة الحـ ... ـر فيا بِئسَ ما جنته السنونـا

★★★

أيهـا اللائمُ السنينَ : رُوَيْـداً ... تلك ـ واللهِ ـ حجـةُ العاجزينـا
هـل يهـدُّ الزمانُ بنيـانَ قومٍ ... ركَّزوا تحتـه أساساً متينـا ؟ !
او تنـال الخطـوبُ من مجدِ قوم ... وقفـوا حـول مجدهم ساهرينا ؟ !
ما غزا الغربُ بالحسام ، ولكـن ... هاجر الغربُ نحـونا ، وبقينـا
هجـرةُ الغربِ مَلَّكَتْـهُ علينـا ... وَأرَتْنَـا من العـذابِ فنونـا
وَسَقَتْهُ الشرابَ شـهدا مصفـى ... وَسَقَتْنَا الشرابَ مـاءً وطينَـا ! !
آنَ يا قـوم أن تُفيقـوا من النو ... مِ ، وأن تهجـروا الوَنَى والسكونا
إن هذي الحياةَ أضحَتْ سباقـاً ... فـاز فيـه الأوائلِ السابقونـا
أذكروا هجـرةَ الرسول ، ففيها ... عِبرٌ تَحفِزُ النُّهَى واليقينـا
أذكروها تَعلمُوا كيـفَ تحيـو ... نَ كُماةً ، أعِزَّةً ، أكرمينـا
أذكروها ، اذكروا . فما أحوجَ الشر ... قَ اليهـا ، وَأفقـرَ المسلمينـا



- الاسلام دين علم
- الازهر جامعة المسلمين الكبرى
- دروس اجتماعية من درس جامعي

الاسلام دين علم

نشرت مجلة رابطة العالم الاسلامي كلمة تحت هذا العنوان بقلم فضيلة الشيخ محمد بهجت البيطار نقتطف منها ما يلي :

ان الحكومة في الاسلام هي روح الحق الصريح ، ومن مميزات الحكومةالاسلامية أن قوانينها مبنية على النصفة والعدل ، (لا ضرر ولا ضرار) أى لا بالنفس ولا بالمال ، بخلاف القوانين الوضعية التي تبيح كثيرا من الضرر بالنفس والعقل والعرض (ومنها) أن القوانين البشرية التي يضعها أمثالنا لا تخلو من خلل أو شطط ، ومن أمثاله : فتح أبواب الميسر والمسكر والبغاء أمام الناس ، وذلك مدد قوى فى احداث الجرائم وزيادة المظالم ، وتكثير السجون والمحاكم ، بخلاف الشريعة السماوية التي تدعو الى ازالة ذلك كله « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه » كما ورد فى الحديث (ومنها) أن الشرائع الالهية مصحوبة بقوة تنفيذية فى قلب الانسان ، ووازع نفسي يحمله على مراعاتها سرا وجهرا ، بخلاف هذه النظم الموضوعة (ومنها) أن التمسك بالفضائل واجتثاث الرذائل هو الذى تدعو اليه الاديان ، وهو الذى لا يختلف مهما اختلف الزمان والمكان ، وتغيرت الشعوب والأقوام .

الازهر جامعة المسلمين الكبرى

تحدث الدكتور محمد عبد الله ماضـي وكيل الأزهر الى مندوب الملحق الديني لصحيفة الجمهورية القاهرية حديثا تناول فيه صفحات مجيدة من تاريخ الازهر فى الريادة الدينية جاء فيه :

فى يوم مبارك ميمون من أيام شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ أراد الله لمصر أن تكون مركز الاشعاع الروحي للمسلمين ، وقبلة لطلاب الثقافة الدينية من شتى انحاء الارض ..فقد افتتح فى ذلك اليوم الجامع الأزهر الذى صار فيما بعـد جامعـة المسلمين الكبرى ومعهدهم الثقافي العتيق .

ومنذ ذلـك اليوم البعيد المجيد والازهـر قائم برسالته ، مضطلع بمسئوليته يشع فى الدنيا كلها نور الايمان ، والمعرفة ، ويحمل علماؤه ومبعوثوه الى كافة الأقطار مبادىء الاسلام وتعاليمه ، ويستقبل فى رحابه أبناء العالم الاسلامي الذين تجلت عليهم نعمة الله اذ جعلهم من المستجيبين للتوجيه الالهي والهدى الرباني فى قولـه تعالى « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهـم » .

ولم تقف علاقة الأزهر بطلابه الوافدين اليه من بلدان العالم الاسلامي عند مجرد تلقين العلم او منح الشهادة ثم تتفرق بهم سبل الحياة ، وانما تجاوزت العلاقة هذا

الحد الى تنمية الروابط والصلات بين الأزهر وسائر الشعوب الاسلامية بواسطة هؤلاء الخريجين الذين كانوا يرجعون الى أقوامهم وقد ارتبطوا بالأزهر عن طريق الروح والايمان ، ففاءوا الى أوطانهم ومعهم نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا .

ولم يقصر الأزهر فى تزويد الوافدين اليه بمختلف الثقافات والعلوم ، فالى جانب دراسة الدين الاسلامي واللغة العربية ، كانت تدرس علوم الحياة جميعها ، اذ وفد اليه كثير من العلماء بعد أن عفت معاهد بغداد وقرطبة ، فغدا الأزهر مركز الدراسات الاسلامية العامة والمسئول عن حياطة الدين واللغة .

ومن هنا كانت مسئولية الأزهر امام كافة المسلمين الذين أحاطوه بعواطفهم ، واستودعوه آمالهم ..باعتباره المنارة التي تتعلق بها أبصارهم ، ومركز الاشعاع الروحي الثقافي لهم .. ومن هنا أيضا كان حرص الأزهر على النهوض برسالته خلال هذه القرون العشرة .. رغم ما استهدف له فى بعض الأحيان من عسف وعنت واضطهاد .

واذا كان الأزهر قد انتابه فى فترات من تاريخه بعض ما أصاب الحركة الفكرية كلها من التدهور خلال محنة الاحتلال لمصر - فانه استطاع أن يكون ملاذا أخيرا للتراث الاسلامي ، ومعقلا حصينا للغة العربية - لغة القرآن الكريم ، يدرأ عنها عادية التدهور الخطير ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين .. وتمكن الأزهر مع ذلك أن يبقى بابه مفتوحا لطلاب العلوم الاسلامية والعربية حتى انزاح كابوس الاحتلال فعاد الأزهر يمارس نشاطه وفاعليته فى هذا المجال ويحمل الى الناس رسالة العلم والايمان.

دروس اجتماعية من درس جامعي

أبعدت جامعة بيروت أحد اساتذتها الاجانب لأنه وزع نصا على طلاب الجامعة تضمن رأيا للقديس توما الاكويني ، فيلسوف الكاثوليكية الايطالي فى القرن الثالث عشر فى الاسلام ونبيه واتباعه كله ذم وتشهير ، وقد تناولت مجلة الحوادث البيروتية هذا الموضوع ، فقالت :

تعالوا نتأمل رأى القديس توما الاكويني فى الاسلام ، ونحكم اذا ما كانت حرية الفكر أو حتى حرية التعليم ، تصاب بمكروه ، فيما لو لم يدخل البرنامج المقرر .

فالبرنامج يستهدف دراسة القديس توما الاكويني دراسة خاطفة ، لأنها فى مادة التربية أو الثقافة العامة ، وليست فى مادة الفلسفة او مادة الأديان المقارنة . وما دام الامر كذلك ، فأية فائدة للطلاب من معرفة رأيه فى الاسلام ، وهو رأى لا يدخل فى نطاق فلسفته الشمولية للمسيحية ولا للكون ، بل هو رأى لا يدخل فى نطاق أية فلسفة ، وهو أقرب الى ان يكون حملة سوقية او شتيمة توجه الى دين آخر ؟ أجل ان رأى توما الاكويني فى الاسلام ، ذلك الذى وزعته الجامعة على طلابها . واعتبرته مادة تدرس وتحفظ ويسأل فيها الطالب يوم الامتحان ، لا مجرد رأى فى بطن كتاب يوضع مع غيره من آلاف الكتب على رفوف مكتبة الجامعة ، نقول ان هذا الرأى ليس برأى الفيلسوف توما الاكويني ، وانما هو رأى المتعصب لدينه ، يرشق الآخرين بحجر دفاعا عن دينه ، خشية على دينه فى فترة من التاريخ عرفت صراعا محتدما بين المسيحية والاسلام . انه حملة موجهة الى العامة لصرفها عن الاسلام ، فلا هو نتيجة درس وتحليل ، ولا مقارعة الحجة بالحجة ، عدا أنه يستخف بالتاريخ استخفافا لا نظير له .

ومهما يكن من أمر ، فقد أكدت لنا سيدة عربية من سوريا ، أكملت تحصيلها العالي فى جامعة كاثوليكية بالولايات المتحدة الامريكية ، ودرست توما الاكويني أكثر من سنتين ، فلم يرد رأى الاكويني فى الاسلام يوما من الأيام ، لا على لسان أستاذ ، ولا فى محاضرة توزع على الطلبة .

وان للاميركان أكثر من جامعة فى العالم . لهم فى القاهرة مثلا جامعة . فهل رأى الاكويني فى الاسلام مادة تدرس فى جامعة القاهرة الامريكية . واذا كان الجواب بالنفي - وهو طبعا بالنفي - فلماذا « اختصت » جامعة بيروت الامريكية بهذه العناية .

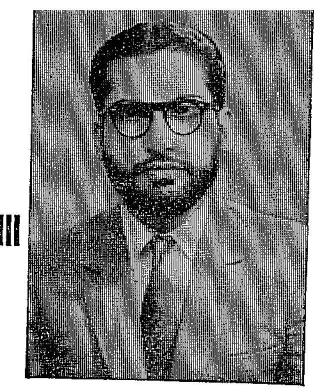
من أعلام الإسلام في الهند

الشيخ احمد السرهندي

الملقب بمجدد الألف الثاني ٩٧٧ هـ - ١٠٣٤ هـ

للاستاذ محيى الدين الالوائي

المدرس بجامعة الازهر



يرجع فضل انتشار الاسلام ، واللغة العربيــة فى شبه القارة الهنديــة ، أولا وبالذات ، الى دعاة مصلحين من العرب والهنود ، الذين تشبعوابالدعوةالاسلامية وتبحــروا فى الآداب العربيــة . وكان العرب هم الذين حملوا لواء الاسلام الى الهنــد اولا ، وتبعهم فى سبيل نشره المسلمون الهنود ، الذين تفقهوا فى العلوم الاسلامية ، وتمكنوا فى اللغة العربية ، حتى اصبحت الهند احدى المراكز الهامة للثقافــة الاسلاميــة ، وعرف علماؤها بشغفهم بالعلوم الدينية واللغة العربية ، وقد خرجت فطاحل العلماء الذين لهم صفحات مجيدة فى تاريخ خدمــة العلم والدين .

ونظرا للصلات الروحية والتاريخية الوثيقة بين مسلمي الهند وتاريخهم ، وبين اخوانهم العرب ، الذين كانوا طليعة الدعوة الاسلامية فى الهند،وحملة مشاعل النور والعرفان فى ربوعها ، نقــدم الى القراء الكرام بين الحين والآخر علما من اعلام الدعوة الاسلامية فى القارة الهندية، وذلك تعريفا بالدعوة الاسلاميةوتطوراتها فى هذه البلاد المترامية الاطراف ، وتنويها بجهود دعاتها المخلصين ، ومساعيهــم المتواصلة لاعلاء كلمــة الحق فى مجتمع ملئ بانواع من الخرافات والترهات ، بقلوب حازمة ونفوس متفانية فى سبيل ربها . وحديثنا الآن عن عالم عظيم لقب بمجدد الالف الثاني من الهجرة .

نشأتــه

نشأ الشيخ احمــد بن عبد الاحــد الفاروقي السرهندى ،فى الربع الأخير من القــرن العاشر للهجــرة فى أيام حكــم الأمبراطورالمسلم المغولي العظيم «اكبر» ، ولقب الشيخ احمد بلقب السرهندى ، نسبة الى بلده « سرهند » الواقعة بين دلهي عاصمة الهند الحديثة ، وبنجاب . وكان الشيخ منذ طفولتهمكبا علىتحصيل العلوم الدينيــة مــن المنابع القرآنيــة والنبوية ، حتى تهذبت نفسه وتفتحت عيناه علىما صارت اليهالدعوةالاسلامية فى الهند منانحطاط وتقهقر بسبب انهماك الحكــام المســلمين فى توطيد ملكهــم ، وانفاق الاموال فى الترف والبذخ ولذائذ العيش ، وتسرب الوهن والضعف الى صفوف علماء الدين ، فتداركت هذه الحالة رحمة من رب العباد ، اذ قيض لها هذا الامام المجاهد العالم الصوفي ، فشمــر عن أذيالــه لتهــذيب نفوس المسلمين ومقاومة الفتن ، ونشر تعاليم الدين الحنيف .

جهاده

ونستطيــع ان نشير الى ثلاث نواح هامةمنجهاد الشيخ السرهندىوسعيه.

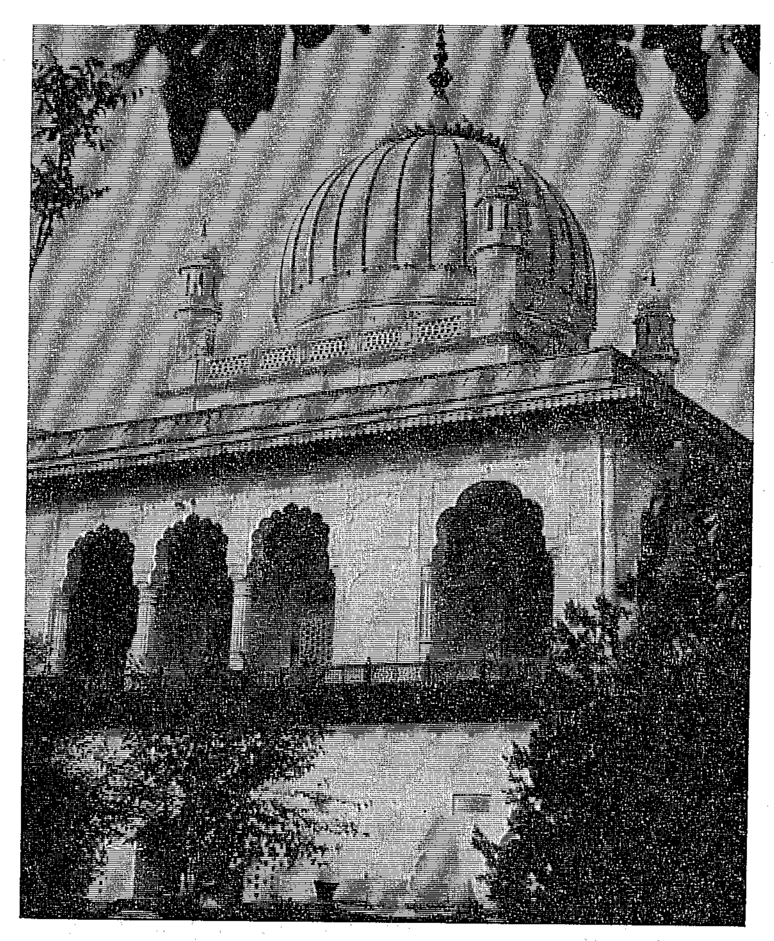
أولا : فقد فهم بثاقبفكره وواسع اطلاعه ان المسئولية الاولى فى سبيل نشر التعاليم الاسلاميــة الحقــة والمبادىء القرآنية الخالصة ، تقع على عواتق علماء المسلمين ، كما أن تبعات النكبات التي يصاب بها المسلمون منذلة وهوان ترجع فيمــا ترجع الى علمــاء السوء الذين يتهافتون على حطام الدنيا الدنيئــة ، مصداقا لقوله عليه الصــلاة والسلام (صنفان من امتي اذا صلحا صلح الناس كلهم ، واذا فسدا فسد الناس كلهم . العلماء والأمراء) فجاهد جهادا مشكورا للكشف عن بدع وأباطيل علماء السوء ووقف قلمه للرد على ما ابتدعوه ونسبوه الى الدين الحنيف جهلا أو اهمالا .

ثانيا : ــ قــام الشيخ السرهنــدى بخــدمات جليلة وجهــود مشكورة فى سبيل اصلاح الأمراء والحكام الذين فى أيديهم شئون الحكومة ، ويتصرفون فى امور الأمة وكان يقول دائما فى خطبه وعظاته ورسائله ومقالاته « الناس على دين ملوكهم فاذا صلحوا صلحت البلاد والمجتمع،والا فسد المجتمعبحذافيره» . ولهذا كان يوجه اهتمامه الخاص نحو اسداء النصائح لحكام البلاد والمتصرفين فى شؤون الامة ، ونجحت مساعيه نجاحا باهرا ، وأثمرت شجرة جهاده ، فآتت اكلها طيبة تسر قلوب المؤمنين .

ثالثا : بعد ان أدى الشيخ واجبه فى المهمتين السابقتين ، وجه اهتمامه البالغ الى محاربة البدع والمنكرات ، وابطال العقائد الفاسدة، ونقض اقاويل اصحاب الخرافات،وترى كتبه ورسائله مشحونة بالبحوث القيمة فى بيان تعاليم الاسلام نقية من شوائب الشبهات ، وواضحة بحيث يسهل فهمها لكل من شرح الله صدره للاسلام .

ومن اهم الجماعات المسلمة التي قام الشيخ السرهنــدى بالرد على بدعهــا واباطيلها طائفة من الصوفية الذين تأثروا بفلسفة البراهمة والأفكار الاخرى غير الاسلامية ، حتى اصبحوا يهربون وراء العقائد الباطلة ، والمزاعم الفلسفية،وقلما يهتمون باحكام الشريعةوأوامرها . وكان كل اعتمادهم على الاخبار والاقاصيص التي يحكيها شيوخهم ، ولو كانت لا تمت الى التعاليم القرآنية بصلة ، ورد الشيخ على فكرة وحــدة الوجــود والحلــول والاتحاد وغيرها مما يقول به اولئكالذين يتسمون بسمة الصوفية فى عصره .

وكان الشيخ السرهندى من انصار التصوف الاسلامي الخالص الذى ترجع اصوله الى المنابع القرآنيــة والنبوية ، وقد نشأت بعده طريقةصوفية منسوبة اليه،ومعروفة باسم «الطريقة المجددية» وكانت ابعد الطرق الصوفية عن البدع والخرافات فى اول الأمر ، ثم لم تلبث ان تطرقاليها الغلو بأيدى القائلين بالكرامات الخارقــة للعادات ، وعزوا الى الشيخ اعمالا واقوالا وهو منها برىء . ويوجد اتباع عديدون للطريقة المجددية فى كلمن الهند والباكستان وافغانستان .



ضريح المغفور له الشيخ احمد السرهندي بمدينة سرهند بالهند

وقد أشرنا من قبل الى ان نشأة الشيخ كانت فى ايام حكم الامبراطور المغولي« اكبر » . وقد تبوأ «أكبر» عرش الملك سنة ٩٦٤ للهجرة واستمر حكمه لمدة خمسين عاما الى ان وافاه الاجل المحتوم سنة ١٠١٤ هـ ، وتضاربت آراء المؤرخين المسلمين وغيرهم فى نظرة هذا الملك الى الاسلام ، فمنهم من يدافع عنه وعن أعماله ، ومنهم من ينكر تصرفاته واعماله من وجهة نظر الاسلام (١) ، وفى مقدمة اعماله التي يعتبرها ناقدوه جريمة شنعاء فى حق الاسلام .

١ ــ اعلانه دينه الجديد باسم «الدين الالهي » المبني على مقتبسات من التعاليم الاسلامية ، ومن المراسم الهندوكية وجعل شعاره « الله اكبر » «٢»

٢ ــ تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقاليدهم فى ملابسه وطرق معيشته ، ادعاء منه بأن هذه الطريقة تقربه الى قلوب أهالي البلاد ، وتوطد دعائم امبراطوريته .

---

(١) انظر تقييما وافيا لعقيدة اكبر وموقفه من الاسلام فى نظر المؤرخين فى كتاب « تاريخ الاسلام فى الهند » للاستاذ عبد المنعم النمر من صفحة ٢١٦ ــ ٢٢٣ . وسترى كيف كان فرح اعداء الاسلام بتصرفات هذا الملك ودفاعهم عنه .

(٢) لا بالمعنى المفهوم لدى جميع المسلمين ولكن بتحريف يناسب اسم هذا الملك « اكبر » .

٣ ـ تزوجه من بنات الملوك الهنادكة مع بقائهن على عقائدهن الوثنية،وادائهن شعائر ديانتهن فى القصر الملكي ، وتخصيصه لهن غرف العبادة الوثنية فى قصره .

٤ ـ استبداله بالتقويم الهجرى تقويما جديدا يبتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، باسم « التقويم الالهي » .

الفتنة الاكبرية

وقام جمهور من العلماء والفقهاء فى وجه هذا التيار الجارف ، وقاوموا هذه البدع والمنكرات باعتبار أن الاسلام لا يقرها وانها خرق لتعاليمه البينة ، ولكن لم يثبت بعض العلماء أمام جبروت سلطانه القاهر ، ولم يستنكروا صنيعه هذا، بل أقروه عليه وقدموا عريضة اليه باللغة الفارسية تخوله الحق فى ان يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الاحكام ما يريد . ولما رأى الشيخ السرهندى المجاهد هذه الفتنة الكبرى وأدرك ان هذه المحنة لا يثبت فيها الا الصابرون والمصابرون ، وقف موقفا مجيدا أمام هذه المحنة الشاقة واعتبرها بلاء مبينا ، ونزل فى ميدان الجهاد المزدوج ضد طغيان الملك ودعوته الضالة وفى وجه علماء السوء(١) الذين لم يتحرجوا من اقراره على ضلالته .

وكان الشيخ بمثابة فجر انبثق عند اشتداد الظلام وصبح مشرق انبلج عند ازدياد الحلكة ، كما جرت سنة الله فى خلقه ، وبدأ ظلام الباطل ينقشع امام نور الحق وشمس الهداية . وكان شأنه شأن القابض على الجمر فوقف الرجل المجاهد فى وجه هذا الطغيان وحزبه بقلب حازم وعقل واع . وايمان راسخ ، وكلمة الحق رائده ونور الهداية قائده ومجد الاسلام بغيته .

واستمرت الفتنة الاكبرية ــ ان صح هذا التعبير ــ من اواخر القرن العاشر الى منتصف القرن الحادى عشر للهجرة . وبعد ان تولى الملك ابنه « جهانكير » فى سنة ١٠١٤ هـ اشتدت هذه الفتنة وصار عدد من كبار العلماء والفقهاء عرضة للاضطهاد حتى امر الملك « جهانكير » بزج الشيخ السرهندى فى السجن، فوضع فى سجن بمدينة « كواليار » فى الهند الوسطى ، وقد كانت هذه الحادثة نقطة تحول فى تاريخ الدعوة الاسلامية فى الهند . اذ لم يمض الا أيام قلائل على دخوله السجن حتى صار شعلة يستضيء منها الجناة والعصاة داخل السجن ، فهداهم الله على يديه وصاروا يأتمرون بأوامر الشيخ ، ويصلون ويدعون الله للمغفرة ، وتابوا توبة نصوحا ، ورجعوا الى الحق حتى صار السجن كله مظهرا لعبادة الله والأخلاق الفاضلة ، سواء منهم المسلمون او غيرهم . فلما علم مدير السجن هذا التحول العجيب الذى حدث فى السجناء

(١) كان زعيمهم ابو الفيض واخوه الفضل الناقوري وكان العلماء يرمونهما بالزندقة والالحاد .
« الوعي »

بفضل هذا الشيخ الوقور،كتب الى الملك عن تفاصيل هذا الحدث الخطير ، وقال فى رسالته المرفوعة الى جلالتـه ان الشيخ السرهندى لم يعد نقمة علـى الدولة ولا على الملك بل هو نعمة مـن الله ، فلا يصح ان يزج بأمثاله فى غياهب السجون ، اذ لا تجود الأيام بمثله الا قليلا ولذلك ارجو من جلالتكم السماح باطلاق سراحه .

ولما اطلع الملك جهانكير على رسـالـة مدير السجن ، وعلم حقيقة الشيخاصدر امره للافراج عنه فورا ، وارساله الى البلاط الملكي بكل تقدير واحتـرام . وعندما قرب موكب الشيخ الى العاصمة الملكية أرسل جهانكير ابنه وولي عهده شاهجهان للترحيب بمقـدم الشيـخ ورفقائـه بكل حفاوة وتكريـم فنـزل معززا مكرما فى ضيافة « جهانكير » فى القصر الملكي .

وقد جرت العادة المتبعة فى تلك الأيام ان يسجد الناس امام الملك حينما يحضرون الى مجلسه ولكن الشـيـخ الجليل حضر الى الملك ، وسلم عليهوعلى حاشيته بتحية الاسلام ولم يسجد له بل ولم ينحن امامه .

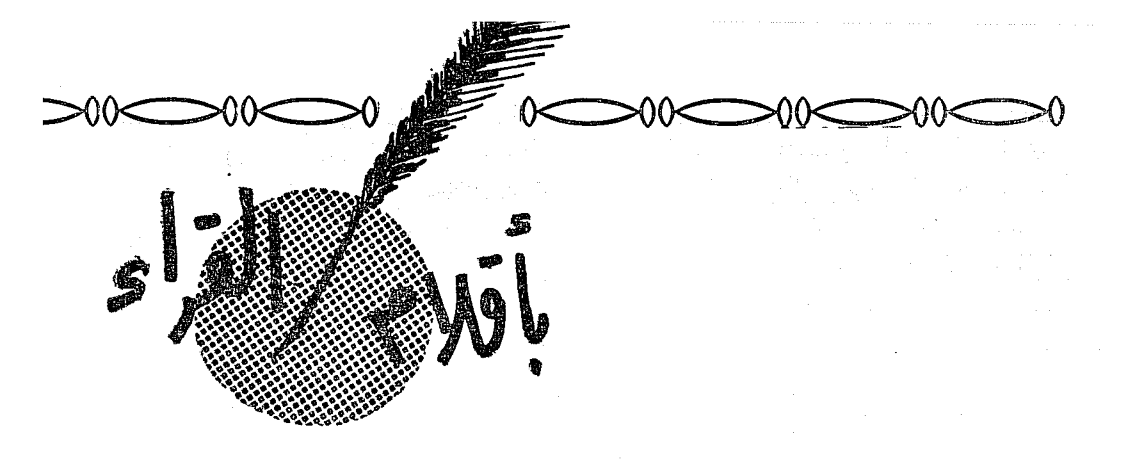
وكان من البوادر الطيبة من الملك ان عرض عليه الاقامة فى قصره لكي يتسنى له ان ينتفع بنصائحه ويتبرك بمجلسه ، فبقي الشيخ اياما فى القصر يسدى الى الملك ووزرائه وحاشيته مواعظه البالغة ونصائحه القيمة ، فكان من نتائجمساعيه الجميلة ان تفضل الملك بنفسه باصدار المراسم الملكية بالغاء كثير مـن البدع والمنكرات التي سادت البلاد ، ومنها ما ابتدعها ابوه نفسه او ما أقره هو .

وبفضلجهودالشيخ اصدر «جهانكير» امرا بتحريم السجود امام الملك تعظيما له ، وكذلك أبطل جميع القوانينالمعارضة للتعاليم الاسلامية ، وعين قضاة مسلمين فى كل بلدة ، كما أنه اذن بذبـح البقر الذى قد منعـه ابوه « اكبر » ارضاء لعواطف الهندوس ، ـفحصلت بهـذا التحول المبارك نهضة جديدة ، ويقظة شاملة فى المجتمع الاسلامي فى الهند ، وخطت الدعوة الاسلامية خطوة موفقة الى الامام ، واستبشرتبه قلوب المؤمنين وفاضت فيوض هذا الشـيـخ العالـم المصلح علـى المسلمين فى طول البـلاد وعرضها .

وفـاتـه

وواصل الشيخ السرهندى المجاهد دعوته بين جميع طبقات الامة واتباعه ومريديه ، وكان يكاتب الامراء والرؤساء فى المصالح الحكومية والجيش ، يدعوهم الى اتباع الحق ورفع كلمته ، ويحارب البدع والمنكرات فى كـل مكان الى ان كللت مساعيه المشكورة بنجاح منقطع النظير ، وظهرت آثار دعوته فى أرجاء البلاد . وتوفي الشيخ احمد بن عبد الاحـد الفاروقي السرهنـدى سنـة ١٠٣٤ هـ . فى اواخر حكم « جهانكير » ابن اكبر . وقد ذاع صيته فى الآفاق بلقب « مجدد الالف الثاني » .ودفن جثمانه الطاهر فى مدينة « سرهند » ، ومازال قبره هناك مزارا للناس .

سقى الله ثراه ، وأفاض عليه مـن فيوض رحمته على ما قدمه من صفحات مجيدة فى تاريخ الاسلام فى الهند .



لا بد من اتباع محمد

تلقينا من الاستاذ عبد الله عقيل الديك ـ من الاردن مقالا تحت هذا العنوان عرض فيه للثورة الدينية والفكرية والاجتماعية التي احدثها الاسلام فى العرب خاصة والانسانية عامة بأسلوب سهل ممتع نقتطف منه ما يلي : ـ

وكم يطرب الانسان حينما يرى أن رسالة الاسلام لم تهمل شيئا يعود على البشر بالخير الا طرقته . ولقد استمدت تشريعها من طبائع البشر.نحتت من ذلك ما يضع حدا للشرور ويقوى عمل الخير . والله سبحانه وتعالى وهو المثل الاعلى تحمل صفاته القدسية كل وسائل الاغراء ليعمل البشر على مثالها فهو رب العزة اذن يدعونا لان نكون أعزة فلماذا نحن أذلاء ؟ .... وهو المؤمن ويجب أن نكون مؤمنين فلماذا نحن قليلو الايمان ؟ .. وهو المهيمن ويجب أن نهيمن فلماذا يهيمن علينا ؟ .. وهو الجبار ويجب أن نكون جبارين على الجبارين فلماذا يتجبر غيرنا علينا ؟ ... وهو غنى ويجب أن نكون أغنياء فلماذا نحن فقراء ولماذا ندعو الى الزهد ونهيم به ؟ ... وليس في أسماء الله الحسنى ما يشعر بالضعف والفقر أو يدعو اليهما . بل كلها تشير الى القوة والعزة والغنى . وهى جميعا خير مشجع لبناء اسمى شخصيات الامم . ومنها يجب ان نستمد ذخيرتنا للنهوض والتطلع للسمو الالهى ... ولذلك علينا أن نعتبر كل فكر يدعو للفقر والقناعة والزهد غير صادر عن الفكر الاسلامي ويتنافى مع سمو رسالته .... واتسمت رسالة الاسلام بطابع الحرية الفكرية التي أسبغت على المعمور جوا جميلا من التسامح الديني بلغ حدا لا يخطر على بال الانسان . حتى ان الفيلسوف النصرانى الكندى بعث برسالة لابن عم الخليفة يدعوه فيها للتنصر دون أن يخشى على حياته منه أو من الخليفة .. ولقد شجع الرسول عليه الصلاة والسلام اصحابه على أن يجهروا بآرائهم وشكوكهم .. وحارب التفرقة ودعا الى الالفة والاتحاد . وندد بالخلافات والطوائف المختلفة . ودعا الى البر والاحسان والعدل والانصاف ومساواة الناس أمام القانون . ومحاربة الفقر . ويصعب على المدقق ان يجد فكرا من الافكار العالمية التي سادت بعده أو تسود الآن العالم الا ويجد له جذورا في الرسالة المحمدية . وما عهد النهضة الاوروبية ومبادىء النهضة الفرنسة والانظمة البرلمانية والاتجاهات التعاونية والنهضات العالمية الا صدى لفلسفة نشوء الاسلام ونمو طبيعى لشعار رسالة «اقرأ»

سيد الشهداء / الحسين بن علي رضي الله عنه

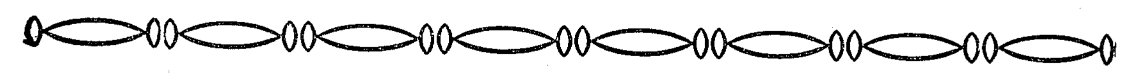
وبعث الاستاذ محمد اسماعيل العيسوى ــ المدرس بمدرسة التجارة الثانويـة للبنات بالاسكندرية ــ بقصيدة تحت هذا العنوان نقتطف منها

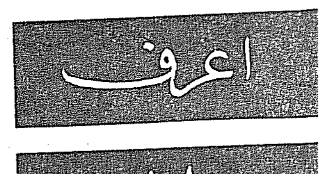
أحسين يا سبط النبى محمد ... وابن البتول وسيدا من سيد
ذكراك للتاريخ مجد خالد ... بل شعلة يسعى اليها المهتدى
كانت حياتك صفحة وضاءة ... وسجل فضل من سطوع المولد
أو ليس جدك يا حسين محمد ؟ ... فأتيت للدنيا عظيم المحتد
وتوسم الجد الكريم حصافة ... قد زانها زين الشباب الامجد
فأحبك المختار حب بنوة ... فنشأت عفا طاهرا لم تعتد
فى ذمة الديان نفس جاهدت ... فى جرأة وبساطة وتجلد
حتى التقى بالله جل جلاله ... فى جنة الفردوس مأوى السجد

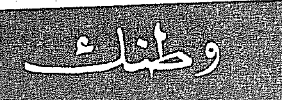
هل آن للجيل الطيب أن ينقرض

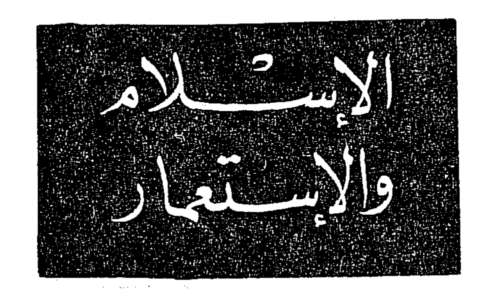
وتلقينا كلمة تحت هذا العنوان للاستاذ عبد الله خليل شبيب ناظر مدرسة الصديق الثانوية برأس الخيمة نقتطف منها ما يلي :

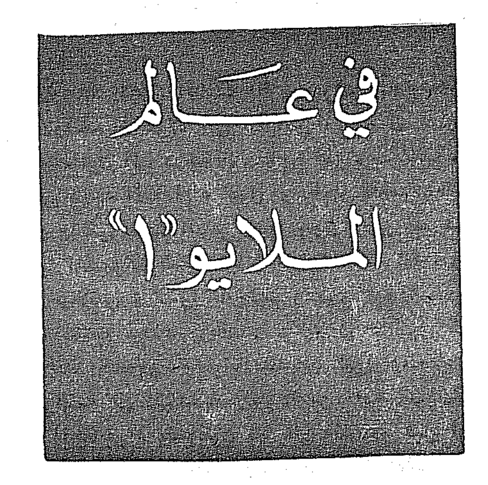
يخيل لكل أولئك الضالين المضللين أعداء الاسلام ان هذا الجيل الطيب الذي يعرف ربه ويعمل لدينه ويمت بأقوى الاسباب الى تاريخه وامجاده يخيل لاولئك ان هؤلاء الى انقراض ، ولسان حالهم يقول : ما هؤلاء الا كهول وعجائز طيبون الى درجة الغفلة متداعون الى درجة الانهدام ، فقراء ــ غالبا ــ الى درجة العدم ، قليلون ــ فى بعض الاماكن والاحيان ــ الى درجة الانعدام ، كهول قربوا من الشيخوخة، وناءوا بما يحملون من أعباء ، أو شيوخ حنى ظهورهم الزمن وأخنى عليهم الدهر وهم يدبون الـى قبورهم دبيبا ، وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فلقوا غيا ، فكانوا تماما كما أراد لهم أئمة الضلالة تلاميذ نجباء لابليس وجنوده من الجن والانس ، نسوا تاريخهم ودينهم ، وداسوا أمجادهم ومفاخرهم ، وهزأوا بفضائل آبائهم ، واستهانوا بمنبع مجدهم ومصدر عزتهم فى ماضيهم ــ بقرآنهم المجيد ، واتخذوه وراءهم ظهريا وسقطت أخلاقهم وتدنت هممهم فأولعوابالتافه من القول والعمل ، ونسوا الله فانساهم أنفسهم والبسوا كل ذلك أثوابا مبرقشة من التقدمية ونحوها من نغمة أصبحت مملولة مكرورة ، واتخذوا لذلك شعارات زائفة لا تتعدى الحناجر ، يضحكون بها على أنفسهم قبل أن يضحكوا على الناس أو على رب الناس ــ تعالى ــ (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم ، وما يشعرون . في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون ، واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) . هؤلاء هم جند الشيطان ممن احتنكهم من ذرية آدم ، وكل منهم ــ من بعد ــ جندى عامل في جيش أعداء الاسلام من الصهيونيين والاستعماريين والضلاليين ، يطعن امته في ظهرها بخنجر مسموم ويمهد لعبوديتها وعبوديته معها لعدوه الالد . ولكن هل صحيح ان الجيل الطيب الى انقراض وان كل خلفه ضالون ؟ نترك جواب هذا السؤال الى الضمير الاسلامي فى أمة الاسلام ، وللمساجد التي تغص بالرعيل بعد الرعيل ، وللوعي الثاقب فى افكار شبيبة الاسلام شرقا وغربا (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (والله غالب على امره ، ولكن آكثر الناس لا يعلمون) .











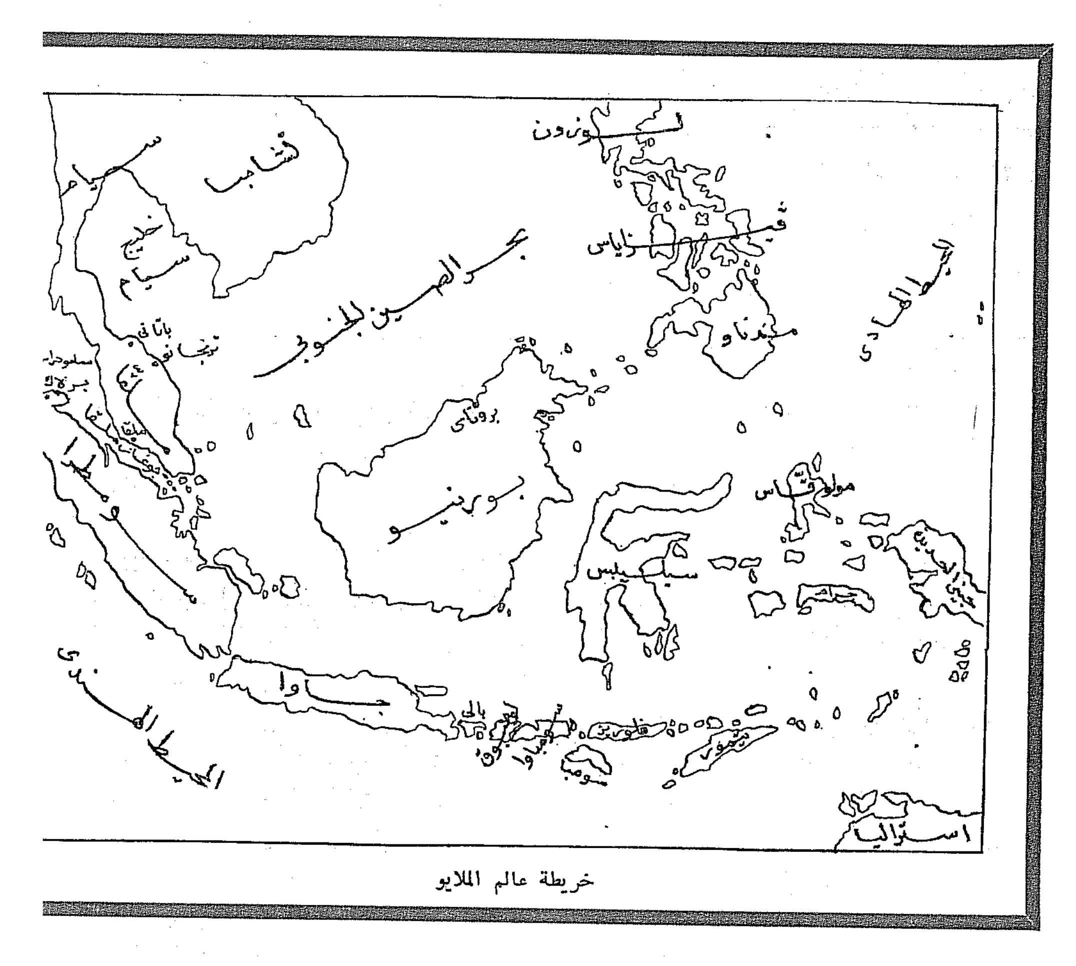
للدكتور
محمد عبد الرءوف
مدير المؤسسة الاسلامية فى نيويورك

كانت المنتجات الزراعيـة التي تجلب من أرخبيل الملايو هامة للغايـة لبـلاد أوروبا وبخاصةالتوابلالتي كانت أوروبا تسـتخدمها فى حفظ اللحـوم ، وكانت التجارة فى هذه البضائع تمر فى طريقها الىأوروبا ببلاد الشرقالاوسطالاسلامي، اما عن طـريق البحـر الاحمـر فمصر فالبحر الابيض المتوسط أو عن طريـق الخليج العربي ثم تنقل برا الى أوروبا ، وفى عـام ١٤٩٨ م أفلـح الاوروبيون فى كشف طريق آخر الى الشرق وهو طريق رأس الرجاء الصالح .

ولما وصل الاوروبيون الى بلاد الشرق من الطريـق الجديد وجدوا العـرب مسيطرين على التجارة هناك فحسدوهم على ما لهم من مكانة مادية وأدبية ،وعملوا جهدهم على أن يسلبوهم ما فى يدهـم وعلى أن يحلوا محلهم عن طريق القوة أو السلام ، فأقاموا لأنفسهم محطـات تجارية على طريق الهند بالمحيط الهندى وبدأوا يستعمرون الهند وما وراءها .

ولقد شاءت الاقدار أن يكون السبق لسكان شـبه جزيـرة ((ايبيريا)) مـن البرتغال وأسبانيا حيث كان الاسـلام دولة مجيدة زاهرة ، ثم دالت قبـل اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح بعد حروب طويلة طاحنة بـين المسـلمين والمسيحيين ، تركت فى النفوس ضغائن وأحقادا وفىالقلوبجراحا وآلاما ، لم تكن قد ضمدت بعد عندما بدأ البرتغاليون

يريد الكاتب بعالم الملايو شبه الجزيرة المعروفة الآن بالملايو ومـا يليها شرقا وجنوبا من جـزر تشمل سنغافورة واندونيسيا والفلبين الـخ .. وقد سبق نشر مقالين عنعالم الملايو للكاتبالفاضل فى العددين الاول والرابع من السنة الاولى .



خريطة عالم الملايو

والاسبان يجوبون ربوع الشرق الاسلامي ويستعمرون البلاد ويذلون العباد ، فنقلوا كراهيتهم لمسلمي الشرق الاوسط الى اخوانهم فى الشرق الاقصى فعذبوهم واضهدوهم حين وجدوهم لا يرحمون طفلا بريئا ولا أما شفوقة ولا شيخا ضعيفا ، حتى انهم لم يرعووا عن اشعال النيران فى سفن الحجاج المسالمة واغراقها بمن فيها من نساء وشيوخ وولدان ، وان أحداث هذا الفجور والطغيان ومساءات المسلمين على أيدى هؤلاء مما يشيب له الوليد مما لا يتسع لتفاصيله المقام ، فلنكتف بهذه الاشارة ، ولنعد الى قصة الاستعمار والمستعمرين بأرخبيل الملايو.

وصل الاسطول البرتغالي الى مياه « ملكا » على الساحل الغربي لشبه جزيرة الملايو عام ١٥٠٩ م ، وبدأ البرتغاليون يتحرشون بسلطان « ملكا » ثم ضربوا المدينة وسلطوا عليها مدافعهم ونيرانهم ، ودافع المسلمون عن بلادهم دفاعا مجيدا ، غير أن من كان بالمدينة من غير المسلمين من أجانب هنود أو نحوهم ائتمروا مع العدو ضد صالح البلاد التي أكرمتهم واستضافتهم وأثروا عن طريق خيراتها ، فاستطاع البرتغاليون أن يقتحموا المدينة ويستولوا عليها فى أغسطس عام ١٥١١ م . وسمحوا للقادرين من الدخلاء أن يخرجوا من

البلاد سالمين بتجاراتهم وأموالهم مكافأة لهم على غدرهم ، وما أن خلت البلاد منهم حتى صدرت الاوامر بقتل كل من بالمدينة بلا استثناء والاستيلاء على أملاكهم واموالهم ، كما صدرت الاوامر بهدم جميع المساجد وهدم قبور السلاطين ليبني المستعمرون من أنقاضها كنائسهم وقلاعهم .

وبعد سقوط ملكا لأقل من عشر سنوات وصل الاسبان الى شواطىء الجزر التي أطلقوا عليها « الفيلبين » تيمنا باسم ملكهم « فيليب » ، فضربوها بمدافعهم وسلطوا عليها نيرانهم فى غير ما شفقة ولا رحمة ، وأكرهوا الناس على اعتناق المسيحية فسقطت السلطنات الاسلامية بالجزر الشمالية بعد دفاع مجيد ، وكان من بين من استشهدوا « الملك سليمان » الذى كانت سلطنته تقع فى مكان « مانيلا » عاصمة الفيلبين الحالية ، لكن المسلمين فى جزيرة منراو ، وأرخبيل ، وصولو صمدوا للعدو ولم يبالوا به رغم تفوقه العظيم فى السلاح ، ورغم استخدامه ضدهم بني جلدتهم ممن سقط فى أيديهم وانضم اليهم ، مما سبب أحقادا لا تزال آثارها باقية الى الآن ، وظل هؤلاء المسلمون المكافحون محتفظين بسيادتهم واستقلالهم رغم ما عانوا من بؤس وفقر وموت وشقاء طوال القرن السادس عشر وما بعده ، حتى طرد الاسبان من البلاد على يد الامريكان فى نهاية القرن التاسع عشر .

أما الهولنديون فقد بدأ نشاطهم بأرخبيل الملايو فى نهاية القرن السادس عشر ، بعد أن استقلت هولندا عن اسبانيا وشرعوا ينافسون غيرهم فى تجارة الشرق بنجاح وتفوق ، وأنشأوا لأنفسهم محطات تجارية فى جزيرة جاوا وغيرها من الجزر التي تكون الآن أندونيسيا ، كما تعاونوا ضد البرتغاليين مع سلطنة جوهور فى جنوب الملايو التي قامت على أنقاض ملكا ، ثم انتهى النزاع بانتصار الهولنديين واستيلائهم على ملكا بعد أن طردوا البرتغاليين منها عام ١٦٤١ م ، وبذلك أصبح الهولنديون سادة الموقف حتى ظهر الانجليز فى الميدان ، فاستولوا على جزيرة « بناتج » فى الشمال الغربي لشبه جزيرة الملايو فى عام ١٧٨٦ ثم على جزيرة سنغافورة عام ١٨١٩ م ، وظلوا يناوئون الهولنديين هنا وهناك حتى عقد الطرفان معاهدة بلندن عام ١٨٢٤ أطلقت يد هولندا بمقتضاها فى جميع جزر أندونيسيا ، كما سلمت لبريطانيا « ملكا » فكونت منها ومن بناتج وسنغافورة مستعمرة أسمتها « مستعمرة المضايق البريطانية » ، كما أطلق نفوذها فى الساحل الغربي لجزيرة بورنيو الشاسعة فقسمته الى أقسام ثلاثة : الجزء الشمالي ، شمال بورنيو الانجليزي ، والجزء الجنوبي وأسمته « سرواك » وما بينهما يسمى «بروناى» .

ولا يفوتنا أن نذكر أنه أيام مجد الدولة «ملكا» كان سائر شبه جزيرة الملايو تابعا لها، رغم خصومة سيام ومحاولاتها التعدى على حدودها ، وكان امبراطور الصين يناصر « ملكا » فى خصومتها مع سيام ، فلما سقطت «ملكا» على أيدى البرتغاليين مدت سيام نفوذها على الكثير من شبه الجزيرة ، ولكن كان سلطان سيام على

بلاد الملايو يتأرجح على مر السنين ، فكانت أحيانا تفرض سلطانها كاملا عليها ، وأحيانا يضعف سلطانها فيبقى رمزيا يتمثل فى هدية سنوية يقدمها سلاطين البلاد اليها ، وهكذا بقي الحال بعد المعاهدة الهولندية البريطانية التي أشرنا اليها حتى عام ١٩٠٩ م ، حيث عقدت معاهدة بين سيام وبريطانيا ضمت سيام بمقتضاها أربع ولايات ملايوية اسلامية داخل حدودها،وأطلقت يد بريطانية فى سائر شبه جزيرة الملايو، وقد حددت هذه المعاهدة حدود اتحاد الملايو الشمالية حتى الآن .

وفى عام ١٩٤٥ م استقلت أندونيسيا كما استقلت الفيلبين فى العام الذى يليه ، وفى أغسطس ١٩٥٧ م استقل اتحاد الملايو ، وفىعام ١٩٦٣ دخلتسنغافورة(١) وسراواك وبورنيو الشمالية فى اتحاد مع اتحاد الملايو تحت اسم « ملايزيا ».

وبقيت « بروناى » محمية بريطانية ، وهكذا ينقسم أرخبيل الملايو حاليا الى وحدات سياسية أربعة هي : **أندونيسيا** وبها نحو تسعين مليون نسمة من المسلمين . **والفيلبين :** والمسلمون بها أقلية . يقال أن عددهم ثلاثة ملايين نسمة ، **واتحاد ملاييزيا** ويبلغ سكانه نحو عشرة ملايين نسمة من بينهم نحو أربعة ملايين من المسلمين ، والباقي مهاجرون من الصين والهند أو قبائل بدائية تتبع أديانا وثنية مختلفة ، وأخيرا تأتى سلطنة بروناى وهي دولة صغيرة عليها سلطان من أصل عربي وترجع أهميتها لغناها بآبار البترول رغم صغر مساحتها .

هذا موجز قصير لتاريخ الاستعمار بأرخبيل الملايو ، والذى يعنينا هو ما خلفه الاستعمار من آثار على الاسلام والمسلمين هناك ، وأول ما يلفت النظر ان الاستعمار فوت على المسلمين فى الشرق فرصة الاتحاد فيما بينهم ، فقبيل ظهور المستعمرين هناك كانت البشائر تدل على اتجاه نحو الوحدة لتقوم على اساسها امبراطورية اسلامية عظيمة لكن الاستعمار فرق مجموعة المسلمين ومزقها ، وجعلها وحدات سياسية منفصلة كما شاهدنا ، رغم انهم شعب واحد دما ولغة ودينا ، بل قد بذر الاستعمار بذور الفتنة والبغضاء بينهم ، مما نسمع عن بعض آثاره الآن من خصومة خطيرة بين أندونيسيا وملاييزيا .

ولقد أضعف الاستعمار الصلة بين المسلمين فى أرخبيل الملايو واخوانهم من مسلمي الشرق الاوسط لما يزيد عن أربعة قرون ، واستطاع بطغيانه وبطشه، أن يجعل المسلمين أقلية فى الفيلبين ، وتركهم فريسة للجهل والفقر والتعاسة، كما أدخل فى حدود دولة بوذية ((سيام)) أربع ولايات اسلامية ، يقال ان تعداد سكانها الآن يقرب من ثلاثة ملايين نسمة، ويعتبرون هناك أقلية مغلوبة على أمرها حتى أن الواحد منهم ليسمى باسمين ، احدهما اسم رسمي بوذي والآخر اسلامي يعرف به سرا لدى ذويه ، وينادى به فى المناسبات الدينية كالتلقين عند الموت .

ومن أخطر آثار الاستعمار خلط الدين بالعادة ، وذلك ان المستعمرين

---

(١) ثم انفصلت سنغافورة عن الاتحاد منذ شهور .

ارادوا أن يصدوا الناس عن مبادىء الاسلام بالمغالاة فى تمجيد العادات التي ورثوها عن أجدادهم وأسلافهم، وأدخلوا فى روعهم أن لها قداسة حيث انها تمثل تراث أسلافهم ، وكأن مبادىء الاسلام دخيلة أجنبية جلبها الاجانب من العرب، وكانت محاولات الهولنديين فى هذا الصدد واضحة ، واستخدموا فى ذلك رؤساء القبائل والعشائر التى لم تكن قد دخلت حظيرة الاسلام بعد .

أما الانجليز فقد كانت طريقتهم أدق وأخفى ، فقد نصوا فى المعاهدات التي عقدوها مع سلاطين الملايو على أن يعيش فى كل سلطنة مستشار انجليزي ، وأن على السلطان اتباع مشورته فى جميع امور الدولة ، ما عدا ما يتصل بالدين والعادات الملايوية ، وبذلك تجنبوا خطر اثارة العواطف الدينية ضدهم من ناحية ، ولكنهم فى الوقت نفسه رفعوا من شأن العادة التي اكتسبت تدريجيا أهمية وقداسة تضارع ما للدين ومبادئه، حتى أنه أسست فى كل سلطنة بالملايو ادارة حكومية يطلق عليها « ادارة الشؤون الدينية والعادات الملايوية » وحتى ليكاد يخيل للكثير أن مجموع ما خلفه الآباء : دينا كان او عادة وحدة غير متميزة . قل كله عادة ، أو كله دين . كما عمل الاستعمار ما استطاع ، ويعمل ما يستطيع نحو ايهام البعض أن اسلام القوم اسلام خاص بهم ، اسلام ملايوى ، كما أن هناك اسلاما عربيا ، وآخر صينيا، وهكذا يهدفون بذلك الى الهدم والتفريق وبلبلة الافكار .

على أن فجور المستعمرين وقسوتهم وحربهم الصارخ ضد الاسلام لم يفلح فى محو الاسلام ، بل بقي الاسلام على رغمهم ، وقد طردوا من البلاد ، وظل الاسلام دين عشرات الملايين ، ودين الدولة فى ملاييزيا وبروناي،ودين الاغلبية العظمى فى أندونيسيا ، على أن قسوتهم كانت سببا فى انتصارات للاسلام كدين — حيث أدت الى عكس ما يريدون . ففظاعة البرتغاليين فى الملايو ضاعفت حماسة الملايويين لدينهم ، وزادتهم استمساكا به ، وشجعت من كان مترددا فبادر باعتناق الدين الحنيف ، لما رأى من سماحته ووحشية أعدائه ، حتى انك لا تكاد ترى باتحاد الملايو ملايويا غير مسلم ، وحتى أصبحت « كلمة » ملايوى تستعمل مرادفا لكلمة « مسلم » ومن يسلم الآن من غير الملايويين لا يوصف بأنه دخل فى الاسلام بل بأنه « ماسوق ملايو » أى دخل فى الملايوية ، يقصدون أنه اعتنق الاسلام .

وقد بدأت مدارس التبشير المسيحية تنتشر بالبلاد فى ظل الحكومات الاستعمارية فى القرن الماضي ، ولقيت منها غاية التشجيع ، ولما بدأت هذه الحكومات تهتم بانشاء المدارس ، لسبب او لآخر ، كانت مدارسها على نمط مدارس المبشرين وكان مدرسوها ومدرساتها من بينهم ، ولم تكن تحتوى برامجها على شيء عن دين الاسلام ، الا تواريخ مبتورة مشوهة، وقد أقبل على هذه المدارس غير المسلمين من السكان ، لما تهيئه لخريجيها من مستقبل وأعمال ، بينما ضن المسلمون بأولادهم حرصا على سلامة عقائدهم .

ولقد نتج عن ذلك شيئان : أحدهما

أن عشرات الآلاف من غير المسلمين اعتنقوا المسيحية في سهولة ويسر وأصبحوا أقرب ثقافة وأكثر ميلا نحو اتجاهات المستعمر، كما أن ذلك أحدث فجوة اجتماعية واقتصادية بين المسلمين وغير المسلمين من سكان البلاد ، فان هؤلاء الذين استفادوا من التعليم الغربي أصبحوا أحسن حالا في شؤون الدنيا ملكوا زمام التجارة وكونوا الثروات الطائلة ، بينما كان حظ المسلمين ، وهم أبناء البلاد الاصليين جهلا وفقرا ومرضا .

ولما أدرك أولياء الامور المسلمون مغبة ذلك شرعوا يبعثون بأبنائهم الى هذه المدارس، لكنهم كانوا قد تخلفوا عن الركب لذا نجدهم في كثير من الاحيان دون غيرهم نجاحا(١) ، لكنهم بحمد الله سائرون على الدرب، وصادف التوفيق غير قليل منهم غير أنه نشأ عن ذلك وجود طبقة مسلمة مثقفة ثقافة غربية ، تختلط فيها التقاليد الموروثة والقيم الغربية ، والمعلومات المشوهة عن الاسلام التي يزودهم بها الكتاب الغربي المغرض ، والأمل كبير أن تصلح الاحوال وتتحسن الامور في المستقبل غير البعيد .

ولقد استقلت البلاد وأصبح السلطان ومقاليد الامور بيد حكومات وطنية اسلامية غيورة على صالح الشعب وتقاليده ، وقد كان من أول ما بادرت به هذه الحكومات توجيه العناية بشؤون الاسلام والمدارس الدينية والعربية ، وجعلت مادة الدين احدى مواد الدراسة في مدارس الدولة ويدرس الاسلام وثقافته ولغته على مستوى جامعي ، مما يبشر بتكوين أجيال مهذبة في القريب ان شاء الله ، ثقافتها ملتئمة منسجمة ، تجمع بين معرفة صحيحة بحاجة العصر ، وفهم مستنير للاسلام ومبادئه .

---

(١) هذا الموقف عينه وقفه مسلمو الهند من الاستعمار البريطاني ومدارسه وكانت النتائج مثل النتائج تقريبا في الثروة والثقافة .. لكن الهند تميزت بانشاء جامعة عليكرة فنهضت بالمسلمين على نمط الثقافة الغربية بينما كانت هناك مدارس اسلامية أصيلة محافظة قامت بمهمتها ولا تزال تقوم بحفظ مبادىء الدين وسلامة التقاليد والمفاهيم الاسلامية . « الوعى »

الشباب المخدوع

شباب العرب يا زين الشباب
ويا أشبال آساد غضاب
أرى منكم فريقا حين يمشي
يحك بانفه متن السحاب !
كليث الغاب في صلف وكبر
وليس لدى الكريهة ليث غاب !
تفنن في محاكات العذارى
وخالفهن في وضع النقاب !
ولا يخشى على شيء .. ويخشى
اذا ثار الغبار على الثياب !

محمود غنيم



بريد الوعي

يحمل البريد الى هذا الباب عشرات الرسائل يوميا من أرجاء العالم العربي والاسلامي والاجنبي ، وما كان يدور بخلدنا ان تبلغ المجلة هذه الاقطار النائية فى هذه الفترة الوجيزة من حياتها . فتصل الى السنغال وجنوب السودان وتايلاند وواشنطون والنمسا والاتحاد السوفيتي ، وترد الرسائل من هذه البلاد ، بعضها يحمل أطيب التمنيات وبعضها يعرض بعض المشكلات ، والآخر يقدم مقترحات للنهوض بالمجلة .

وانا لنعتز بصداقة أصحاب هذه الرسائل ، ونشكرهم على تمنياتهم ونكرس جهودنا لدراسة مشكلاتهم ، ونعدهم بالاخذ بالنافع المفيد من مقترحاتهم ،وما كان لهذه المجلة ان تبلغ فى عامها الاول ما بلغت من الذيوع والانتشار لولا الوعى الناضج للجماهير المؤمنة ، وثقة القراء الغالية بها ، ولعله يتاح لهذا الباب مزيد من الصفحات حتى نتمكن من الاجابة على أكبر قدر ممكن من الرسائل التي ترد اليه .

ونظرا لشعور المجلة بأنها لا تزال فى بداية الطريق ، ورغبتها الملحة فى اسراع الخطى نحو تحقيق الآمال المعقودةعليها ، بعثنا برسائل الى قادة الفكر فى العالم العربي والاسلامي نستوضحهم رأيهم فى المجلة ، ومقترحاتهم للنهوض بها .

وقد بدأت الردود تصل الينا حاملة آراء الكتاب ومقترحاتهم وبدأت ترد كذلك رسائل القراء عن الاستفتاء المنشور فى العدد الماضى . وستكون هذه المقترحات بعد استكمال ورودها موضع دراسة وبحث عاملين على تنفيذ ما يمكن تنفيذه منها .

وبمناسبة عيد الاضحى المبارك ودخول المجلة عامها الثانى تلقينا رسائل كثيرة من القراء تحمل أخلص التهانى وأطيب التمنيات ، ولا يسعنا الا شكرهم والتوجه الى العلى القدير أن يوفقنا لنصرة دينه .

جما ل الدين الافغاني

تلقينا من السيد بابكر عمر بالسودان رسالة يطلب فيها الاجابة على مجموعة من الاسئلة ونكتفي فى هذا العدد نظرا لكثرة المواد ، بالاجابة عن سؤاله عن السيد جمال الدين الافغاني .

اننا يا سيدي نذهب مذهب الذين يترجمون للشخصيات الكبيرة بسرد شيء من أقوالهم وفلسفتهم ، وسوق بعض الاحداث التي جرت لهم ، ونترك للقارىء بعد هذا أن يحكم عليهم او لهم بما شاء .

١ : ـ سئل السيد جمال الدين عن تاريخ حياته فقال : قل لمن يسأل : ان العيان لا يحتاج الى ترجمان . قل له ما قال فلان عني (وفلان هذا عدو من أعدائه) انه متشرد ، أو أفاق ، وأي نفع لمن يذكر أنني ولدت عام ١٢٥٤ هـ وعمرت أكثر من نصف قرن ، واضطررت لترك بلادى ، وأكرهت على مبارحة الهند ، وأجبرت على الابتعاد عن مصر .

٢ : ـ وعاش جمال الدين عزبا لم يقترن فى حياته بامرأة ، وقد سئل هل تؤيد رأي ابي العلاء .

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد

فقال : كلا . كيف يصح لعاقل أن يعتبر الزواج جناية ، وبه بقاء النوع واستكمال العمران ، ولكن عجزي عن القيام بواجبات الزوجية دفعني أن اتقى ذلك ببقائي عزبا .

٣ : ـ وسئل عن قلة ثيابه فقال : كنت أول عهدي استصحب جبة ثانية وسراويل ، ولكن لما توالى النفي صرت استثقل الجبة الثانية ، فأترك التي علي الى أن تخلق ، فاستبدل بها غيرها .

٤ : ـ وكان يهزأ بمبدأ « دارون » الذي يعنون له بـ (تنازع البقاء) فيقول : التنازع القائم الآن تنازع الفناء لا تنازع البقاء ، لانه تنازع على اشياء تفنى ، والمنتزع والمنازع والمنزوع منه سواء فى المصير الى الفناء .

٥ : ـ وقيل له ما رأيك فى العالم المتمدن فأجاب :

وما العالم المتمدن ؟ هل رأينا غير مدن كبيرة وأبنية شامخة وقصور مزخرفة ينسج فيها القطن والحرير بأصباغ كيماوية مختلفة ، ومعادن ومناجم ، واحتكار تجارات أتت لهم بثروات ، ثم هـل غير التفنن فى اختراع المدافع المروعة ، والمدمرات والقذائف ، وباقي المخربات القاتلة للانسان تتبارى فيها تلك الامم الراقية المتمدنة اليوم .

٦ : ـ ومن فلسفته :

ـ الحقائق لا تزول بالاوهـام .
ـ صاحب الحاجة اذا لم ينطق بحاجته أولى بالخرس .
ـ اسراف الانسان فى صحته أضر من اسرافه فى ثروته .
ـ شر الازمنة أن يتبجح الجاهل ، ويسكت العالم .
ـ القوى من الشجر لا يعجل بالثمر .
ـ العلم قد يكون فى الاحداث ، ولكن التجارب لا تكون الا فى الشيوخ .

ردود قصيرة

السيد أبو عبد الله ـ الموصل

شكرا على الطرائف التي أهديتها للمجلة ، وشكرا مرة أخرى على بيان مصادرها وسننشرها فى الاعداد التالية .

السيد ع٠ص ـ غزة

قصتك « الايمان سلاح قوى » تصور الاثر الايجابي للايمـان فى توجيه سلوك الفرد ، وقدرته على مواجهة المغريات والتحديات ونعتذر عن عدم النشر لضيق المجال .

الاستاذ ابراهيم محمد الامين ـ السودان

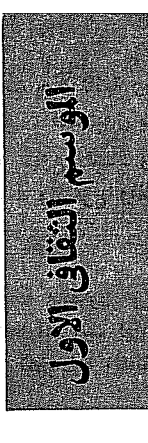
سنعمل على زيادة اعداد المجلة المرسلة الى السودان ، ونأسف لنفاد الاعـداد المطلوبة ، ونظرا لفقدان بعض الاعداد المرسلة بطريق البريد رأت ادارة المجلة عدم قبول الاشتراك فيها .

الاخ صلاح محمد علي ـ النجف الاشرف

أمير المؤمنين الامام علي كرم الله وجهه طراز فريد من الرجال وهو كما وصفت فى مقالك لا تقف عظمته عند حد . وقد ألفت فى مناقبه المجلدات الضخمة ، وهي مع ذلك لم توفه حقه من التبجيل والتعظيم ، ومن مخطط المجلة نشر الصفحات المطوية من تاريخ أبطال الاسلام . تمجيدا لهم ، وبعثا للتأسى بهم ، وسنتناول فى الاعـداد القادمة السيرة الطاهرة لامير المؤمنين .

الاخ م٠ح٠م ـ عنيزة ـ القصيم بالسعودية

تحيتك الشعرية للمجلة مقبولة مشكورة ونعتذر عن عدم نشرها لعدم استقامة وزنهـا .



* الاسلام وحل المشكلات الحديثة

* الشعر الحديث انحراف عن الاصالة العربية

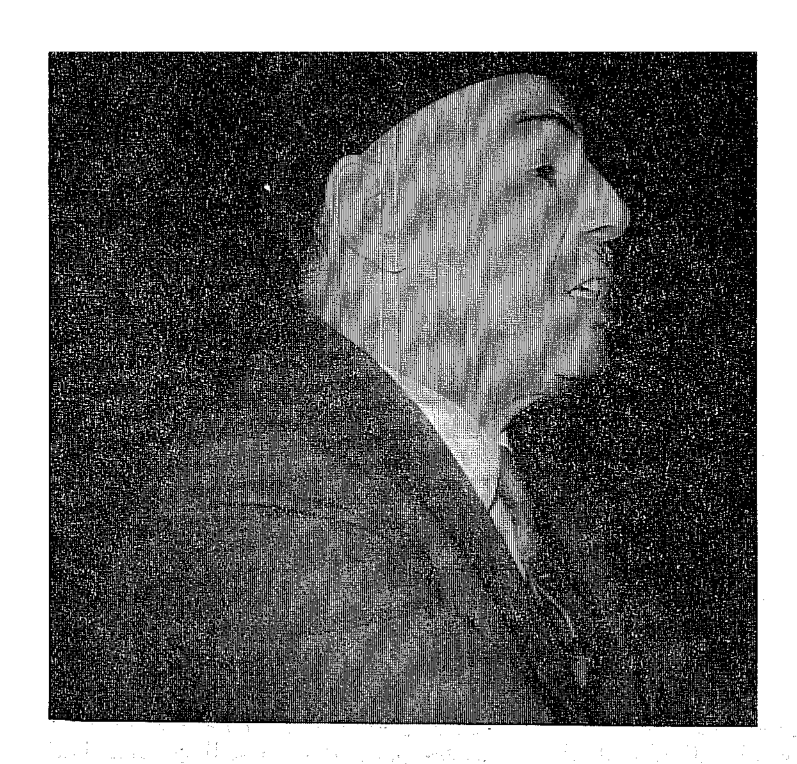
* معنى الالتزام فى الادب

حديث مع الدكتور محمد محمد

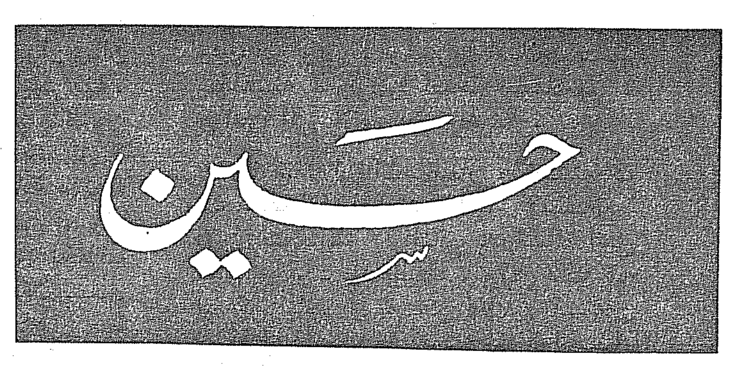
نشرنا فى العدد السابق حديثا اجراه السيد محمد ابو غوش المحرر بالمجلة مع الدكتور عبد الكريم زيدان استاذ الشريعة الاسلامية بجامعة بغداد ، أثناء زيارته للكويت للاشتراك فى الموسم الثقافى الاول الذي اقامته وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية . ووعدنا باستطلاع رأي بقية السادة المحاضرين فيما يواجه العالم الاسلامي اليوم من مشكلات .

والدكتور محمد محمد حسين استاذ الادب العربي الحديث فى جامعة الاسكندرية أحد السادة المحاضرين الذين استضافتهم الوزارة لهذا الغرض وهو من العلماء البارزين الذين وقفوا اقلامهم وألسنتهم على الدفاع عن الاسلام ، وقد القى محاضرتين فى الاسلام والحضارة الغربية .

وننشر فيما يلي الحديث الذي اجراه معه مندوبنا .



الدكتور المحاضر أثناء محاضرته فى دار الثقافة والتوجيه بالشامية عن « الاسلام والحضارة الغربية » .



تحقيق كتبه
محمد أبو غوش

كان أول سؤال وجهه للدكتور عن مدى صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات التي تواجه العالم اليوم ؟ فقال :

الاسلام صالح لحل كل مشكلة طارئة . والذى يشك فى ذلك لحظة ليس مسلما . لان معنى شكه فى صلاحية الاسلام كنظام لحل المشكلات — وهو خاتم الرسالات — اعتقاده انه لا يستطيع ان يحيا حياة الناس وهو محتفظ باسلامه ، وان عليه ان يختار بين ان يحيا وبين ان يحتفظ باسلامه ، أو بعبارة اخرى يعتقد أن عليه ان يضحي باسلامه لكي يضمن الحياة العزيزة الكريمة .

وهذه المشكلات التي يتحدث الناس عنها بعضها فني يرجع فيه الى العلوم الكونية التي تتصل بمادة الكون وطبيعة الكائنات ، ولا حرج على المسلمين ان

يبتكروا فيها ما شاءوا ، وينافسوا فيها غيرهم من الامم ، بل ان ذلك واجب شرعي مفروض عليهم . وبعضها الآخر يتصل بسلوك الانسان وعقيدته ومعاملاته وحاضره الراهن ومستقبله القريب والبعيد ، وهذا لا بد فيه من التقيد بالدين ، لان معرفة وجه الحق والخير فيه لا سبيل اليها الا بتوفيق من الله العليم الحكيم . وليس الدين في حقيقة الامر قيدا الا بمقدار ما يصح لنا ان نقول ان المنطق قيد على الفكر بمعنى انه يعصم المفكر من الزلل .

على المسلمين اذن ان يعملوا عقولهم في حل مشكلاتهم ، بشرط الا يخرجوا فيما يذهبون اليه من حلول عن حدود الاسلام ، يلتزمون ما امروا به ، وينتهون عما نهوا عنه ، وبشرط أن يراقبوا الله في كل اعمالهم ، والا ينسوا ان اعمالهم كلها امانات يحاسبهم الله عليها ، وان حياتهم في الدنيا جزء هين يسير من وجود طويل مديد . وهم بعد ذلك احرار في ان يبتكروا ما شاءوا مما لا حرج عليهم فيه . وآفة المسلمين الكبرى هي انهم يتكلمون أكثر مما يعملون ، ويتوهمون مشاكل لا وجود لها ، ثم يحاولون الاجابة عنها ، لانهم يقلدون غيرهم تقليدا أعمى . ولو نبذ المسلمون التواكل والكسل ، والخلاف والجدل ، وعملوا على حل مشكلاتهم بوصفهم مسلمين لوجدوا الامر أهون مما يتصورون . ولكنهم لا يفعلون اكثر من أن يتساءلوا : هل يصلح الاسلام للحياة ؟ ثم يختلفون حول الاجابة على السؤال . ويرون ألف باب وباب للحل الحلال فلا يلجونه ، ويقفون امام الابواب المغلقة ، ابواب الحرام ، يتساءلون : لماذا لا نلج من هذه الابواب ؟ وأقبح من ذلك انهم يتجاهلون الدين في بعض الاحيان ويحلون المسائل على هواهم ، كما يفعل الصبي العنيد حين يتجاهل نصائح ابيه ، ويحل الامور بتقليد هذا وذاك من اقرانه ، فلا يسلم من تقليد الشذاذ والمنحرفين .

قلت لسيادته . وما هي أسباب تواكل المسلمين وتجاهلهم لدينهم ، وهل كان ذلك نتيجة للاستعمار وتضليل المستشرقين فقال :

انحسر المفهوم الاصيل للاسلام حين ضعف المجتمع الاسلامي بسبب ميل المسلمين الى الدعة والترف وتخليهم عن حمل ما حملهم الله من أمانات . فشغل كل واحد بنفسه وبمصلحته وشهواته ، ولم يبق للناس من الاسلام الا ظواهر العبادة . عند ذلك لم يعد المسلم ربانيا ، وخلا قلبه من نور الدين ، وخلت اعماله من ان تكون لوجه الله ، واصبح يعبد نفسه في حقيقة الامر ولا يعبد مولاه ، فوكله الله الى نفسه والى حوله . ولا حول ولا قوة الا بالله . عند ذلك سلط الله عليهم عدوهم ، فزادهم ضعفا الى ضعفهم ، وصغروا عند انفسهم ، وعظم شأن عدوهم في وهمهم حتى صار كل ما يأتيه عندهم حسنا . فقلدوه عن وعي وعن غير وعي . وفسروا اسلامهم بمفاهيمه ، وبرروا انماطه باسلامهم . فزادوا الى بلائهم بلاء جديدا .

ولا شك ان الاستعمار والاستشراق قد ساعدا في افساد مفاهيم الاسلام : الاول بتخطيطه ، والثاني بدراساته التي تخضع لذلك التخطيط . ولكن ذلك كله لم يكن ليثمر لو لم تكن نفوس المسلمين مهيأة له بسبب ما قدمته من عوامل وظروف .

وجرنا الحديث عن الاستعمار الى التساؤل عما يتردد من ان هزيمة المسلمين عسكريا جاءت نتيجة لغزوهم ثقافيا فقال :

الواقع ان الهزيمة العسكرية والهزيمة الثقافية وجهان لظاهرة واحدة هي فساد المجتمع الاسلامي وانحلاله . بحيث يمكن أن نقول ان الهزيمة

العسكرية جاءت من تفكك المجتمع الاسلامي وانحلاله ، حين مال المسلمون الى الدعة والترف وتخلوا عن واجبهم نحو انفسهم ونحو دينهم ونحو جماعة المسلمين . فلما زالت سيادتهم زال معها اعتزازهم بثقافتهم ودخلوا فى ثقافة الذين غلبوهم واستعبدوهم . ويمكن من ناحية أخرى ان نقول ان من اسباب ضعف المجتمع الاسلامي وتفككه كثرة الثقافات الوافدة التي هزت قيمه واضعفت ايمانه ، فكان من آثار ذلك انفراط عقده وتهالكه على الشهوات .

وانتقلنا الى الحديث عن الشعر ودعوى التجديد فيه فقال :

الشعر الحديث وما يسميه اصحابه شعرا حديثا بعضه يجري فى تجديده على قواعد عروضية هي نفسها قواعد العروض العربي منسقة فى صورة جديدة . وبعضه الآخر يخرج على العروض خروجا كاملا ، ولا يقوم على نظام موسيقي واضح ، أو هو يقوم على نظام موسيقي غريب على ذوقنا العربي. والفريق الاول من هؤلاء يجددون وفيهم قدرة على الشعر العربي الاصيل . اما الفريق الثاني فهم يلبسون ثياب التجديد هروبا من الشعر الاصيل لانهم يعجزون عن تذوقه وعن انشائه . والفريقان كلاهما قد اقحما على الشعر العربي اساليب غريبة وصورا دخيلة ، تنحرف بفطرة الناشىء الذي يدمن قراءتهم بحيث يعجز عن تذوق تراثنا الطويل ، وتعزف نفسه عنه ويسوء ظنه به وبعباقرته . وهذا خطر شديد يهدد ذلك التراث الذي عاش أربعة عشر قرنا بالفناء ، ويهدد شخصيتنا العربية والاسلامية بالتميع والانحلال .

وهذه الموجة الوافدة او الهزة الطارئة ليست بدعا ولا عجبا . فالمجتمعات والفنون والثقافات تبتلي بمثل هذه الهزات ، فتموت او تستجمع قواها للدفاع عن كيانها فتزداد حياتها خصبا وقوة . وانا عظيم الثقة فى الشعر العربي الاصيل ، واعتقد انه سيخرج من هذه المحنة أشد قوة ، بل اعتقد ان بعض دعاة التجديد ممن يجددون عن قدرة واصالة سوف يعودون الى احضان الشعر العربي الاصيل . اما العاجزون الذين يتسترون تحت ستار التجديد فزبد يذهب جفاء ، ولا يمكث فى الارض.

وقد عرفنا من قبل فى الادب الاندلسي الوانا من التجديد اشبعت نزوات طارئة وارضت حاجات عارضة ، ثم لم تلبث أن زالت وبادت . فلما جاءت النهضة الادبية فى العصر الحديث على يد البارودي وجيله من الشعراء قامت على الاصول العربية الاولى الصحيحة . ولا اظن ان الحركة الشعرية الجديدة على كل ما يؤيدها من عوامل ستكون احسن حظا من الموشحات والازجال الاندلسية. ومع ذلك كله فالتجديد الاندلسى كان نابعا من واقع المجتمع الاسلامى فى الاندلس . اما هذا الذى يسميه اصحابه تجديدا فى ايامنا هذه فليس الا تقليدا لآداب اجنبية شرقية أو غربية ، فى الاسلوب والمضمون جميعا . واعجب ما فى أمر هؤلاء المقلدين للاجنبي انهم يسمون انفسهم مجددين، ويسمون الذين يحافظون على تراثهم مقلدين .

قلت ما مفهومكم لمبدأ الالتزام فى الادب ، وكيف يكون الاديب ملتزما ، وهل يمكن للاديب ان يلتزم فى ناحية ولا يلتزم بناحية اخرى . فقال :

الالتزام تعبير حديث يقابل ما يمكن ان نسميه (عقيدة) ، فالادب الملتزم او الادب المذهبى هو الادب الذى يصدر عن عقيدة صادقة راسخة تلازم صاحبها فى كل ما يكتب ، وتترك ميسمها على كل ما ينتج . والالتزام قسمان : التزام فى المضمون ، والتزام فى الاسلوب. فالالتزام فى المضمون هو التزام مذهب فكرى معين ، سواء كان هذا المذهب الفكرى نابعا عن عقيدة دينية او عن مذهب سياسى او فلسفى او اجتماعى . والالتزام فى الاسلوب هو التزام مذهب

ادبى معين او طريقة معينة فى العرض او فى التعبير . والاديب الاصيل لا بد ان يكون ملتزما فى الاسلوب ، لانه لا يكون اصيلا وناضجا حتى تكون طريقته فى التعبير قد تحددت ، وحتى يكون اسلوبه ذا شخصية متميزة لا يستطيع هو نفسه ـ لو أراد ـ ان يغيرها . اذ تصبح هذه الخصائص كالعادات الراسخة الثابتة الجذور فى النفس . اما الالتزام فى المضمون او فى المذهب الفكرى فمن الممكن ان يخضع للتغيير والتطور . كما ان من الممكن ان تكون آراء الاديب موزعة بين مذاهب فكرية شتى لا تتعارض عناصرها ، وبذلك لا يكون ملتزما لمذهب بعينه يسخر كل مواهبه الادبية لخدمته .

قلت لسيادته ـ ما رأيكم فى الحملات التي تثار حول السنة ، فقال :

التشكيك فى الاحايث النبوية الشريفة تشكيك فى الاسلام نفسه ، لان من المعروف ان كثيرا من أصول الاسلام مأخوذة من السنة عملية كانت او قولية . فكيفية الصلاة ، وعدد الركعات فى كل صلاة ، والوضوء والطهارة ، وحد شارب الخمر ، وحد الزاني المحصن ، كلها مستمدة من السنة وغير ذلك كثير . فاذا شككنا فى السنة فقد هدمنا احد الاعمدة الاساسية التى يقوم عليها الاسلام .

وأعجب ما فى امر المشككين انهم فى اغلب الاحيان من غير المتخصصين . واعجب ما فى العجب ان احدهم يجبن عن ان يقحم نفسه فيما لا يعلم من شؤون الطب والهندسة ، بل من شؤون القانون الوضعى المستجلب عن الغرب ، فلا يفتى فى القانون الدستورى ، ولا يفتى فى القانون الجنائى ، ولا فى القانون التجارى مثلا . واذا جرؤ على الافتاء فيها سكت ولم يكابر اذا رده الخبير بهذه الدراسات ولكنه يقحم نفسه فيما لا يدرى من شؤون العلوم الاسلامية . ولا يقتنع اذا رده العليم بها .

ولا بد من التنبية هنا الى خطأ الذين يقبلون الاحاديث او يرفضونها على اساس عقلى خالص ، ويظنون ان القدماء قد اخطأوا فى اعتمادهم على السند وحده ، والحقيقة ان المسائل الدينية لا سبيل الى تحقيقها الا من طريق السند ، لانها تقوم على التسليم والانقياد ، وعلى ان ما تغيب حكمته عن عقولنا احيانا لا يخلو من حكمة ارادها الشرع لنا فى دنيانا واخرانا . ان الذى يستطيع ان يحكم على الشىء بالصحة او الفساد ، وبالنفع او الضرر . هو الذى يعلم ما كان وما هو كائن وما سوف يكون . لان الحكم على الشىء فرع عن تصوره كما يقولون . وتصوره هو ادراك وجوده كله . والانسان لا يعلم الا بعض ما هو كائن ، فضلا عما كان وما سيكون . ولا يزال الناس يكتشفون فى كل يوم من الجديد فى انفسهم وفى عالمهم الارضى وفيما يحيط بهم من عوالم ، ما يدل دلالة واضحة على مبلغ جهل الانسان وضآلة معرفته . ولا يزال الانسان يقف حائرا امام اسئلة تتصل بالظواهر التى يحيا بينها ، بل تتصل بنفسه وبذاته ، فلا يجد الجواب عليها الا ظنا لا يغنى من الحق شيئا . بل لقد اثبت العلم ان حواس الانسان الخمس محدودة المدى ، وان ما ندركه من الموجات السمعية والبصرية ليس شيئا الى جانب ما تعجز بخلقتها وفطرتها عن ادراكه . والانسان مع جهله وضآلة ادراكه لحاضره لا يعرف من الماضى والمستقبل شيئا . ومن كان هذا مبلغ علمه ومنتهى معرفته كيف يسوغ له ان يقبل من حديث رسول الله الصحيح ويرفض على اساس علمه ومعرفته .!!

مكتبة المجلة

الشهيد احمدوبيللو

من غير المستطاع الالمام بكل ما كتبته الصحف والمجلات الاسلامية عن الشهيد الحاج احمدوبيللو فى مختلف انحاء العالم وجهاته . كما أن لخطورة هذا الحادث الجلل وأثره فى العالم الاسلامي أهمية بعثت على ضرورة التعجيل بفكرة اصدار هذا الكتاب .

والواقع ان ماكتب عن الشهيد احمدو بيللو ، سواء ما وصل الينا ، أو لم يصل شيء كثير يضيق به الحصر والاحصاء فقد حفلت الصحف العربية والاسلامية بأنباء استشهاده وجهاده ونضاله من أجل الاسلام والمسلمين بصفة عامة .

والكتاب الذى بين أيدينا باقة حزينة جامعة لكلمات كبار زعماء العالم وقادته ومفكريه وأدبائه فى تلك الفاجعة الاليمة ، أصدرته وطبعته فى ١٢٨ صفحة رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة ووزعت نسخه مجانا فى جميع أنحاء العالم ليطلع كل من فوق هذه الارض على سيرة ذلك البطل الاسلامي الشهيد احمدوبيللو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي ورئيس وزراء نيجيريا الشمالية .

لقد مات بللو شهيد الاسلام فى رمضان فلنذكره كل عيد فطر ولنحتسبه زكاة المجاهدين من أجل الغد الافضل للمسلمين .

لا تتخذوا القبور مساجد
ولا تجعلوا الاضرحة معابد

كتاب من تأليف الاستاذ عبد الفتاح سلامة يحارب أنواع البدع ، داعيا فيه الى التوحيد الذى جاء به الاسلام .

وقام المؤلف بتقسيم كتابه الى ثلاثة ابواب ، خص الاول منها بالمساجد موضحا الهدف الاساسي من اقامتها والثاني بالقبور والاضرحة والثالث بالنذور وانواعها .

والكتاب يقع فى ١١٨ صفحة وطبعته مطبعة السماح فى طنطا بالجمهورية العربية المتحدة .

احمد فارس الشدياق

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن وهو الكتاب الخمسون من سلسلة اعلام العرب التى تصدرها الدار المصرية للتأليف والترجمة .

والكتاب فى ٢٠٠ صفحة ويحتوى على موجز لحياة احمد فارس الشدياق وملامح عصره ورحلاته ثم مصادر ثقافته واسلامه ، وبعد ذلك يتعرض الكاتب بصورة واسعة للدور الكبير الذى لعبه الشدياق فى التاليف والترجمة والتعريب والصحافة .

وفارس بن يوسف الشدياق مسيحي من لبنان اعتنق الدين الاسلامي على يد شيخ الاسلام فى تونس وتسمى باسم احمد فارس الشدياق وقد اتاحت له اقامته بمصر تلقى علوم اللغة والادب والنحو والبلاغة والصرف والشعر على يد علمائها .. وقام بعد ذلك بعدة رحلات الى مالطة وانجلترا وتركيا وتونس واشتغل بالصحافة فأصدر صحيفة ((الجوائب)) التى نالت شهرة كبيرة فى العالم الاسلامي من الناحيتين الدينية والادبية .



شاهد زور

السؤال :

اقترض مني شخص مبلغا من المال بشهادة أحد الناس ، وعند مطالبته بالدين انكر ، فأقمت عليه دعوى فى المحكمة ، فطلب مني القاضى شاهدا ثانيا ، فهل يجوز لي شرعا أن أحضر شاهدا ثانيا ـ لم يرنى عند الاقراض ـ وذلك لتكميل نصاب الشهادة فى سبيل وصولى الى حقى .

محمد الداعوق
طرابلس ـ لبنان

الاجابة :

لا يجوز لك أن تستحضر شاهدا ثانيا لم يكن حاضرا عند اعطائك المبلغ للمقترض، ولا يبرر هذا انك صاحب حق ، وهذا الشاهد الثاني شاهد زور لانه يشهد بما لم يعلم ولم ير ، وانت يا سيدى المقصر فى حق نفسك فالله يقول (يايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا ياب كاتب أن يكتب كماعلمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) وكان ينبغى لك أن تحرر صكا بهذا المبلغ يشهد عليه شاهدان . وما دمت قد فرطت فى المحافظة على مالك ، فتحمل نتيجة ذلك ، ولا تتورط فى مخالفة اخرى .

زكاة المسجون

السؤال :

محكوم علي بالسجن لمدة ثلاث سنوات ، وعندى أموال مدخرة ، فهل تجب علي زكاة هذه الاموال ، ومن الذى يخرجها ، وفى أى مكان أخرجها مع أنكم تعلمون أني لا أستطيع مغادرة السجن.

ابو عجمية
اللاذقية ـ سوريا

الاجابة :

السجن لا يمنع من وجوب الزكاة متى توافرت شروط وجوبها ، وعليك أن توكل من يخرج زكاتك عنك ، ويوزعها على الفقراء والمساكين فى البلد الذى يوجد به المال ، هذا ان امكن التوكيل والا ظلت الزكاة دينا عليك ، تخرجها حين تخرج من سجنك ولا تنقل الى بلد آخر ، الا اذا كان هناك مصلحة كقريب محتاج .

الزوجة العاملة

السـؤال :

زوجتي تعمل فى احدى المؤسسات ، وقد أنجبت منها ثلاثة أولاد ، وأصبح من العسير عليها أن توفق بين عملها وبين رعاية بيتها وأولادها ، وتحت ضغط الظروف طلبت منها أن تستقيل من عملها ، فرفضت ، فهل يعتبر هذا الرفض منها نشوزا . وهل تستحق مؤخر الصداق ونفقة العدة فى حالة الطلاق ، وهل لي حق حضانة أولادى منها .

الاجابة :

خروج الزوجة عن طاعة زوجها يعتبر شرعا نشوزا تسقط معه نفقة الزوجية الواجبة لها عليه . وعدم استجابتها له فى الاستقالة من عملها خروج عن طاعته ، لكنه لا يسقط حقها فى مؤخر الصداق ونفقة العدة اذا طلقها الزوج ، لانها استحقت بالدخول جميع المهر عاجله وآجله ، واستحقت نفقة العدة لانها محبوسة فى أثنائها عن الزواج بغيره .

اما حق الحضانة بعد الطلاق فهو ثابت للزوجة شرعا الى أن يبلغ الاولاد السن التى تنتهي فيها الحضانة شرعا ، اذا لم يكن هناك سبب يسلب الزوجة هذا الحق ، وينتقل الحق فى الحضانة الى من يليها شرعا .

واننا ننصح الزوج بالا يتسرع فى الطلاق حفظا لكيان الاسرة ، وبالحكمة والتفاهم يمكن ازالة كثير من أسباب الخلاف التى تنشب بين الزوجين .

حمام البرج

السـؤال :

بنيت برجا للحمام ، ووضعت فيه عشرة أزواج وبعد مدة وجدت فى البرج حماما غريبا ، فهل يحل لي شرعا أكل هذا الحمام الغريب .

سيد الجاسم ـ حولي ـ الكويت

الاجابة :

اقامة هذا البرج جائز شرعا ، وكل ما يأوى اليه من حمام برى صحراوى يحل لك أكله والتصرف فيه .

أما الحمام الاهلي الذى تجده فى البرج ، فلا يحل لك أكله ولا التصرف فيه ، ويلزمك رده لاصحابه اذا عرفتهم ، وحكمه حكم اللقطة .

الزكاة غير الضرائب

السـؤال :

أملك منزلا كبيرا يغل علي دخلا شهريا ، وتجمع لي فى آخر العام مبلغ يزيد عن النصاب،ومعلوم أني أدفع سنويا للحكومة ضرائب عن هذا المنزل تزيد عن مقدار الزكاة، فهل تقوم هذه الضرائب مقام الزكاة .

محمد اسماعيل ـ طنطا ـ ج.ع.م

الاجابة :

زكاة المال واجبة متى بلغ المال نصابا وحال عليه الحول ، وتصرف هذه الزكاة لمن ذكرهم الله فى الآية (انما الصدقات للفقراء والمساكين ..) .

أما الضريبة التى تأخذها الحكومة من اصحاب الاموال فلا علاقة لها بالزكاة ، ولا تغنى عنها ، ويجب عليك اخراج الزكاة عن هذا الريع المجتمع من ايجار منزلك متى استوفى شروطه .

قضاء الصلاة

السؤال :

فاتتني الصلاة فترة من الوقت فى مقتبل عمرى ، وهذه الفترة قرابة خمس سنوات ، وظروف عملي لا تمكني من قضاء هذه الصلوات ، فهل يجوز لي أن أدفع شيئا من المال نظيرما فاتني من الصلاة ، وكم أدفع عن اليوم الواحد .

درويش العطار ـ الجهرة ـ الكويت

الاجابة :

لا يقوم مقام الصلاة المفروضة شيء ، ولا يغني عنها مال ولا عتق ولا غيره ما دام فى الانسان قدرة على أدائها بأى وجه من الوجوه ، وقد يسر الاسلام سبيل أدائها على الناس ففرضها من قيـــام على القادر عليه ، فان عجز عن القيام صلى وهو جالس ، فان لم يستطع ذلك أداها مستلقيا على ظهره او مضطجعا مع الايماء والاشارة برأسه ، او بعينه ان لم يستطع الاشارة بالرأس فان لم يقو على ذلك استعرض هيئة الصلاة على قلبه فان عجز عن ذلك كله سقط عنه التكليف ومن هذا يتبين انه لا فدية ولا كفارة عن الفوائت .

فان كانت هذه الصلوات قد فاتتك بعد بلوغ وهو سن التكليف فاستعن بالله ، واقضها حتى يغلب على ظنك انك قد قضيت ما فاتك ، وكل شيء مع خلوص النية وصدق العزيمة سهل ، والعمر كله وقت للقضاء ، وكلما عجلت كان ذلك ابرأ لذمتك ، وأدل على صدق توبتك .

تصوير المرأة العارية

السؤال :

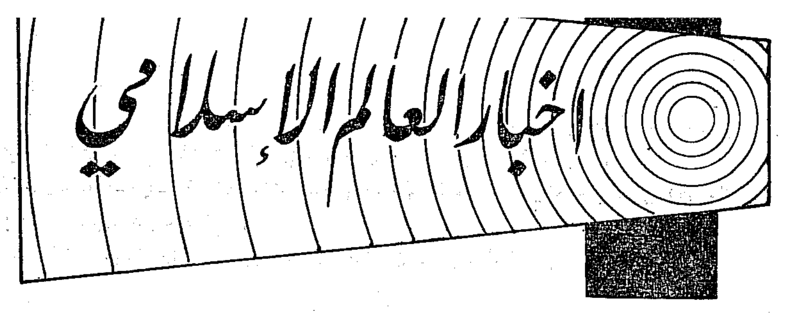
أنا رجل مهنتي مصور ، وكثيرا ما يحضر الى بعض الفتيات لتصويرهن وهن عاريات الجزء الاعلى من الصدر والظهر ، وحاسرات الاذرع ، وكاشفات السيقان ، ومسدلات الشعور ، وفى أوضاع مختلفة ، فهل يجوز ذلك شرعا .

م ـ د . السالمية ـ الكويت

الاجابة :

التصوير يستلزم النظر ، وجميع بدن المرأة عورة يحرم نظر الاجنبي اليه ، ما عدا وجهها وكفيها فانه يجوز كشفها ونظر الاجنبي اليه اذا أمنت الفتنة ، أما اذا لم تؤمن فانه يحرم النظر اليها ايضا ويجب على المرأة سترهما .

وبناء على هذا يكون تعرض المرأة لتصويرها عارية حراما ، ويحرم على المصور أن يصورها كذلك والكسب الذى يحصله من هذا العمل خبيث ، وهو منهى عنه شرعا. وحكمة التحريم واضحة لما يترتب على هذا العمل من مفاسد خلقية واجتماعية.



الكويت

زار حضرة صاحب السمو أمير البلاد ـ الجمهورية العربية المتحدة تلبية لدعوة أخيه السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، وقد استغرقت هذه الزيارة أربعة أيام تفقد فيها سموه مظاهر النهضة في البلاد ، وجرت أثناءها محادثات استهدفت توطيد العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين البلدين الشقيقين ، وقد اتسمت المحادثات بطابع الصراحة والتفاهم ، وقد استقبل سموه وودع بما يليق به من الحفاوة والاجلال .

* وجه سعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الدعوة لزيارة البلاد لكل من المهندس أحمد عبده الشرباصي نائب رئيس وزراء الجمهورية العربية المتحدة ووزير الأوقاف والشؤون الاجتماعية وفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى مدير جامعة الأزهر وكذلك للدكتور العربي الشريبي وزير الصحة والاستاذ أحمد بركاش وزير الأوقاف في المملكة المغربية .

* مر بمطار الكويت المهندس احمد عبده الشرباص وفضيلة الشيخ احمد حسن الباقورى في طريقهما الى الهند تلبية لدعوة سلطان البهرة وقد استقبلهما في المطار معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية والسيد سفير الجمهورية العربية المتحدة والسيد وكيل الوزارة ولفيف من رؤساء واعضاء البعثات التعليمية .

* وافق مجلس الأمة على مشروع انشاء الجامعة ، وستفتح أبوابها في سبتمبر القادم لاستقبال طلبة الآداب والعلوم .

* أنشات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية مكتبات ملحقة ببعض المساجد الكبيرة وستعمم هذه المكتبات في الاعوام المقبلة . وقد أهدى كل من الاستاذ عبدالرحمن العتيقي وكيل وزارة الخارجية والحاج عبد العزيز علي المطوع مكتبة قيمة للمكتبة العامة بالوزارة .

* عقد المؤتمر الطبي العربي الخامس تحت رعاية صاحب السمو أمير البلاد وحضر المؤتمر (٤٠٠) طبيب من مختلف الدول العربية وظلت فترة انعقاده من أول ابريل للسادس منه .

* صدر العدد الاول من مجلة البيان التي تصدرها رابطة الادباء الكويتية ـ حافلا بالبحوث الادبية ـ نتمنى للزميلة التوفيق .

القاهرة

* اقام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية حفلا تكريميا لسعادة عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية بالكويت أثناء زيارته للقاهرة ، وحضر الحفل فضيلة الامام الشيخ حسن مامون شيخ الجامع الازهر ، والاستاذ السيد يوسف وزير التربية والتعليم ، والمهندس احمد عبده الشرباصي نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف والشؤون الاجتماعية ، وفضيلة الشيخ احمد حسن

الباقوري مدير جامعة الازهر ، والسيد احمد الفتو زعيم مسلمي الفلبين ، والامير صقر القاسمـي أمير الشارقة والاستاذ عبد العزيز العلي المطوع وغيرهم من كبار الشخصيات الاسلامية .

* تقيم وزارة الاوقاف مسجدا ضخما عند مدخل القناة الشمالي حيث تمر اكثر من ٢٠ الف سفينة ، وسيلحق بهذا المسجد معهد ديني .

* منحت جامعة الازهر الدكتوراه الفخرية لعظمة سلطان البهرة اثناء زيارته للقاهرة .

السعودية

* صدر بيان رسمي فى جدة يعلن ان اكثر من مليون حاج وقفوا فوق جبل عرفات ، وقال البيان : ان (٢٩٤١١٨) من الحجاج وفدوا من الخارج والباقون من السعودية .

* جاءناأنه لم يقرأ احد فى السعودية مانشرته مجلة العربي خاصا بالامام البخارى والسبب ان الرقابة نزعت اوراق المقال من النسخ قبل توزيعها .

لبنان

* طردت الحكومة اللبنانية جون اسبانولا الاستاذ بالجامعة الاميريكية ببيرت بسبب اساءته الى تعاليم الدين الاسلامية .

ليبيا

* عقد مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى الدول العربية تحت اشراف الجامعة العربية وهيئة اليونسكو واستمر خمسة أيام بحث خلالها التعاون الاقليمي والدولي من أجل تنمية التربية فى الوطن العربي . .

فلسطين

* تجرى فى شهر يونيو فى جميع الدول العربية أول انتخابات يشترك فيها شعب فلسطين لاختيار اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني ، وقد بدأت عمليات القيد فى جداول الانتخابات لكل فلسطيني بلغ الثامنة عشرة ، ومن المقرر أن يعقد المجلس الوطني الجديد اجتماعه الاول فى غزة عقب تشكيله مباشرة .

اندونيسيا

* أذاعت وكالة أنباء (انتارا) الاندونيسية أن (١٥٦) شخصا على الاقل لقوا مصرعهم بسبب الفيضانات التى وقعت فى شرق ووسط جاوة ، وان مئات ما زالوا مفقودين ، وقد نجم عن هذه الفيضانات تشريد ما يزيد على (٥٠٠) الف نسمة وتدمير (٣٠) الف مسكن .

فقيد العروبة والاسلام

فوجئنا ـ والمجلة ماثلة للطبع بوفاة المشير الركن عبد السلام محمد عارف رئيس الجمهورية العراقية وبعض السادة المرافقين له أثناء زيارته للبصرة على أثر حادث احتراق الطائرة التى كانت تقلهم .

والمجلة اذ تنعي فقيد العروبة والاسلام الى العالم الاسلامى تقدر الخسارة الفادحة التى منيت بها الشعوب الاسلامية بفقده ، وتذكر جهاده فى نصرة القضايا العربية والاسلامية ، وحرصه الشديد على الاستمساك بتعاليم الاسلام، وتشارك الشعب العراقى الشقيق آلامه وأحزانه وتضرع الى الله أن يجزى الفقيد جزاء الشهداء والصالحين . وان يهب الشعب العراقى الحكمة والسداد .

((الى راغبى الاشتراك))

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة . ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين ، وسنوافى قراء شمال افريقيا باسماء المتعهدين عندهم : —

بغداد : — مكتبة المثنى — السيد قاسم محمد الرجب .

عمـان : — وكالة التوزيع الاردنية — السيد رجا العيسى .

بيروت : — دار الصياد — السيد رشيد القاضى — لبنان .

القاهرة : — توزيع الاخبار — ٧ شارع الصحافة ج . ع . م .

الرياض : — مكتبة النجاح الثقافية بالرياض — السعودية .

الخبـر : — مكتبة النجاح الثقافية — ص ب — (٧٦) السعودية .

مكة المكرمة : — مكتبة الثقافة — السعودية .

الطائف : — مكتبة الثقافة — السعودية .

المدينة المنورة : — مكتبة المنار .

عـدن : — وكالات الاهرام التجارية — ص ب (٦٣٩) .

البحرين : — المكتبة الوطنية وفروعها — السيد فاروق ابراهيم .

المكـلا : — مكتبة الشعب — ص ب (٢٨) المكلا — حضرموت .

دبـى : — المكتبة الاهلية — ص ب (٢٦١) .

مسقط : — المكتبة الاهلية — السيد حسن قمر سلطان .

قطـر : — مكتبة الثقافة — الدوحة — ص ب (٨٤٢) .

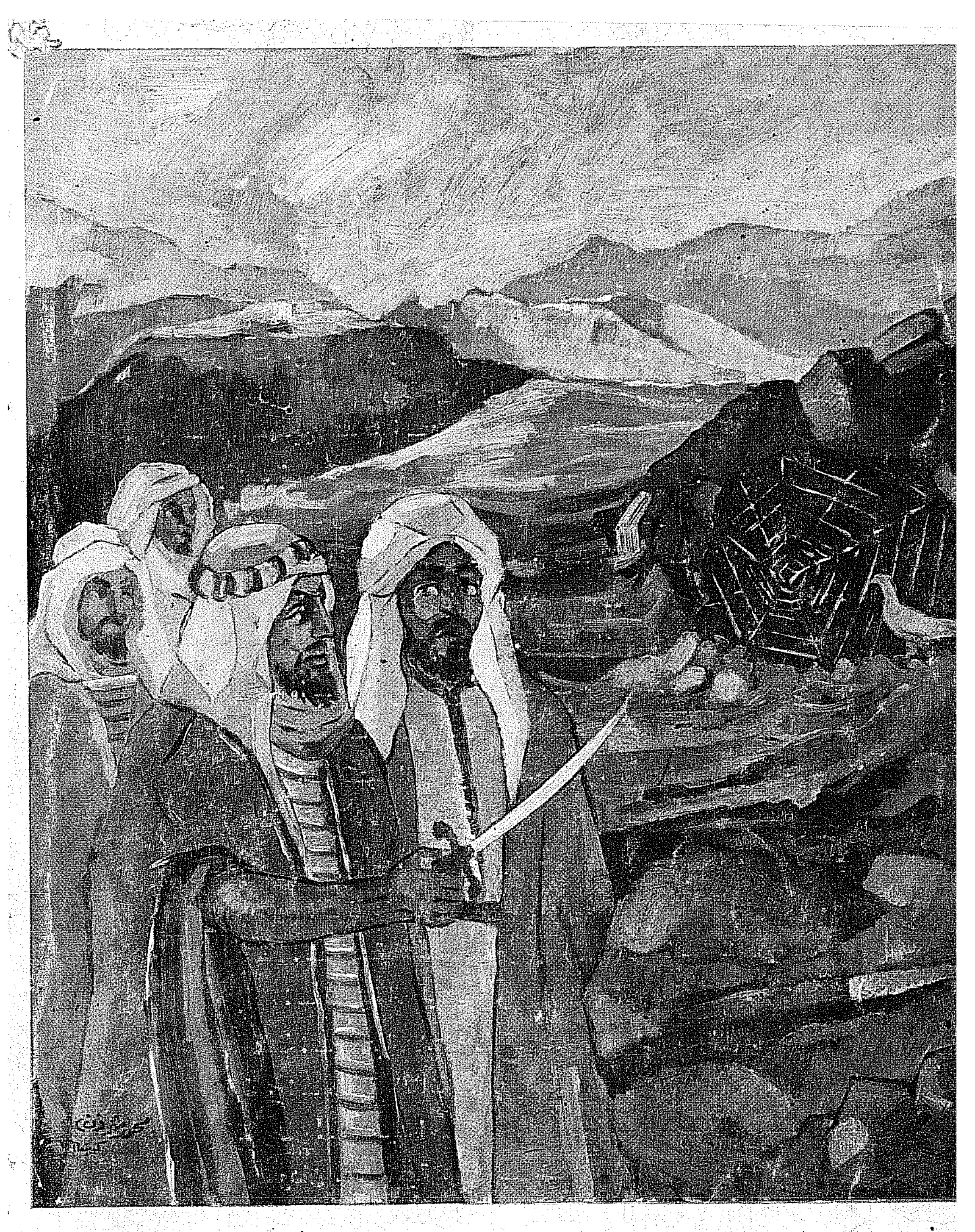
السودان : — السيد أحمد النور علي — الخرطوم — صب (١٩٥٦) .

بورسودان : — مكتبة كرري — السيد عطا المنان ص.ب ٣٠٣ .

الكويت : — مكتب منار للتوزيع — شارع الجهرة .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

مطبعة حكومة الكويت



لوحة زيتية بريشة

محمد مؤذن

تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إذْ أخْرَجَهُ

ينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فِي الغَارِ

يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنَا

صدق الله العظيم